٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٧٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٠٢٧٢١

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

٧٤٠

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيـــم

****

أتقدم بالشكر والتقدير والامتنان إلى كل من تفضل ومد يد العون لإخراج هذا البحث إلى النـــور .

وأخص بالشكر والتقدير أستاذي الفاضل الدكتـــور مصطفى عبد الواحد فقد كان لي وللبحث المرشد الأميـــن والأستاذ القدير ، فلم يبخل بوقته وعلمه وفكره لأخطو نحـــو الأفضــــــــــل .

وشكري وامتناني إلى أستاذي الجليلين اللذيـــن سيشتركان في مناقشة الرسالـــــــة .

أسال الله العلي القدير أن يجزى الجميع عني خير الجزاء ؟

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على خير أنبيائه ، وماتوفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

وبعد :-

يسرني أن أتقدم بهذا البحث لنيل درجة الماجستير عن (القصة في الحديث النبوي) الذى بذلت فيه جهدي باعتباره موضوعاً جديداً في الدراسة البيانية للحديث الشريف ، لأن العناية بالحديث الشريف من الوجهة البلاغية والبيانية حقيقة لابد أن تنمو وتدفع إلى بلوغ غايتها فإن البيان النبوي بحاجة إلى جهود الباحثين المتخصصين لاستجلاء ما فيه من روعة وجمال إلى جانب الإفادة من هدايته وإشراقه .

وقد كان البحث عن " القصة في الحديث النبوي " في مكان العناية مني في المراحل السابقة من دراستي الجامعية ، ومما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع أيضاً أني لم أجد دراسة قديمة أو حديثة قد استوفت جوانب هذه القضية ، ففي القديم لم يكن لعلمائنا عناية ببحث الألوان الأدبية للحديث الشريف منفردة ، بل كانوا يشيرون في كتب البلاغة والنقد إلى أمثلة من جوامع كلمه (صلى الله عليه وسلم) كما نجد ذلك في "البيان والتبيين" للجاحظ ، وكتاب "الصناعتين" لأبي هلال العسكري ، وكتاب "المثل السائر" لابن الأثير .

ولم أجد أيضا في التراث القديم - فيما قرأت - كتاباً أفرد ببحث الجوانب البيانية في الخطب النبوية وحدها ، أو القصة النبوية وحدها ، أو رسائله (صلى الله عليه وسلم) ولعل ذلك يرجع إلى أنهم لم يكونوا ينظرون إلى هذه الأغراض الأدبية مستقلة في بيانه (صلى الله عليه وسلم) ، وكانوا يرون البلاغة النبوية جنساً واحداً في إيجاز لفظها وسمو معناها أو كونها من جوامع الكلم .

أما في العصر الحديث فلم تفرد القصة النبوية بالدراسة إلا في بحث جامعي واحد نال به صاحبه درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ونشر بعد ذلك باسم (القصص في الحديث النبوي) للأستاذ محمد حسن الزير وحين قرأت هذا البحث ، وجدت أنه رغم طوله واجتهاده في النظر تقعد وقع في خلط عند تحديد مفهوم القصة النبوية حيث لم يقصرها على مافيه تتبع لأحداث ماضية بل جعل منها قصص السيرة ، وأحوال الجنة والنار ، وعلامات الساعة ، وأطلق عليها اسم القصص المستقبلية ، كما جعل منها الأمثال والتشبيهات وعجبت إذ رأيته وضع القصة النبوية في قوالب البحث الأدبي المعاصر وطبق عليها القواعد الفنية التي وضعت للقصة المعاصرة فتعسف في ذلك وتكلف .

ومن هنا وجدت لزاماً علي أن أمضي في هذا البحث بمقاييس أدبية أعتقد أنها أقرب إلى الحق وأدنى إلى الصواب .

كما أن القصة النبوية كانت موضع تناول من الدكتور محمد أحمد العمري في رسالته للدكتوراه بجامعة الأزهر التي كان موضوعها " سيدنا محمد في إبداعه الأدبي " وهو بحث لم يخلص لموضوع القصة وإنما أشار إليها إشارات عابرة ، وكان لنا أيضاً في بعض اجتهاداته نظر ، وأيضاً فقد أشار الدكتور عز الدين السيد في كتابه " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " إلى جانب القصة في البلاغة النبوية ، وحاول عرض بعض القصص النبوي الذي يتضح فيه التأثر بما وضعه المحدثون للقصة الفنية من عناصر ، ومع إجادة الدكتور عز الدين السيد لعرض أفكاره فإن منهجي يخالف منهجه ، ولا يقتضي الإذعان لمقاييس محدثة وضعت أصلاً للقصص الخيالي ، وتطبيقها على قصص الرسول (صلى الله عليه وسلم) المتأثر بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهكذا يتضح لنا - مما قدمناه - أن الأبحاث في موضوع القصة النبوية قليلة جداً ، وهذا ماجعل أكثر الباحثين يعرضون عن تناول هذا الموضوع في دراساتهم إذ لا يجدون فيه طريقاً ممهداً يهدي السائلين ، ولكني استخرت الله

سبحانه وتعالى ثم مضيت في هذا البحث رغم هذه الصعاب في محاولة تستهدف رسم صورة صادقة لحقيقة القصص النبوي وسماته وخصائصه ومصادره وصلته بالقصص القرآني .

كما تستهدف التنبيه إلى أوهام بعض الباحثين المعاصرين ، فإن العلم أمانة لا تحتمل المجاملة فيها، ولا يجوز الصمت عما عرف الإنسان من الحق في شأن من شئونها .

وقد صادفتني صعوبات كثيرة كان أولها تحديد المفهوم الصحيح للقصة في الحديث النبوي مع هذا الخلط الذى وقع فيه بعض الباحثين المعاصرين ، ومنها تصحيح نسبة الأحاديث وتخريجها من مصادرها مع مافيه من عناء ، ومع مافي بعضها من اختلاف في درجته وتفرق أحاديث القصص في بعض كتب الحديث كمسند الإمام أحمد بن حنبل الذى رتب على أساس أسماء الصحابة الذي روى عنهم ، وليس على ترتيب الموضوعات كما هو الشأن في كتب الصحاح ، وحينما تكون المراجع المعاصرة قليلة ، فإن الباحث يشعر أنه وحيد في ميدان بحثه لا يوجد مايعينه أو يتقوى به من آراء المعاصرين ، فضلاً عن أنه لا يجد ذلك في نصوص الأولين .

ومن هنا كان أكبر عملي في هذا البحث بعد جمع القصص المتفرق في المصادر الحديثية هو الاجتهاد في الفهم والتذوق ، ومحاولة تبيين الموقف الصحيح في اجتهادات المعاصرين ، وأرجو ألا يظن بي الغرور ، أو الاعجاب بالرأي ، إذ نقدت من نقدت ، ولكني اجتهدت كما اجتهدوا ، ورجعت في نقدي لهم إلى مقاييس موضوعية لا إلى تأثر أو غرض شخصي .

وقد انتهيت إلى نتائج في هذا البحث أرى أن بعضها جديد ، وأنها ستعين على تبيين الحقيقة في الجانب البياني من القصة النبوية ، وأملي أن تزداد جهود الباحثين وتكثر خطاهم في هذا الطريق الذي لم يسر فيه حتى اليوم إلا قلة تعد على الأصابع .

وحسبي في هذا العمل النية والقصد ، وبذل مااستطعت من الجهد ، راجية من الله سبحانه أن ينفع به ، وأن يوفقنا إلى خدمة تراث الإسلام، والمشاركة في صونه له الحمد في الأولى والآخرة ، نعم المولى ونعم النصير .. ،،،،

الباب الأوّل

الفصل الأول : مدلول القصة في لغة العرب

القصة عند العرب

الفصل الثاني : القصة في القرآن

الفصل الثالث : البيان النبوي وألوانه

القصة في البيان النبوي

تعريف المفهوم الفني للقصة النبوية

الفصل الرابع : مصادر القصص النبوي

القصص النبوي مع تخريجه

مدلول القصة في لغة العرب

قال ابن فارس : في "معجم مقاييس اللغة "
ألقاف أصل صحيح يدل على تتبع الشيء ، فقولنا قَصَّ : يعني فعله ، من قَصَّ الشيء يقصه قصصاً ، وقصصاً بمعنى تتبعه لأمر وغاية ينتهي إليها من ذلك التتبع .
ومن ذلك قولهم : " اقتصصت الأثر إذا تتبعته (١)" ، ويقال : " خرج فلان قصصاً في أثر فلان وذلك إذا اقتص أثره (٢) .
ومنه قوله تعالى : في حديث أم موسى مع أخته ، وهي قلقة بشأنه حين التقطه آل فرعون " وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " (٣) . أي تتبعي أثره لتعلمي خبره .
وقال أمية بن أبي الصلت :
قالت لأخت لَهُ قُصِّيهِ عَنْ جُنُبٍ — وَكَيْفَ يَقْفُو بِلاَ سَهْلٍ وَلاَ جدد (٤) .
وفي قصة موسى عليه السلام مع فتاه — وقد ذهبا للبحث عن الخضر امتثالاً لأمر الله ، وبدا لهما أن يرجعا إلى حيث انسل الحوت من المكتل — قال تعالى : " فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا " (٥) يريد أنهما عادا يتتبعان آثارهما حتى ينتهيا إلى المكان المنشود لهما .
وقيل القصة : الجملة من الكلام . يقال : " فلان في رأسه قصة " أي جملة من الكلام .
وقيل القصة : الخبر والحديث والأمر . يقال : قص عليه خبره . أي أعلمه به وأخبره .

---

(١) " معجم مقاييس اللغة " لابن فارس ٥ : ١١ . وانظر مختار الصحاح مادة قص .
(٢) انظر مادة قص في " التهذيب " ولسان العرب " " ومختار الصحاح " " وأساس البلاغة " والمعجم الوسيط " .
(٣) سورة القصص / الآية : ١١ .
(٤) " ديوان أمية بن أبي الصلت " ص ٣٣ .
(٥) سورة الكهف / الآية : ٦٤ .

و (اقتص) الحديث رواه على وجهه [1].

ومنه: قص الرؤيا ... يقال: قصصت الرؤيا، أقصها قصاً.

ويأتي القص: بمعنى البيان. ومنه قوله سبحانه وتعالى في قصة "يوسف عليه السلام" مع إخوته: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ [2]" أي نبين لك أحسن البيان.

والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها، ومن نصها، وكأنه يتتبع معانيها وألفاظها وقيل القاص: الذي يقص القصص لاتباعه خبراً بعد خبر، وسوقه الكلام سوقاً، والخطيب يعتمد في وعظه على القصص. [3]

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال "لا يَقص على النَّاس إلاَّ أَمير أَوْ مَأمُور أَوْ مراءٍ" [4].

"أي لا ينبغي ذلك إلا لأمير يعظ الناس، ويخبرهم بما مضى ليعتبروا، وأما مأمور بذلك فيكون حكمه حكم الأمير، ولا يقص مكتسباً، أو يكون مختالاً يفعل ذلك تكبراً على الناس أو مرائياً يرائي الناس بقوله وعمله لا يكون وعظه وكلامه حقيقة" [5].

قال هُدبةُ بن خَشْرَمْ:

فَقَصُّوا عَلَيْهِ ذَنْبَنَا وَتجَاوزُوا ـ ذُنُوبَهُم عِندَ القَصِيصَةِ والأَثَـر. [6]

قال الزمخشري: "أي عند القصيصة والحكاية، ورفع قصته إلى السلطان" [7]

ومن هذا التتبع للتعريفات اللغوية للقصة، نرى أن المدلول اللغوي للقصة في لغة العرب تعني الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من العبرة والعظة.

---

(1) انظر "لسان العرب" حرف الصاد، فصل القاف، وانظر "المعجم الوسيط مادة قصت. وانظر أساس البلاغة" مادة قصص.
(2) سورة يوسف / الآية: ٣.
(3) انظر لسان العرب "حرف الصاد" فصل القاف. وانظر المعجم الوسيط مادة قصت.
(4) مسند أحمد بن حنبل. ٢: ١٧٨.
(5) انظر لسان العرب "حرف الصاد، فصل القاف.
(6) المرجع نفسه حرف الصاد، فصل القاف.
(7) انظر "أساس البلاغة" مادة قصص.

القصة عند العرب

" مما لا يمكن تصوره أن تخلو حياة إنسان من قصة ،أو عدة قصص ذلك لأن الأحداث المثيرة والمواقف الحرجة المتأزمة لها أكبر الأثر في خلق النطف التي تتخلق منها القصص، فتجيش مشاعره وتسكن وجدانه ،وإذا كان الأمر كذلك فحياة الإنسان سلسلة متصلة من القصص التي تهز مشاعره فيشكلها فيحكيها ويرويها فإذا كان هذا الأمر في الفرد الواحد فكيف بأمة كاملة ؟ .

ولو نظرنا إلى الأمة العربية من هذا الجانب لرأينا أن حظها من الأحداث والفواجع كان حظاً موفوراً إذ تحوطها حياة قاسية فيها الجدب والجوع والحروب والغارات والعواصف والأعاصير .

لذا فحياة العربي قصة طويلة مثيرة في صراعها العنيف مع الحياة ومطالب العيش[1]".

وقد كانت العرب تطلق اسم القصة على ألوان متعددة منها الحكاية والأسطورة والخرافة .

الحكاية :-

تقول العرب : " هذه حكايتنا أي لغتنا ،وامرأة حكي : حاكية لكلام الناس مهذار"[2]

وأطلقت هذه الكلمة عند العرب قديماً لتدل على الأحاديث والأخبار والأسمار .

" والحكاية مجموعة من الأحداث مرتبة ترتيباً سببياً تنتهي إلى نتيجة طبيعية لهذه الأحداث ، وتلك الأحداث المرتبة تدور حول موضوع عام هو التجربة الإنسانية نفسية أو اجتماعية[3]" .

الأسطورة :-

الأساطير : الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها .

---

(1) " القصص القرآني في منطوقه ومفهومه" تأليف : عبد الكريم الخطيب . ص ١٢ .
وانظر" بحوث في قصص القرآن " السيد عبد الحافظ عبد ربة . ص : ٢٩ .

(2) " أساس البلاغة " الزمخشري . مادة حكي .

(3) " القصة العربية في العصر الجاهلي " د . علي عبد الحليم محمود" . ص ٨١ .

قال اللحياني : جمع أسطورة وأسطير وأسطيرة (١) .

وفي اللسان : " سطرها : ألفها . وسطر علينا : أتانا بالأساطير .

قال الليث : يقال سطّر فلان علينا يُسَطِّر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل .

يقال : هو سطر مالا أصل له أي يؤلف .

وفي حديث الحسن : سأله الأشعث عن شيء من القرآن فقال له : والله إنك ما تسطر علي بشيء أي ما تروج .

قال : سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها ، وتلك الأقاويل الأساطير والسطر (٢) " .

ومعرفة العرب بالأساطير دعت بعض الضالين منهم عندما استمعوا إلى القرآن أن يقولوا : هو أساطير الأولين ، ويتهموا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه اكتتبها فهي تملى عليهم بكرة وأصيلا وكان من العرب قبل الإسلام من يروي هذه الأساطير ، وكان منهم من يتحدى محمداً (صلى الله عليه وسلم) بها ، ويجمع الناس عليها لينفضوا من الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعن الاستماع إلى القرآن الكريم .

" وقال الزجاج في قوله تعالى : " وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " خبر لمبتدأ محذوف ، المعنى : وقالوا الذى جاء به أساطير الأولين ، معناه سطر الأولون ، وواحد الأساطير أسطورة كما قالوا أحدوثة وأحاديث (٣) " .

قال ابن كثير (٤) : قولهم : " أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا " (٥) " يعنون كتب الأوائل أي استنسخها فهي تملى عليهم أي تقرأ عليهم . " بكرة وأصيلا " أي أول النهار ، وآخره

---

(١) " تاج العروس " للزبيدي باب الراء ـ فصل السين .

(٢) " لسان العرب " حرف الراء ـ فصل السين .

(٣) " لسان العرب " حرف الراء ـ فصل السين .

(٤) " تفسير القرآن العظيم " ٣ : ٣٠٩ .

(٥) سورة الفرقان / الآية ٥ .

وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبهته منهم يعلم كل واحد بطلانه،فإنه قد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يعاني شيئاً من الكتابة لا في أول عمره ولا في آخره ،وقد نشأ بين أظهرهم من أول ولده إلى أن بعثه الله نحواً من أربعين سنة،وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه ونزاهته وبره وأمانته وبعده عن الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة حتى أنهم كانوا يسمونه في صغره . وإلى أن بعث بالأمين . لما يعلمون من صدقه وبره فلما أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها،وحاروا فيما يقذفونه به فتارة يقولون مجنون ،وتارة يقولون كذاب (١)".

قال تعالى : " انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا" (٢)

والأسطورة قصص شعبي تعبير عن التجارب الإنسانية البدائية وتهتم بالحديث عن موقف الإنسان من قوى الطبيعة ومن الآلهة الخيالية ـ كما تخيلها القدماء ـ وموقفهم من الكائنات الواقعية .

قال المسعودي : " وللعرب في الغيلان والتغول أخبار طريفة،لأنهم يزعمون أن الغول يتكون لهم عند الخلوات،وأنها تظهر لخواصهم في أنواع من الصور فيخاطبونها ... وقد أكثروا من ذلك في أشعارهم (٣)".

من هنا نجد أن الأسطورة تشرح بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون والطبيعة وتأتي في ذلك السبيل بكل ما هو عجيب وغريب وكذلك تهتم بتوضيح العادات الاجتماعية ، وعلى ذلك يمكن أن تتخذ الأساطير للتعرف الى كثير من عادات الشعوب وأخلاقهم ،وتبين الكثير من جوانبهم النفسية (٤) .

---

(١) " تفسير القرآن العظيم " ٣ : ٣٠٩ .

(٢) سورة الإسراء / الآية ٤٨ .

(٣) " مروج الذهب" ٣ : ٣١٤ .

(٤) انظر" القصة العربية في العصر الجاهلي " ص ١١ ،وانظر"سيكلوجية القصة في القرآن . تأليف : التهامي نقرة . ص : ٣١٦ .

الخـــــرافـة :

جـاء في اللسان : الخرافة : الحديث المستطح من الكـذب . وقالـوا : حـديث خـرافـة .

قال الجوهـري : ولا تدخله الألف واللام لأنّه معرفـة إلا أن يريـد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل أجروه على كل ما يكذبونه من الأحاديث، وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه. وذكر ابن الكلبي في قولهم : حديث خرافة : " أن خرافـة من بني عذرة أو جهينــــــة ، اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه ، فجرى على ألسن الناس[1] .

وفي الحديث : عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنهـا) قالت : حدث رســـول الله (صلى الله عليه وسلم) نساءه ذات ليلة حديثاً فقالت امرأة منهن يارسول اللــــه كان الحديث حديث خرافة فقـال : " أتـدرون ما خرافـة . . إن خرافة كان رجـــــلاً من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهن دهرًا طويلاً ثم ردونه الى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الاعاجيب فقال الناس : حديث خـــرافة[2] ".

<u>ألــوان القصص في العصر الجاهـــلي :</u>

من خلال التعريفات السابقة لكل من الحكاية والأسطورة والخرافة ندرك أن الطابع السائد للقصة في العصر الجاهلي يتميز بطابع الأسطورة الخرافية المتخيلـة ، وأن حكاياتهم ما هي إلا تصوير لطبيعة حياتهم ومعتقداتهم ونوعية تفكيرهم المنغمس في ألوان

---

(١) " لسان العرب " باب الفـاء ـ فصل الخــاء .

(٢) انظر "حديث خرافة في مسند أحمد بن حنبل " برواية السيدة عائشة (رضي اللـه عنها) ٦ : ١٥٧ ، كما أورده الذهبي في (الميزان) برواية أنس بن مالــــك . ٣ : ٥٥ . وقد بينـا حال هذا الحديث في فصل عنوانه : " خطـر القصـص الموضوع والضعيف على القصص النبوي " ص : ٢٤٠ من هذا البحث .

متعددة من الضلالات المتوارثة والمتاهات الجوفاء .

ولقد لوحظ أن القصص في العصر الجاهلي يتسم بألوان متعددة ، من القصص الأسطورية الخرافية ، أو القصص التي تحكي بطولاتهم التاريخية ، وفيه جانب إنساني متمثل في القصص التربوية التي تحكي تجارب إنسانية عامة .

القصص الأسطورية :-

وعليها تدور معظم حكاياتهم عن الغول ، ورؤيتهم لها وجريهم وراءها للإمساك بها ، والتغلب عليها ، وأيضاً فيما كان يعرف به مذهبهم عن شياطين الشعر حيث زعموا أن لكل شاعر شيطاناً يلقي إليه الشعر ، أو يلهمه إياه .

ونورد من هذا اللون قصتين أسطوريتين :-

إحداهما عن ثابت بن جابر الملقب بتأبط شراً ، والأخرى قصة عن سطيح الكاهن وارتجاس إيوان كسرى .

تأبط شرا يقتل الغول (1) :

قال عمرو بن أبي عمرو الشيباني : نزلت على حي من فَهْم ، فسألتهم عن خبر تأبط شراً ، فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنه ؟ أتريد أن تكون لصاً ! قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين فأتحدث بها . فقالوا : نحدثك بخبره :

إن تأبط شراً كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ، ثم يشويه فيأكله .

وإنما سمي تأبط شراً ؛ لأنه فيما حكي لنا : لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع

---

(1) الأغاني : ٨ : ٢٠٩ ، " معجم البلدان " ٤ : ٢٣١ ، " قصص العرب " ٤ : ٣٦٤ .

يقال له "رحىً بطان (1)"، في بلاد هذيل، فأخذت عليه الطريق، فلم يزل بها حتى قتلها، وبات عليها. فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه، فقالوا له: لقد تأبط شراً، وقال في هذا:

ألا مَنْ مُبلِغٌ فتيانَ فَهْمٍ ... بما لاقيتُ عِنْدَ رَحَى بِطانِ
وإني قد لقيتُ الغُولَ تَهْوِي ... بسُهْبٍ (2) كالصحيفةِ صَحْصَحانِ (3)
فقلتُ لها: كِلانا نِضْوُ أَيْنٍ (4) ... أخو سفرٍ فخلّي لي مكاني
فشدّتْ شدّةً نحوي فأهوى ... لها كفّي بمصقولٍ يماني
فأضربُها بلا دَهَشٍ فخرّتْ ... صريعاً لليدينِ وللجِرانِ (5)
فقالتْ: عُدْ فقلتُ لها: رُوَيْداً (6) ... مكانَكِ! إنني ثَبْتُ الجَنانِ
فلم أنفكّ متّكئاً عليها ... لأنظرَ مُصْبِحاً ماذا أتاني
إذا عينانِ في رأسٍ قبيحٍ ... كرأسِ الهرِّ مشقوقِ اللسانِ
وساقا مُخْدَجٍ (7) وشَواةُ كلبٍ ... وثوبٌ من عَباءٍ أو شِنانِ

ففي القصة نلمس براعة الشاعر في وصف الأحداث التي مرت به في دقة وجلاء، فهو يصف لنا كيف كانت رؤيته للغول، وفي أية حال كان هو، كما أنه نقل لنا الحديث الذي دار بينه وبين الغول، وأيضاً المعركة التي انتهت بانتصاره على الغول، ولا يعنيه بعد ذلك إن صدّقه الناس في هذه الخيالات أو كذّبوه!.

---

(1) رحى بطان : موضع لهذيل.
(2) السهب : الفلاة.
(3) الصحصحان : ما استوى من الأرض واتسع.
(4) الأين : التعب والإعياء.
(5) الجران، للبعير: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره.
(6) زعمت العرب أن الغول إذا ضربت ضربة واحدة ماتت بها، فإذا ضربت ضربة أخرى عاشت.
(7) مخدج : ناقص الخلق، والشواة: جلدة الرأس، والشنان: جمع شن وهو القربة الخلق.

٢ - سطيح الكاهن وارتجاس إيوان كسرى (١) :-

" لما كان ليلة ولد فيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ارتجس إيوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نارُ فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وفاضت بُحيرة ساوَة ، ورأى المُوبذان أنَّ إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً ، وحتى عبرت دجلة وانتشرت في بلاد فارس ، فتجلَّد كسرى ، وجلس على سريره ، ولبس تاجه ، وأرسل إلى الموبذان .

فقال له : إنه سقط من إيواني أربعَ عشرةَ شرفة ، وخمدتْ نار فارسَ ولم تخمُد قبل اليوم بألف عام .

قال : وأنا أيها الملك قد رأيت كأن إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً ، حتى عبرت دجلة وانتشرت في بلاد فارس .

قال : فما ترى في ذلك يا موبذان وكان رأسهم في العِلم .

قال : حَدَثٌ يكونُ من قِبَل العَرَب .

فكتب حينئذ كتاباً : من كسرى ملك الملوك إلى النُعمان بن المنذر - وكان يومئذ ملكاً - أن ابعثْ إليَّ رجلاً من العرب يُخبرني بما أسأله عنه .

فبعث إليه عبد المسيح بن حيَّان بن بُقيلَة الغسانيّ .

فقال له : يا عبد المسيح هل عندك عِلمٌ بما أريد أن أسألك عنه ؟

---

(١) انظر " دلائل النبوة " لأبي نُعيم ١ : ١٧٤ - ١٧٧ ، " دلائل النبوة " للبيهقي ١ : ٦٧ - ٧٢ ، " الروض الأُنف " ١ : ١٩ ، " السيرة النبوية " لابن كثير ١ : ٢١٥ - ٢١٨ ، " العقد الفريد " لابن عبد ربه ٢ : ٢٨ - ٣٠ ، " تهذيب اللغة " ٤ : ٢٧٦ ، " الوفا بأحوال المصطفى " لابن الجوزي ١ : ٩٧ - ١٠٠ ، " معجم البلدان " ٣ : ٢٠ في رسم " تكن " ، " الخصائص الكبرى " للسيوطي ١ : ١٢٧ - ١٢٩ ، " عيون الأثر " ١ : ٢٨ ، " لسان العرب " باب الحاء - فصل السين .

قال : يسألني الملكُ،فإن كان عندي منه علمٌ أعلمتُه،وإلا أعلمته بمَن عِلمُه عنده .
فأخبره كِسرى به . فقال : عِلمُه عند خالٍ لي يسكن مَشارِفَ الشام،يقال له : سَطِيح (1)
قال : فاذهب إليه فسَلْه،فأخبِرْني بما يُخبِرك به .
فخرج عبد المسيح،حتى قدِم على سَطِيح وهو مشرف على الموت . قال : فسلم عليه وحيّاه،
فلم يُجِبْه سَطِيحٌ،ولم يحر جواباً،فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصَمُّ أم يَسْمَعُ غِطْرِيفُ اليَمَنْ ... أمْ فادَ (٢) فازْلَمَّ به شأوُ العَنَنْ (٣)
يا فاصِلَ الخُطَّةِ أعيَتْ مَنْ وَمَنْ ... وكاشِفَ الكُرْبَةِ في الوَجْهِ الغَضِنْ
أتاكَ شيخُ الحَيِّ من آلِ سَنَنْ ... وأمُّهُ من آلِ ذئبِ ابنِ حَجَنْ
أبيضُ فَضْفَاضُ الرِّداءِ والبَدَنْ ... رسولُ قَيْلِ العُجْمِ كِسْرى للوَسَنْ (٤)
لا يرهبُ الدهرَ ولا ريبَ الزمنْ ... يجوبُ بي الأرضَ علنداةٌ شَزَنْ
ترفعُني وجْنٌ وتهوي بي وجَنْ (٥) ... حَتّى أتَى عاري الجآجيءِ (٦) والقَطَنْ
تلُفُّه في الرِّيحِ بَوْغَاءُ الدِّمَنْ ... كأنما حُثحِثَ (٧) من حِضْني ثَكَنْ (٨)

فلما سمع شِعْرَه رفع رأسه إليه،فقال عبد المسيح،على جَمَلٍ مُشِيحْ،من بَلَدٍ نَزِيحْ،
جاء إلى سَطِيحْ وقد أوفى على الضَّرِيحْ . بعَثَك مَلِكُ بني ساسان،لارتجاس الإيوان،

---

(١) جاء في "السيرة النبوية" لابن كثير ١ : ٢١٩ مما روى عن ابن عباس أنه قال : "لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطيحاً،إنما كان لحماً على وضم ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينيه وكفيه،وكان يطوى كما يطوي الثوب من رجله إلى عنقه ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه . وقال غيره : إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس.

(٢) فاد : مات .

(٣) العنن : الموت .

(٤) الوسن : أول النوم .

(٥) الوجن : الأرض الغليظة الصلبة .

(٦) الجآجي : جمع جؤجؤ، وهو عظام الصدر .

(٧) حثحث : حرك .

(٨) الثكن : جبل .

وخمود النيران، ورؤيا الموبذان. رأى إبلاً صعابا، تقود خيلاً عرابا، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس. يا عبد المسيح، إذا ظهرت التلاوة، وغارت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخرج صاحب الهراوة، فليست الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، ثم تكون هنات وهنات، وكل ما هو آت آت.

ثم قضى سطيح مكانه، ونهض عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

شمر فإنك ماضي الهم شمير | لا يفزعنك تشريد وتغرير
إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم | فإن ذا الدهر أطوار دهارير
فربما ربما أضحوا بمنزلة | تهاب صولهم الأسد المهاصير
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته | والهرمزان وسابور وسابور
وهم بنو الأم إما إن رأوا نشبا | فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مجموعان في قرن | فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى، أخبره بقول سطيح، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً تكون أمور!

قال: فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى خلافة عثمان بن عفان، رحمة الله عليه.

وواضح أن قصة سطيح تنتمي إلى الأسطورة أوضح انتماء، وإن كان كتاب السيرة يوردونها لما فيها من تكهنات بأنباء التاريخ وكيف يكون لمثل هذه الكهانة وزن في إثبات الأحداث، وقد أسقط الإسلام كل قيمة لكلام العرافين، وأسجاع الكهان؟!

القصص التاريخية البطولية :

أما البطولة عبر التاريخ فقد كان لها نصيب في قصص العرب ومن ذلك :-

قصة سيف بن ذي يزن الحميري وبشارته بالنبي الأمي[1]

فقد ذكروا أنه لما ظهر سيف بن ذي يزن - قال ابن المنذر: واسمه النعمان ابن قيس - على الحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسنتين أتته وفود العرب وشعراؤ ها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه .

وأتاه فيمن أتاه وفود قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وعبد الله ابن جدعان، وخويلد بن أسد في أناس من وجوه قريش . فقدموا عليه صنعاء، فإذا هو في رأس غمدان الذي ذكره أمية بن أبي الصلت :

واشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَاجُ مُرتفِعاً في رأسِ غُمدانِ دارًا مِنْكَ مِحْلالاً

فدخل عليه الآذن، فأخبره بمكانهم فأذن لهم، فدنا عبد المطلب فاستأذنهم في الكلام فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنَّا لك . فقال له عبد المطلب : إن الله قد أحلّك أيها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته وعزّت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، في أكرم موطن وأطيب معدن، فأنت - أبيت اللعن - ملك العرب وربيعها الذي تخصب به البلاد، ورأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد . وسلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف . فلن يخمل من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجك من كشف الكرب الذي قد فدحنا (فنحن)، وفد التهنئة لا وفد المرزئة .

قال : وأيهم أنت أيها المتكلم .

قال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . قال ادن .

---

(1) "السيرة النبوية" لابن كثير ١ : ٣٣٥، وانظر الاكتفا للكلاعي ١ : ١٧٩ .
الوفا بأحوال المصطفى ١- ١٢٢ - ١٢٨ .
" دلايل النبوة " لأبي نعيم ١ - ٢٤ - ٢٨ .
" البداية والنهاية " لابن كثير ٢ - ٢٦٨ - ٢٧٢ .

فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال : مرحباً وأهلاً وناقة ورحلاً ومستناخاً سهلاً وملكاً ربحلاً يعطي عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقالتكم،وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم .
ثم نهضوا إلى دار الكرامة والوفود ، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه مجلسه وأخلاه ثم قال : يا عبد المطلب إني مفض إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به . ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره .
إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجناه دون غيرنا خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .
فقال عبد المطلب : أيها الملك مثلك سر وبر ، فما هو ، فداؤك أهل الوبر زمراً بعد زمر ؟
قال : إذا ولد بتهامة ، غلام به علامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة .
قال عبد المطلب : أبيت اللعن ، لقد أبت بخير ما آب به وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياي ما ازداد به سروراً .
قال ابن ذي يزن : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد ، واسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه ، ولدناه مراراً والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم أولياءه ، ويذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان ويخمد النيران ، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان ، قوله فصل ، وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .
فقال عبد المطلب : أيها الملك ـ عز جدك ، وعلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عمرك

فهذا نجاري فهل الملك سار لي بإفصاح فقد أوضح لي بعض الإيضاح .

فقال ابن ذي يزن : والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب إنك يا عبد المطلب لجدّه غير كذب .

فخر عبد المطلب ساجداً فقال : ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك ؟ .

فقال : أيها الملك كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً فزوجته كريمة من كرائم قومه آمنة بنت وهب ، فجاءت بغلام سميته محمداً ، فمات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه .

قال ابن ذي يزن : إن الذي قلت لك كما قلت ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فإني لست آمن أن تدخل لهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة ، فيطلبون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، فهم فاعلون أو أبناؤهم ، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار ملكته ، فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره ، وأهل نصرته ، وموضع قبره ، ولولا أني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره ، ولأوطأت أسنان العرب عقبه ولكني صارف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك .

قال : ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشرة إماء ومائة من الإبل وحلتين من البرود وخمسة أرطال من الذهب وعشرة أرطال فضة وكرش مملوء عنبراً .

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال له : إذا حال الحول فائتني ، فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول . فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول :

" يا معشر قريش " لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك (وإن كثر) فإنه إلى نفاد ، ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي من بعدي ذكره وفخره وشرفه .

فإذا قيل له : متى ذلك ؟ قال : سيُعلم ولو بعد حين .

قال : وفي ذلك يقول أُمية بن عبد شمس :

جَلَبْنا النُّصحَ تُحقِبُه المطايـــا ... على أكْوَارِ أجْمـالٍ ونُـوقِ
مُغَلْغَلَةً مراتعها تَغـــالى ... إلى صنعاء من فَجٍّ عميق
تؤُمُّ بنا ابنَ ذي يزن وتفري ... بذات بطونها ذم الطريق
وتَرعَى مِنْ مَخايلِهِ بُروقاً ... مُواصِلَةَ الوَميضِ إلى بُرُوقِ
فلمّا واصلتْ صنعاءَ حلّت ... بدارِ المُلك والحسبِ العَريقِ

ومن القصص التاريخي قصة مصرع الزبـاء (١) :

روى الميداني قال : " كان جذيمة قد ملك ما على شاطئ الفرات . وكانت الزباء ملكة الجزيرة ، وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها ، فلما استجمع أمرها وانتظم شمل ملكها أحبّت أن تغزو جذيمة ثم رأت أن تكتب إليه : أنها لم تجد ملك النساء إلا قبحاً في السماع وضعْفاً في السلطان وأنها لم تجد لملكها موضعاً ولا لنفسها كفئاً غيرك . فأقبل إلي لأجمع ملكي إلى ملكك وأصل بلادي ببلادك وتتقلد أمري مع أمرك .

فلما أتى كتابها جذيمة وقدم عليه رسلها استخفه ما دعته إليه ، ورغب فيما أطمعته فيه ، فجمع أهل الحجا والرأي من ثقاته ـ يومئذ بِبَقّة من شاطئ الفرات ـ وعرض عليهم ما دعته إليه وعرضت عليه ، فاجتمع رأيهم على أن يسير إليها فيستولي على ملكها .

وكان فيهم ـ قصير ـ وكان أريباً حازماً عند جذيمة ـ فخالفهم فيما أشاروا به وقال : " رأي فاتر وغدر حاضر " ثم قال لجذيمة : الرأي أن تكتب إليها ، فإن كانت صادقة في قولها فلتقبل إليك ، وإلا لم تمكّنها من نفسك ولم تقع في حبالتها ، وقد وترتها وقتلت أباها ، فلم يوافق جذيمة وقال له : " رأيك في الكِنِّ لا في الضحِّ " .

ودعا جذيمة عمرو بن عدي ابن اخته فاستشاره فشجعه على المسير وقال : إن قومي مع الزباء لو رأوك صاروا معك فأحب جذيمة ما قاله وعصا قصيراً فقال قصير : " لا يطاع لقصير أمر " .

واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وسلطانه وسار في وجوه أصحابه فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، فلما نزل دعا قصيراً فقال : ما الرأي يا قصير؟ فقال قصير : " ببقة خلّفت الرأي " قال : وما ظنّك بالزباء ؟ قال : " القول ردّا والحزم عثرات تخاف " ، واستقبلته رسل الزباء بالهدايا والألطاف فقال : يا قصير كيف ترى ؟ قال :

---

(١) " مجمع الأمثال " ١ : ٢١٣ ، وانظر جمهرة الأمثال : ٦٢ ، وانظر " قصص العرب " ٢ : ٦٢ ، وانظر " القصة العربية في العصر الجاهلي " ص ١٧٤ - ١٧٩ .

" خطب يسير في خطب كبير" وستلقاك الجيوش، فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة وإن أخذت بجنبتيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك، واذن فاركب العصا فإنها لا يشق غبارها - وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تجارى - وإني راكبها ومسايرك عليها .

فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر إليه جذيمة على متن العصا موليا، فقال : ويل امه حزماً على متن العصا، وجرت به الى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة .

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزباء، فلما رأته قالت : أشوار عروس ترى، فقال : أمر غدر أرى ! ثم دعت بالسيف والنطع وقالت : إن دماء الملوك شفاء من الكلب، فأمرت بطست من ذهب قد أعدته له وسقته الخمر حتى سكر وأخذت منه الخمر مأخذها فأمرت براهشيه فقطعا وقدمت إليه الطست وقد قيل لها :- إن قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه - فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه شيء في غير الطست، فقالت: لا تضيعوا دم الملك، فقال جذيمة : " دعوا دماً ضيعه أهله " وهلك جذيمة .

وخرج قصير من الحي الذي هلكت العصا بين أظهرهم، حتى قدم على عمرو بن عدي - وهو بالحيرة - فقال له قصير: أثائر أنت؟ قال : بل ثائر سائر .

ووافق قصير الناس وقد اختلفوا، فأصلح بينهم، ثم قال لعمرو بن عدي : تهيأ واستعد ولا تطلبن دم خالك، قال : وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو ؟

وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها فقالت : أرى هلاكك بسبب غلام مهين غير أمين وهو عمرو بن عدي، ولن تموتي بيده ، ولكن حتفك بيدك، ومن قبله ما يكون من ذلك . فحذرت عمرا ، واتخذت لها نفقا من مجلسها الذي كانت تجلس فيه إلى حصن لها في داخل بيتها وقالت: إن فاجأني أمر دخلت النفق إلى حصني ، ودعت رجلاً مصوراً من أجود أهل بلاده تصويراً وأحسنهم عملا فجهزته وأحسنت إليه وقالت : سر حتى تقدم

على عمرو بن عدي متنكراً فتخلط بحشمه فتنضم إليهم وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور، ثم أثبت لي عمرو بن عدي معرفة تصوره جالساً وقائماً وراكباً ومتفضلاً ومتسلحاً بهيئته ولبسته ولونه، فإذا أحكمت ذلك فأقبل إليّ .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدي وصنع الذي أمرته به الزباء، وبلغ من ذلك ما أوصته به ثم رجع إلى الزباء بعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدي، فلا تراه على حال إلاّ عرفته وحذرته وعلمت علمه .

وقال قصير لعمرو بن عدي : أجدع أنفي، واضرب ظهري ودعني وإياها، فقال عمرو : ما أنا بفاعل، وما أنت لذلك مستحقاً عندي، فقال قصير : خلّ عنّي إذن وخلاك ذم، فقال له عمرو : فأنت أبصر، فجدع أنفه وأثر آثاراً بظهره فقالت العرب : لأمر ما جدع قصير أنفه .

ثم خرج قصير كأنه هارب وأظهر أن عمراً فعل ذلك به، وأنه زعم أنه مكر بخاله جذيمة وغره، فسار حتى قدم على الزباء. فقيل لها : إن قصيراً بالباب فأمرت به فأدخل فإذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب، فقالت : ما الذي أرى بك يا قصير؟ قال : زعم عمرو أني قد غررت خاله وزينت له المصير إليك، وغششته ومالأتك، ففعل بي ما ترين فأقبلت إليك، فأكرمته وأصابت عنده من الحزم والرأي ما أرادت .

فلما عرف أنها استرسلت إليه ووثقت به قال : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة وطرائف وعطراً وثياباً فابعثيني إلى العراق لأحمل مالي وأحمل إليك من بزها وطرائفها وطيبها لتصيبي من ذلك أرباحاً عظيمة وبعض مالا غنى للملوك عنه . وكان أكثر ما يطرفها من العرفان وكان يعجبها، فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له، ودفعت إليه أموالاً وجهزت معه عبيداً، فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق، وأتى الحيرة متنكراً فدخل على عمرو بن عدي فأخبره الخبر وقال : جهزني بصنوف البز والأمتعة لعل الله يمكن من الزباء، فتصيب ثأرك وتقتل عدوك فأعطاه حاجته، فرجع بذلك

إلى الزبــاء فأعجبها ما رأت وسرها وازدادت به ثقة وجهزته ثانية ،فسار حتى قــدم على عمرو فجهزه وعاد إليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع ثقات أصحابك وهيء الغرائر واحمل كــل رجلين على بعــير في غرارتين ،فإذا دخلوا مدينة الزبــاء أقمتك على باب نفقها وخرجت الرجــال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة،فمن قاتلهم قتلــوه ،وإن أقبلت الزبــاء تريد النفق جللتها بالسيف .

ففعل عمرو ذلك وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهار ويســري بالليــل ،فلما صار قريبــاً من مدينتها تقدم قصير فبشرها وأعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف وقال لهــا : آخر البز على القلــوص [1] ،وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جــاء بــه وقال لهــا : جئت بما صاء وصمت [2] .

ثم خرجت الزبــاء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها فقالــت : يا قصــير :

مَا لِلجِمَــالِ مَشْيُهَا وَئِيــدَا أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَــدِيدَا
أَمْ صَرَفَانــاً تَارِزاً [3] شَــدِيدَا

فقال قصير في نفســــه : بَلْ الرجَــالُ قُبَّضَاً قُعُــودَا

فدخلت الإبل المدينة حتى كان آخرهــا بعيراً مَرَّ على بواب المدينة وكانت بيده منخســة فنخس الغرارة فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها فسمع له صوتاً فقال : شــر في الجوالق .

فلما توسطت الإبل المدينة أنيخت ،ودل قصير عمراً على باب النفق الذي كانت

---

(١) البز : الثياب ،والقلــوص : الأنثى الشابة من الإبل .
(٢) يريد أنه جاء بكل شيء .
(٣) التارز : اليابس .

الزباء تدخله ، وكانت أرته إياه قبل ذلك - وخرج الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريده فأبصرت عمراً فعرفته بالصورة التي صورت لها فمصت خاتمها - وكان فيه السم - وقالت: " بيدي لا بيد عمرو" وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها وانكفأ راجعاً إلى العراق .

ويلاحظ أن الخيال في هذه القصة قد أخرج كثيراً من مواقفها من أصله التاريخي .

القصص التربوية التي تحكي تجارب إنسانية :

وهذا لون آخر من ألوان القصص في العصر الجاهلي فهي تطل إلى تفسير التجارب الإنسانية وتحليلها وتهدف إلى ناحية تربوية تبرز بعض العادات والتقاليد والأخلاق العربية .

ومما ورد في هذا الصدد قصة " تأبط شراً مع زوج أمه (١) .

" تزوج أبو كبير الهذلي أم تأبط شراً - وكان الغلام صغيراً - فتنكر له ، وعرف ذلك أبو كبير في وجهه ، إلى أن ترعرع الغلام ، فقال أبو كبير لزوجه : ويحك ، قد والله رابني أمر هذا الغلام ، ولا آمنه . قالت : فاحتل عليه حتى تقتله .

فقال له ذات يوم : هل لك أن تغزو؟ فقال : ذاك من أمري . قال : فامض بنا ، فخرجا غازين ولا زاد معهما ، فسارا ليلتهما من الغد ، حتى ظنّ أبو كبير أن الغلام قد جاع . فلما أمسى قصد به أبو كبير قوماً كانوا له أعداء ، فلما رأيا نارهم من بعد قال له أبو كبير : ويحك ، قد جُعْنا ! فلو ذهبتَ إلى تلك النار فالتمست لنا منها شيئاً !

فمضى تأبط شراً ، فوجد على النار رجلين من ألص من يكون من العرب - وإنما أرسله إليهما أبو كبير ليقتلاه - فلما رأياه قد غشيَ نارهما وثبا عليه ، فرمى أحدهما وكرَّ على الآخر فرماه ، فقتلهما ، ثم جاء إلى نارهما فأخذ الخبز منها ، فجاء به إلى أبي كبير ، فقال له : كل ، لا أشبع الله بطنك ! ولم يأكل هو ، فقال : ويحك ! أخبرني من قصتك ، فأخبره ، فازداد خوفاً منه .

ثم مضيا في ليلتهما فأصابا إبلا ، وكان يقول له أبو كبير ثلاث ليالٍ : اختر أي نصفي الليل

---

(١) خزانة الأدب ٢ - ٤٦٧ (طبعة بولاق) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦٥٢ ، شرح ديوان الحماسة : ١ : ٤١ ، " قصص العرب " ٢ : ١٤ - ٦ .

شئت تحرس فيه وأنام، وتنام النصف الآخر، فقال: ذلك إليك، اختر أيهما شئت، فكان أبو كبير ينام إلى نصف الليل ويحرسه تأبط شرًّا، فإذا نام تأبط شرًّا نام أبو كبير أيضًا لا يحرس شيئًا حتى استوفى الثلاث.

فلما كان في الليلة الرابعة ظن أن النعاس قد غلب على الغلام، فنام أول الليل إلى نصفه، وحرسه تأبط شرًّا، فلما نام الغلام قال أبو كبير: الآن يستثقل نوما وتمكنني فيه الفرصة؛ فلما ظنّ أنه استثقل أخذ حصاة صغيرة؛ فحذف بها! فقام كقيامه الأول، فقال: ما هذا الذي أسمعُ؟ قال: والله ما أدري لعل بعض الإبل تتحرك! فقام وطاف ولم ير شيئًا، فعاد فنام، فأخذ حصاة أصغر من تلك، فرمى بها فوثب، فطاف ورجع إليه، فقال: يا هذا! إني قد أنكرت أمرك؛ والله لئن عدت أسمع شيئًا من هذا لأقتلنك! قال أبو كبير: فبتّ والله أحرسه خوفًا أن يتحرك شيء من الإبل فيقتلني!.

فلما رجعا إلى حيهما قال أبو كبير:

ولقد سريت على الظلام بمغشم … جلدٍ من الفتيان غير مثقّل
ممّنْ حملْنَ به وهُنَّ عواقدٌ … حُبُكَ النِّطاقِ فشبَّ غير مُهبَّل
حملت به في ليلةٍ مزؤودةً … كرهًا وعقد نطاقها لم يُحلَلِ
فأتت به حوش الفؤاد مبطّنًا … سُهُدًا إذا ما نامَ ليلُ الهوْجل
وإذا نبذتَ له الحصاةَ رأيتهُ … ينزو لوقعتها طمورَ الأخيل
وإذا يهُبُّ من المنام رأيتَه … كرتوبِ كعب الساق ليس بزمّل
ما إن يمسُّ الأرض إلا منكبٌ … منه وحرف الساق طيَّ المحمل
وإذا رميتَ به الفجاجَ رأيته … يهوي مخارمها هويَّ الأجدل
وإذا نظرت إلى أسِرَّةِ وجهِه … برقتْ كبرقِ العارض المتهلّل
يحمي الصحاب إذا تكون كريهة … وإذا هُمُ نزلوا فمأوى العيّل

ففي هذه القصة تبدو الصورة الإنسانية لشخصية تأبط شرًّا في شجاعته وحيلته

وجرأته في مقابل شخصية أبي كبير القاسية الشريرة .

ومن القصص التي تصور تجربة إنسانية كاملة نستطيع منها أن نستلهم العبرة والموعظة ما ورد في قصة ثمود والناقة (1) :

روى مطهر بن طاهر المقدسي قال : " . . . هم ثمود بن عابر بن إرم بن سام ابن نوح (عليه السلام) قال ابن اسحاق : فلما هلكت عاد عمرت ثمود بعدها وكثروا وبسلوا وانتشروا - ومنازلهم بين المدينة والشام - ونحتوا البيوت في الصخور لطول أعمارهم ثم عتوا على الله وعبدوا غيره وتظالموا فبعث الله إليهم صالحا وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعا - وزعم وهب أن صالح ابن عبيد بن عامر بن سام بن نوح - وكان رجلاً أحمر إلى البياض - قال : فخرجوا إلى عيدهم ومعهم صالح فقال له عظيم ثمود جندع بن عمرو ، ان أخرجت لنا من هذه الصخرة مخترجة جوفاء وبراء عشراء المخترجة ما شابهت البخت آمنا بك ، واتبعناك فنظروا إلى الهضبة تمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها ، ثم انتقضت فانصدعت عن ناقة - كما سألوا - بين جنبيها ما لا يعلمه إلا الله ، فآمن به جندع ومن كان معه ، قال : فمكث الناقة ترعى ما شاء الله من الشجر ويشرب اللبن ثم ينتج لها فيحتلبون ما شاء الله من لبن .

" وكان امرأتان من أشراف ثمود ذواتي أموال من المواشي يقال لأحدهما عنيزة بنت غنم ، وللأخرى صدوف بنت المحيا أضرَّ بهما شرب الناقة الماء فاحتالتا في عقر الناقة فدعت صدوف مصدع بن مهرج العقر الناقةَ وعرضت نفسها عليه ، ودعت عنيزة قدار ابن سالف - وكان لها بنات فائقات في الحسن والجمال فقالت : أزوجك أي بناتي شئت إن أنت عقرت الناقة ، فانطلق قدار ومصدع واستغويا تسعة نفر - كما قال الله تعالى " وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون (2) " .

---

(1) "البدء والتاريخ" . المقدسي ٣ : ٣٨ - ٣٩ ، وانظر " القصة العربية في العصر الجاهلي " ١٧٢ .

(2) سورة النمل /الآية ٤٨ .

قال : فرصدوا الناقة حين صدرت إلى الماء ، وقد كمن لها قدار بسهم فانتظم عضلة ساقها ثم كشف قدار عرقوبها ، فخرت ورغت رغاء واحدة تحذر سقبها ، ثم نحروها وغصبوها وانطلق سقبها حتى أتى جبلاً منيفاً لاذ به ، ففزع من آمن من قوم صالح إليه ، وقد كان حذرهم عقر الناقة ووعدهم العذاب إن هم مسّوها بسوء ، فقال لهم : أدركوا السقب فإن أنتم أدركتم السقب فلعل العذاب يؤخر عنكم ، فراموا كل المرام وتشامخت بهم الصخرة ودعت عليهم ثلاث دعوات فأخبر صالح بذلك فقال : أبشروا بالعذاب ، قالوا : ومتى ؟ قال : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ، فأصبحوا غداة يوم المؤنس وجوههم مصفرّة ، وأصبحوا يوم العروبة وجوههم محمرّة ، وأصبحوا يوم شيار وجوههم مسودة ثم صبحهم العذاب غداة يوم أول ، بصيحة وريح وهدة أهلكتهم (1) ".

ومن أشعارهم في هذه القصة قول بعضهم :

وقالتْ أم غنم يا قدارُ عزيزُ ثمودَ شُدَّ ولا تهابا
ولا تجبنْ فإن الجبن عيبٌ وكانَ أبوكَ يكْرَه أنْ يُعابا
إن أنت عقرتَها وأرحت منها بلادَ ثمودَ أنكحُكَ الدبابا
فأهوى سيْفَه للنحْرِ طعناً وفرَّ السقبُ يطلُعُ الشعابا
وحنتْ بعدما خرتْ صُويتاً تحذرُ سقبَها كيلا يُصابا
فأتبعَه قواةُ بن عدي ونادوا مصرعاً وأخاهُ ذابا
فيرْميه شقي بني رميد بسهم لمْ يريشه لصابا
ونادى صالح يارب أنزل بآل ثمود منك غداً عذابا
فكانت صيحة تركت ثموداً ديارهم لثالثة خرابا

هذه القصة شاعت بين العرب في الجاهلية عن قصة صالح مع قومه ثمود، ومآل إليه أمرهم ولكن القصة بهذا السياق جاءت مختصرة، وفيها بعض الاختلاف عما جاء عند طمساء .

---

(1) " البدء والتاريخ " المقدسي ٣٨ - ٣٩ .

التفسير لهذه القصة .

جاء في القصة أن الناقة خرجت من هضبة ولكن ابن كثير ذكر أنها خرجت من صخرة صماء كانت منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة . ولم تذكر القصة أن جماعة من بني ثمود لم تؤمن بصالح، وهم أشراف ثمود أمثال دؤاب بن عمر وبن لبيد والحباب صاحب أوثانهم، ورباب بن صمر بن جلمس، وشهاب بن خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراش حتى أن أحد مؤمني ثمود ويقال له مهوشى بن عثمة بن الدميل رحمه الله قال فيهم:

وكانت عصبة من آل عمرو — إلى دين النبي دعوا شهاباً
عزيز ثمود كلهم جميعاً — فهم بأن يجيب فلو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزاً — وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر — تولوا بعد رشدهم ذيابا

كما جاء في التفسير أن قتل الناقة تم باتفاق الجميع بدليل قول قتادة " بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن وعلى الصبيان" وهذا الظاهر .

والقول الآخر هي قصة المرأتين وهما عنيزة ابنة غنم وصدقة بنت المحيا وليس صدوف بنت المحيا كما جاء في القصة وكانت الأولى عجوزاً كافرة لها بنات حسان ، والأخرى امرأة غنية ذات حسن وجمال . فدعت الأولى " عنيزة" قدار بن سالف " لقتل الناقة على أن تزوجه بنتاً من بناتها " وكان قدار ابن زانية فهو ليس بابن سالف ، وإنما ابن رجل يدعى صيبان فقبل بعرضها .

أما الأخرى وهي " صدقة" فقيل أنها عرضت نفسها لرجل يدعى الحباب لقاء قتل الناقة فرفض فعرضت الأمر على ابن عم لها يدعى " مصدع بن مهرج" .

وجاء في القصة أيضاً أن أمر قتل الناقة عرض على تسعة من الفجار ، ولكن الحقيقة عرض الأمر على سبعة باضافة مصدع وقدار يصبحون بذلك تسعة (1) كما جاء في الآية : " وكان في المدينة تسعة" .

---

(1) انظر" تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٣ : ٣٦٧ - ٣٦٨ .

الاستدلال على وجود القصة عند العرب في العصر الجاهلي بالقرآن الكريم :

نستطيع أن نستدل على وجود القصة عند العرب بالقرآن الكريم لجملة أسباب أهمها: أن القرآن نزل على العرب بلسان عربي مبين، وخاطب العرب بلغتهم التي يفهمونها ويتقنونها ويتفننون بها، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله أو في قمة بيانه فعجز العرب عن الإتيان بشيء من ذلك، وأدركوا حقيقة ضعفهم واتخذوا من القرآن دستوراً يسيرون على خطاه ويتبعون تعاليمه .

وقد تحدث القرآن عن القصص حديثاً يدل على أن القصص كان معروفا في العصر الجاهلي، ولكن هذه المعرفة كان يعتريها الكثير من الخطأ والفساد والنقصان، ويرجع ذلك كما أسلفت لضعف صحة المصادر التي استقوا منها تاريخهم، ولكننا نجدها في القصص القرآني تأتي مفصلة على نحو لم يعرفوه من قبل ومثال ذلك ما جاء في قصص الأقوام السابقة وقصص الأنبياء .

والجدير بالذكر أن بعض القصص القرآني لم يكن معروفًا عند العرب إلا بما يشبه الوهم أو الخيال، فلما سألوا النبي عنها وضّح لهم ذلك بما أوحاه الله على نبيه، ومثال ذلك ما جاء على لسان القرآن في شأن ذي القرنين قال تعالى : "وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا، إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (1)" .

ومما جاء به القرآن الكريم من قصص عن أحداث وقعت في الجزيرة العربية، وكان العرب قد شاهدوا بعض هذه الآثار، فعندما حدثهم بها القرآن كانت لديهم عبرة وعظة .

مثال ذلك : ما جاء في قصة قوم عاد وثمود حيث نجد مدائن صالح لا تزال لوقتنا الحاضر تشير إلى حقيقة أولئك القوم الذين استكبروا فجازاهم الله على ما قدمت أيديهم(2) .

وقد كانت آيات القرآن الكريم تنزل على رسوله أول ما تنزل ولم يكن فيها من القصص إلا قليل ولأن

---

(1) سورة الكهف / الآيتان : ٨٣ - ٨٤ .

(2) راجع " القصة العربية في العصر الجاهلي " ٧٦ - ٧٨ .

الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يتلو على المؤمنين كلما نزل عليه الوحي ، مال بعض المسلمين إلى أن يقص عليهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) واعتبروا أن هذا القصص يدفع الملل عنهم خاصة وهو على هذا المستوى الرفيع فهو أرقى مستويات الكلام العربي المبين .

فأنزل الله تعالى : " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ (١) ".

وما جاء في سبب نزول هذه الآية ما يلي : -

" عن مصعب بن سعيد عن أبيه قال : " أنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) القرآن فتلاه عليهم زماناً فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله عز وجل : " الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٢) " ثم تلاه عليهم زماناً فقالوا : يارسول الله لو حدثتنا ؟

فأنزل الله عز وجل : " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣) " قال : كل ذلك يؤمرون بالقرآن قاله خلاد : وزاد فيه آخرون ، قال يارسول الله لو ذكرتنا ؟ فأنزل الله تعالى : " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٤) ".

هذه الرواية التي ذكرها المفسرون تدلنا على أن العرب كانوا يعرفون أنواعاً

---

(١) سورة يوسف / الآية : ٣ .

(٢) سورة يوسف / الآيات : ١ - ٣ .

(٣) سورة الزمر / الآية : ٢٣ .

(٤) سورة الحديد / الآية : ١٦ .

ثلاثة من الكلام ويفرقون بينها وهي: القصص والحديث والذكر . لأنهم قالوا : لو قصصت علينا ؟ ثم قالوا : لو حدثتنا ؟ ثم قالوا : لو ذكرتنا ؟

فالقصص : الأخبار المتتبعة . قال تعالى : " إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ (١) " وقال سبحانه : " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ (٢) " ، وقال عز وجل : " فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ : لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٣) " والحديث : نقيض القديم وهو كل كلام سلغ الإنسان وجهه السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديث، قال تعالى : " وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا (٤) " . والذكر : الحفظ للشيء تذكرة . والذكر أيضا : الشيء يجري على اللسان ويراد به تهيئة النفس لحفظ كل ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ ". (٥)

من هنا ندرك أن القصص عرف عند العرب وهو مختلف عن الذكر والحديث وهو عبارة عن أخبار متتبعة ذات تشويق خاص وإثارة معينة وهو محبوب ومطلوب عندهم، ولكننا نجد أن قصصهم كانت تشبه الأكاذيب والمبالغات وهذا ما نفهمه من قوله تعالى : " إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ " وقوله تعالى : " فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٦) ولكن مع ذلك يمكن لنا أن نقول ان هذه القصص تعتبر على كل حال مصادر صحيحة لمعرفة بعض العادات والتقاليد العربية في الجاهلية . ونستطيع أن نلمس ذلك من قوله تعالى : " ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ (٧)

---

(١) سورة آل عمران / الآية : ٦٢ .
(٢) سورة يوسف / الآية : ١١١ .
(٣) سورة القصص / الآية : ٢٥ .
(٤) سورة التحريم / الآية : ٣ .
(٥) انظر " القصة العربية في العصر الجاهلي " ص : ٧٩ .
(٦) سورة الأعراف / الآية : ٧ .
(٧) سورة هود / الآية : ١٠٠ .

وقد تؤخذ بعضها لأخذ أحسن الأمور والفصل في القضايا . ونستطيع أن ندرك ذلك بما جاء في قوله : "إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (1)".

من هنا نستطيع أن نؤكد أن القصص كان لونًا أدبيًا معروفًا وأثيرًا في العصر الجاهلي، ودليلنا في ذلك أوثق المصادر على الإطلاق وهو القرآن الكريم الذي نستطيع أن نستمد منه ملامح الحياة في العصر الجاهلي من عادات وتقاليد وأعراف ونتاج فكر وتفضيل جنس عن جنس من أجناس الأدب والفكر .

---

(1) سورة النمل / الآية : ٧٦ .

القصة في القرآن

مما لا شك فيه أن للقصة أثراً قوياً في النفس الإنسانية ،فهي وسيلة من الوسائل المثيرة للفكر الإنساني ،والمربية للنفس البشرية ،ولما كان للقصة هذا التأثير المعظم في إثارة الفكر وتهذيب النفس اتخذها القرآن وسيلة من وسائل الدعوة والتذكير والتوجيه إلى عبادة الإله الواحد(1)" قال تعالى : " إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)" .

ولا تقتصر أهداف القصة في القرآن على العقيدة والفكر ،وإنما هي وسيلة من وسائل التوجيه إلى اكتساب أنماط السلوك الحميد لنأخذ منها العبرة والموعظة الحسنة،مما تحتويه من قصص الأنبياء والمرسلين،وقصص الأمم السابقة منارًا نهتدى به في تجارب الحياة العملية (3) . قال تعالى : " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (4)" فحكمة القصص تتجلى في تنبيه العباد للسنن التي قامت،عمن قبلنا من أمم،وهي من أعظم فوائد القصص لأن فيها إدراك الأسباب التي أدت بالأمم السابقة إلى الفناء ، وجعلتهم يستحقون غضب الله وطردهم من رحمته ،فهي ليست بالحديث المفترى بل هي رحمة للعالمين ،وهدى ودروس لذوي الألباب .

وقد كان للقصص القرآني حكمة أخرى تتصل بالرسول عليه الصلاة والسلام ،ففي هذا القصص قدوة مثلى للرسول (صلى الله عليه وسلم) لتثبيت عزيمته أمام ما كان يلاقيه في سبيل الدعوة من جحود وحرب من أعداء الإسلام،وتسليته من مواقف الأذى والتكذيب ،فهي

---

(1) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه) عبد الكريم الخطيب ص ٤٣ .

(2) آل عمران / آية ٦٢ .

(3) انظر القصص القرآني في منطوقه ومفهومه) ص ٤٣ وانظر (بحوث في قصص القرآن) ص ٩٣ .

(4) يوسف/ آية ١١١ .

تروي أنباء الرسل الذين أرسلوا من قبله، وكيف لاقوا ما يلاقيه من جحود المشركين، وإنكارهم وتحديهم له، ومع ذلك صابروا وكابدوا هذا الجحود، وذلك النكران، إلى أن تبين لهم أنه لا خير يرجى من هؤلاء المكذبين، فدعوا ربهم بأن يهلك الكافرين فاستجاب الله لهم، وسحق الأمم المشركة وباؤا بغضب من الله.

ففي القصص إشارة واضحة إلى أن الله ينصر أنبياءه في جميع الأحوال، وإدراك هذا الأمر من دواعي الاطمئنان، وتثبيت الفؤاد، والتسرية عنه عما يلاقيه من عناء (1).

قال تعالى: "وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ (2)".

وقال تعالى: "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (3)".

وهذه القدوة لا يقصرها الله سبحانه على نبيه (صلى الله عليه وسلم) وحده ولكنها قدوة تشمل المؤمنين أجمعين ففي هذا القصص آيات بينات لمن أراد الاستقامة على طريق الحق وآثر الآخرة على الأولى.

قال تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (4)".

فالقصص على هذا هي حجة على الناس جميعاً، لأنها أداة علم وفكر وتأمل، فمنها نستطيع أن ندرك طريقة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في البحث عن الحق عن طريق التأمل والتفكر في الخلق.

قال تعالى: "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (5)". أما من زاغ قلبه وظلم نفسه واتبع نفسه هواها فقد باء بغضب من الله، واستحق وصف القرآن له بالحيرة والشقاء، قال تعالى: "وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا

---

(1) انظر (بحوث في قصص القرآن) ص: 100، (خواطر الفن والقصة) لعباس العقاد. ص 60 إلى ص: 63، (سيكولوجية القصة في القرآن) ص: 325.

(2) سورة هود / الآية: 120.

(3) سورة الأنعام / الآية: 57.

(4) سورة الأعراف / الآية: 35.

(5) سورة الأنعام / الآية: 130.

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

من هنا تتضح لنا الأهداف التي عني القصص القرآني بتحقيقها ليكون وسيلة ناجحة للتذكير والتبصير والاعتبار. كما قال سبحانه: بعد جملة من القصص في سورة الأنبياء ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (٢).

مميزات القصة القرآنية :-

المتأمل في القصص القرآني يجد أنه يعرض أحداثاً تاريخية مضى عليها الزمن فهي بذلك تعد من أوثق المصادر التاريخية لما تحتويه من أخبار الأمم السابقة، سواء أخبار الأشخاص أو الأحداث، فهي بذلك تعد القاعدة الأساسية، التي يمكن قيام الدراسات التاريخية الصحيحة عليها، فهي بعيدة كل البعد عن الرؤى والخيالات التي تسيطر على معظم المصادر التاريخية والأدبية، سواء كانت نثراً أو شعراً لأن هذه المصادر تعتمد على الخيال والتحليق والتوهم لإفادة الإثارة والتشويق والتلوين (٣).

بل أن القصص الأدبي لا يحسن إلا بخلط الحقيقة بالخيال، وكذلك الأمر في الشعر الذي لا يحسن إلاّ بالإغراق والمبالغة والغلو في الخيال، حتى أن العرب كانت تجعل ميزان الفتنة والإبداع في قولتها المشهورة "أعذب الشعر أكذبه" وليس الأمر كذلك في القرآن الذي يقوم جمال أسلوبه وإعجازه على سر البيان، وقوة الأخذ ودقة اللفظ، وتركيب العبارة، وعجيب التصوير، حتى استطاع بسحر بيانه أن ينطق تلك القلوب القاسية لتشهد له بالعظمة والإبداع، العجيب حتى أن بعضهم قالوا عندما سمعوا هذا البيان العجيب

---

(١) الأعراف/ آية ١٧٦ .

(٢) الأنبياء /آية ١٠٦ .

(٣) (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه) ص : ٣٩ . (بتصرف)

وهذا البيان البديع "إن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ،وإن له لحلاوة . . وإن عليه لطلاوة وما يقول هذا بشر (١) .

ولا عجب في هذا القول وتلك الشهادة فالله سبحانه وتعالى عندما خاطب نبيه في شأن هذا القصص،قال : "نَحْنُ نَقُصُّ عليك أَحْسَنَ الْقَصَصِ(٢) وقال أيضا : "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ (٣) "

ونحن لو تأملنا أحسن القصص الذي هو القصص الحق حق التأمل ،لوجدنا أن القرآن يطلق اسم القصص على الأحداث ،والوقائع التي حدثت في الزمن الماضي البعيد ،فهي بذلك تلتقي مع المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظ القصة ،كما تشهد به لغة العرب فالقصة مشتق من القص وهو تتبع الأثر (٤)

قال تعالى : عند حكايته لقصة سيدنا موسى على لسان أم موسى قولها لأخته عندما وضعت ابنها في مركب صغير في النهر :-

"وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ(٥) أي تتبعي أثره لتعرفي أين يصل أخوك .

ومن هذا المعنى ما جاء في القرآن عند وصفه لأمر موسى وفتاه،وقد تركهما الحوت فرجعا يبحثان عن الخضر بأن سلكا وتتبعا آثارهما التي خرجا منها قال تعالى : فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦).

وهذا المعنى نفسه يتردد في حكاية من قول يعقوب لابنه عندما سمع الرؤيا التي رآها في منامه ،قال تعالى : "لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ"(٧)فالقص بالأثر أشبه بما نعلمه

---

(١) (بحوث في قصص القرآن) السيد عبد الحافظ عبد ربه ص ٥١ (بتصرف) .

(٢) سورة يوسف /الآية : ٣ .

(٣) سورة آل عمران /الآية : ٦٢ .

(٤) يراجع الفصل الأول في هذه الرسالة

(٥) سورة القصص آية ١١ .

(٦) سورة الكهف / آية ٦٤ .

(٧) سورة يوسف / آية ٥

في عصرنا بقص الأثر، عند وقوع الجرائم، حيث نجد قاص الأثر يقوم بتصوير " البصمات " ورفع الآثار، وتصويرها ليضع يده على أصول الجريمة، ويكشف عمن قاموا بالجريمة، فكأنه بذلك أحيا الجريمة من جديد وأجلى خفاياها، وكأنه بعث تسلسل حلقاتها أمام الناظرين (١) .

ولعل اختصاص القصص القرآني بهذا اللفظ دون الحكاية، لأن في القصص بعثاً، وإحياء للقصة فكأنها تتمثل أحداثها للناظر، والمتأمل فيها من جديد، وكأنها حدثت منذ وقت قريب أما لفظ الحكاية فلا تعطي سوى اللغة دون التصوير، والبعث والإحياء (٢).

إذن فالقصة في القرآن إنما تتبع أحداثاً، وقعت في الزمن الماضي وقد أشار إليها القرآن بلفظ النبأ خلافاً مما أشتبه عند بعضهم بأن النبأ والخبر من أصل واحد وقد استعمل القرآن الكريم الخبر والنبأ بمعنى التحدث عن الماضي (٣) .

ففي النبأ والأنبياء قال تعالى، في أصحاب الكهف: ـ " نحن نقص عليك نبأهم بالحق (٤) ويقول سبحانه في شأن الأمم الماضية " ذلك من أنباء القرى نقصه عليك (٥) ويقول جل وعلا فيما يقص على نبيه من قصص الأولين : " تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا (٦)

ووجه الخلاف في اللفظين : أن النبأ هو المسمى الذي اختاره القرآن عند القص عن الأمم السابقة، على حين الخبر يتضمن إخباراً عن واقع الحال كإخبار القرآن بأمر المؤامرة

---

(١) (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه) ص ٤٥ (بتصرف) .

(٢) المرجع نفسه ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) المرجع نفسه ص (٤٥) .

(٤) سورة الكهف / الآية : ١٣ .

(٥) سورة هود / الآية : ١٠٠ .

(٦) سورة هود / الآية : ٤٩ .

التي حيكت للسيدة عائشة وكشف أمرها في (حديث الإفك) أو حديثه من أخبار الوقائع كوقعة بدر وأحد ،وحنين ،وبيعة الرضوان ،وصلح الحديبية ،أو متوقعات المستقبل كأحداث يوم القيامة قال تعالى : "يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (١)". وهذه الأمور لم يطلق القرآن عليها اسم القصص ـ كما ذكرت في السابق ـ والتي تعني تتبع آثار الماضين ،والالتفات إلى الوراء لا النظر إلى الأمام،وما يكون من أخبار المستقبل (٢) .

ويتفق القصص القرآني مع سائر القصص في أنه يحتوي على " شخص،وحوار ،وحدث (٣)" ولكن هذا الاتفاق الظاهر هو في الحقيقة خلاف وتميز في المضمون،فالقصص القرآني يتميز بالتركيز على الحدث لا على الشخص كما هو حاصل في القصص الأدبي أو التاريخي مثلاً ،فالأشخاص في القصص القرآني ـ أيا كانوا ـ ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم ،وكشف أحوالهم والتمجيد أو التنديد بأعمالهم وإنما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات كنماذج بشرية ،في مجال الحياة الخيِّرة أو الشريرة وفي صراع مع الخير والشر ،وفي تجاوبها أو تعاندها مع الأخيار والأشرار (٤) . حيث نجد الأديب أو الكاتب يحرك الأحداث لصالح البطل فشخصية البطل هي الأساس والهدف ذلك لأنه يتخذ من هذه الشخصية المنار الذي تتوجه إليه الأنظار وتعجب به ،ومن خلال شخصية البطل يصل الكاتب لقمة الإبداع بما يسبغه عليه من مزايا فريدة تفوق بها الشخصيات الأخرى وتظهر عليها،وهذا الاسباغ يتضمن التذويق والتخييل

---

(١) الزلزلة / آية ٤ ـ ٥ .

(٢) (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه) ص ٤٧ ١ .

(٣) (سيكولوجية القصة في القرآن) تهامي نقره ص ٣٤٨ .

(٤) (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه) ص ٤١ .

والكذب والالباس لتكوين هذه الشخصية الفريدة .
وهذا الأمر ترتفع عنه القصة القرآنية وتتميز بارتفاعها عن باقي القصص لأن مصب الاهتمام ليس على الشخصية في حد ذاتها، وإنما الاهتمام الأولى على الحدث فالعبرة لا تكون في الشخصية وإنما تكون في الحدث الذي وقع (١)
فالقصة القرآنية لا تهتفي خلق أبطال وشخصيات وهمية لا أساس لها من الواقع فهذا يخرج من مزية الصدق التي انفرد بها القرآن، ولأن القصة القرآنية تهدف إلى إبراز الحدث إذ فيه تكمن العبرة والموعظة ، ومعرفة الحدث وأثره هو ما يبقى في النفس الإنسانية ؛ لأن الإنسان يفتمل الأحداث ولا يفتمل الشخصيات، لذا كان مصب التقدير في الحدث لا في الشخصية .

ولعل هذا السبب هو السر الذي يكمن وراء تكرار الشخصية دون الحدث (٢) ، ومثالنا في ذلك قصة موسى عليه السلام ، حيث نجد شخصية موسى عليه السلام تتكرر ولكن في مواقف مختلفة ، وكل موقف يحكي حدثاً مغايراً للموقف الذي قبله ، وهذا الحدث هو في حقيقته استكمال حلقة من حلقات قصة سيدنا موسى. وقد جاءت القصص في أسلوب رائع يتّسم بالوصف الدقيق المصور كوصف نوح عليه السلام لاعراض قومه عن دعوته " وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا (٣) ".
أو بالمعاني المعبرة عن المشاعر والانفعالات والأحوال النفسية ، كما جاء في القرآن على لسان مريم وقد تمثل لها الملك رجلاً يفجؤها في خلوتها .

---

(١) انظر (سيكولوجية القصة في القرآن) ص ٣٤٩ .
(٢) (بحوث في قصص القرآن) ص ٥٥ .
(٣) سورة نوح / الآية : ٧ .

" قالت : إِنِّي أعوذ بالرَّحمن منك إن كنت تقيّاً (١) " وكقولها وهي تعاني ألم المخاض :
" يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْياً منسياً (٢) " .

وهكذا فإن التعبير الفني للقرآن في قصصه لا يخرج في جملته عن كونه تعبيراً عن النفس وتعبير النفس لا يكون إلا تعبيراً نلمحه في السلوك (٣) .

من هنا نستطيع أن نحيط بالمميزات التي انفرد بها القصص القرآني دون غيره من القصص فأغراضه وأهدافه وسماته وأصوله مختلفة كل الاختلاف عن أي قصص بشري ، ولا عجب في ذلك فهو كلام الخالق العظيم الذي يعلم السر وأخفى ، والذي جعل الكتابة خاصة الإعجاز في لفظه ونظامه .

---

(١) سورة مريم / الآية : ١٨ .

(٢) نفس السورة / الآية : ٢٣ .

(٣) انظر " سيكلوجية القصة في القرآن " ص ٣٥٠ .

وانظر " التعبير الفني في القرآن " تأليف : بكري أمين ص ٢٢٢ .

البيان النبوي وألوانه

لا نريد في هذه الصفحات القليلة ،أن نتناول البيان النبوي بالدراسة الأدبية، التي تبرز سماته البلاغية ،وألوانه التعبيرية ،وصوره البديعية ـ فقد تحدث في هذا الموضوع العلماء والأدباء قديماً وحديثاً ـ ومن هنا نقتنع بالإشارة الدالة .

وقد قال الجاحظ في وصف هذا البيان الذي بلغ حد الكمال البشري :

" هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ،وجّل عن الصنعة ،ونزه عن التكلف استعمل المبسوط في موضع البسط ،والمقصور في موضع القصر ،وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي ،فلم ينطق عن ميراث حكمة ،ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة ، وشد بالتأييد ،ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ،وهو مع استغنائه عن إعادته ،وقلة حاجة السامع إلى معاودته ،لم تسقط له كلمة ،ولا زلت له قدم ،ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ،ولا أفحمه خطيب ،بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ،ولا يحتج إلا بالصدق ،ولا يطلب الفلج إلا بالحق ،ولا يستعين بالخلابة ،ولا يستعمل المواربة ،ولا يهمز ولا يلمز ،ولا يبطئ ولا يعجل ،ولا يسهب ولا يحصر ،ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ،ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ،ولا أكرم مطلباً ،ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ،ولا أبين عن فحواه من كلامه (صلى الله عليه وسلم) [1] .

إن هذا الوصف الجامع للبيان النبوي ،وإن ظهرت فيه روعة الإعجاب ،وبدت منه العاطفة الغامرة ،إلا أنه إجمال لخصائص هذا البيان المبارك ،يستوجب التحليل المتعمق . فقد كان البيان النبوي نهجاً جديداً ابتعد بالنثر العربي عن مألوفه السابق الذي كان يؤود ، سجع الكهان ، ويعيبه نضوب العاطفة ،وجفاف المشاعر ،وتكرار المعاني .

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ١٤ .

وفي وصف الجاحظ لهذا البيان بأنه " جل عن الصنعة ونزه عن التكلف " تبدو السمة البارزة التي تميز البلاغة النبوية عن محاولات المتكلفين ،وصنعة المتصنعين ، فإن هذا البيان ينساب طبعاً عذباً لا تحس فيه أثراً للمعاناة أو التصنيع ،ولا ترى وراءه ميلاً لنيل الإعجاب أو تكلف الفصاحة ،كما أنه جاء في كل أحواله مناسباً لمقتضى الحال ، حكيماً في مواجهة الموقف فاستعمل " المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر". كما أن اختياره (صلى الله عليه وسلم)لمفرداته ،كان في الغاية القصوى من التوفيق والحكمة فقد " هجر الغريب الوحشي ،كما رغب عن الهجين السوقي ".

أما اجتماع المهابة والحلاوة لكلامه (صلى الله عليه وسلم) ـ كما وصف الجاحظ ـ فهو تعبير يصور هذه الخاصة المميزة للبيان النبوي ... في عذوبته وروعته " كما اجتمع له حسن الإفهام ،وقلة عدد الكلام " فهي سمات لبيان من آتاه الله جوامع الكلام ،وفجر من لسانه ينابيع الحكمة .

وقد كانت ملاحظة الجاحظ دقيقة إذ لفت الأنظار إلى أنه لا يستطيع ناقد مهما بلغ الجهد أن يجد في هذا البيان النبوي لفظة معيبة ،ولا تعبيراً يستدرك عليه ، ولا كلمة غيرها أولى منها : " لم تسقط له كلمة ،ولا زلّت له قدم ،ولا بارت له حجة ،ولم يقم له خصم ".

هذا مع استمساكه (صلى الله عليه وسلم) في بيانه بالمثالية الخلقية ،واجتنابه أساليب الغلبة الكاذبة والجدال بالباطل . ومن هنا كان تأثير هذا البيان المبارك نابعاً من جماله وصدقه ؛ فقد كان (صلى الله عليه وسلم) ؛ " لا يحتج إلا بالصدق ،ولا يطلب الفلج ـ أي النصر ـ إلا بالحق ،ولا يستعين بالخلابة ،ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز " فقد برئ من آفات المنطق الخادع والبلاغة المتكلفة ،والتفيهق الذي يزري بأصحابه .

وإذا كانت قيمة الكلام إنما تظهر بآثاره، فإن البيان النبوي هو أنفع كلام بشري سمعه الناس في هذه اللغة العربية على امتداد التاريخ !

فلم " يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً من كلامه (صلى الله عليه وسلم) " .

ولا ريب أن التعليل الصحيح لهذه البلاغة النبوية أنها هبة من الله سبحانه .. ليستعين بها (صلى الله عليه وسلم) على إبلاغ الدعوة، وتوضيح حقائق الإسلام، وبيان معاني القرآن .. ولهذا وصف الجاحظ البيان النبوي بأنه " قد حف بالعصمة وشد بالتأييد ويسر بالتوفيق" وإن كان بعض العلماء قد أشار في أسباب هذه الفصاحة إلى نشأته (صلى الله عليه وسلم) بالبادية ، كما قال القاضي عياض (رحمه الله) : " فجمع له بذلك (صلى الله عليه وسلم) قوة عارضة البادية وجزالتها ، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها ، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري " (1).

وقد أوجز القاضي عياض خصائص البلاغة النبوية إذ قال : " وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان (صلى الله عليه وسلم) من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكليف ، أوتي جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب " (2) .

وقد شرح الأستاذ الرافعي جوانب الإبداع والتفرد في بيانه (صلى الله عليه وسلم) ، وحدا في ذلك حذو الجاحظ كقوله : " ومعلوم أنه (صلى الله عليه وسلم) لا يتكلف ولا يتعمل ، ولم يكتب ، ولم يؤلف ، ومع هذا لا تجد في بلاغته موضعاً يقبل التنقيح أو تعرف له رقة من الشأن ، كأنما بين الألفاظ ومعانيها في كل بلاغة مقياس وميزان(3)".

وهو يفسر هذا الوضوح البياني العجيب في بلاغته (صلى الله عليه وسلم) بالنبوة ، إذ يقول : " ثم لا تنس أن النبوة أكبر السبب في ذلك الوضوح البياني العجيب ، فإن الحياة لا تستغلق في البلاغة بإنسان إلا وهي غنية عنه (4)" .

---

(1) الشفا للقاضي عياض ص ٦٢ .

(2) المرجع السابق ص ٥٧ .

(3) وحي القلم ٣ : ١٩ .

(4) المرجع السابق ٣ : ١٩ .

كما يوضح أن مصدر المعاني النبوية الحكيمة " إنما هو الوحي .. وليس تأمل الطبيعة كسائر الأدباء ثم هو (صلى الله عليه وسلم) ليس كغيره من بلغاء الناس: يتصل بالطبيعة ليستملي منها ،بل هو نبي مرسل متصل بمصدرها الأزلي ليملي فيها (١) ".

ولكن الرافعي كان مجدداً في بحثه ،عن الفارق بين البلاغة النبوية .. وتلك الفنون التي يتبارى فيها الأدباء .. فيعلل لاجتناب البيان النبوي للوصف الخيالي ،أوتناول العواطف التي يعالجها الأدباء الذين يبتغون الخلابة والتأثير ،بأن هذا من جنس انتفاء الشعر عنه (صلى الله عليه وسلم) لأنه لا ينبغي له : " فيظن من لا يميز ولا يحقق أن خلو البلاغة النبوية من فن وصف الطبيعة والجمال، والحب دليل على ما ينكره أو يستجنيه ،ويقول : بداوة وسذاجة ونحو ذلك مما تشبهه الغفلة على جهلة المستشرقين ومن في حكمهم من ضعاف أدبائنا وجهلة كتابنا ،وإنما انتفى ذلك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) لانتفاء الشعر عنه ،وكونه لا ينبغي له فعمله أن يهدي الإنسانية لا أن يزين لها ،وأن يدلها على ما يجب في العمل لا ما يحسن في متعة الكلام،وأن يهديها إلى ما تفعله لتسمو به ،لا إلى ما تتخيله لتلهو به (٢) ".

وقد كان للرافعي (رحمه الله) .أسلوب متميز في تناوله للبلاغة النبوية ،استعمل فيه بعض مصطلحاته التي انفرد بها كقوله في المفارقة بين الأدب النبوي وأدب الخيال : " ومن كان أكبر عمله انشاء الحقائق الإنسانية ،وتقريرها شريعة وعاطفة وأعمالاً ،فلا جرم كان فنه غير الذي أكبر عمله تمويه تلك الحقائق ،وزخرفتها ليقع الإحساس به على غير وجهها " وهو الذي وصف الأسلوب النبوي بأنه أسلوب " عصبي " وفسر هذا الأسلوب العصبي بأنه الذي " لا يضطرب به الضعف ولا تزايله الحكمة ،ولا تخذله الروية ،ولا يباينه الصواب ،بل يخرج رصيناً غير متهافت ،متسقاً غير متفاوت ،لا يغلب على النفس التي خرج منها ،بل تغلب عليه ،ولا تسترسل به المخيلة ، بل يضبطه العقل ،ولا يترتب به

---

(١) وحي القلم ٣ / ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ٣ : ٢٢ .

الهاجس بل يحكمه الرأي ، ولا يتدافع من جهاته ، ولا يتعارض من جوانبه ، بل تراه على استواء واحد في شدة وقوة واندفاع وتوفيق (١) "

ولا نرى وجهاً لهذا الوصف ... إلا أن يراد به القوة والجزالة والوضوح .. لكن الرافعي يرى أنه " قلما يكون أبلغ الناس وأفصحهم في كل دهر إلا عصبياً على تفاوت في نوع المزاج وحالته ، فإن من الأمزجة العصبي البحت والمنحرف إلى مزاج آخر .. ولكل من النوعين حالة قائمة بالكلام وصفة خاصة بالأسلوب (٢) " .

وقد كان الرافعي (رحمه الله) مولعاً بالحديث عن الحالة النفسية وأثرها في الكلام .

ومن هنا نراه يفسر الإيجاز النبوي بأنه أثر من الكمال النفسي النبوي ، وغلبة فكره (صلى الله عليه وسلم) على لسانه ؛ " ومن كمال تلك النفس العظيمة ، وغلبة فكره (صلى الله عليه وسلم) على لسانه قبل كلامه وخرج قصداً في ألفاظه ، محيطاً بمعانيه تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها ، فلا ترى من الكلام ألفاظاً ، ولكن حركات نفسية في ألفاظ (٣) " وهو الذي تحدث في كتابه إعجاز القرآن ، عن الطريقة النفسية في الطريقة اللسانية .

ولهذه البلاغة النبوية العالية ألوان متعددة

فمنها الخطبة ، والرسالة ، والحديث ، والوصية ، والموعظة ، ومنها القصة ، وهي التي نستهدف بيان مصادرها ، وألوانها وخصائصها في هذا البحث

---

(١) إعجاز القرآن ص ٣٠٠ .
(٢) "نفس المرجع" للرافعي ص ٢٦٢ .
(٣) تاريخ آداب العرب" للرافعي ٢ : ٣٠٠ "

أدرك (الرسول صلى الله عليه وسلم) أثر القصة العجيب في النفس الإنسانية لما فيها من جذب للقلوب ، واستمالة للنفوس ، ومسايرة للفطرة ، فكان أول من ترسم هدي القرآن فاستخدم القصة للإبانة عن أصول الدعوة وتفصيلها ولإيضاح المبهم وتفصيل المجمل[1] فالقصة النبوية امتداد وبيان للقصص القرآني وهي كقصة الأصل لا تجنح إلى الخيال الشارد الجموح ، ولا للتعمق المفلسف الغامض ، ولا للسطحية الفارغة الجوفاء المغطاة بقشرة خالية من بديع العبارة ... وتكتفي كل الكفاية في تقرير الغرض ، وتروع كل الروعة في تسلسل الأحداث ، ولباقة الحوار ، وتصور الأشخاص ، وتنسج فكرتها من أجناس النفوس الكائنة الحية ، فلا تعالج أنماطاً منها في عالم مجهول ، فإن جنحت إلى عالم غير منظور بنته على تهاشير الحاضر الشاهد به ، فربطت بينهما بسببية تمنع الطفرة ، وألفة تؤنس بالرحلة ، وهي في ذلك كله وفي غيره الوسيلة المشتهاة للنفس الطلقة ، والأسلوب الرائع المخدر للوجدان ، تجوس معه حكمة الطبيب الرؤف في القلب تتطلع وتتصل ، ليصحو من صورة حلم ورحلة على حقيقة قلب وصحة اعتقاد "[2]

وهي على ذلك بعيدة كل البعد عن القصة الأدبية الفنية التي وضع لها الأدباء القواعد الفنية في البناء والمعالجة ، ولا غرابة في ذلك فالقصة النبوية ذات مصدر خاص ، وهدف خاص مغاير للمصادر التي تقوم عليها القصص الأدبية الفنية ، فهذه قوامها على الخيال المحلق السابح والتوهيم والتخييل ، في حين القصة النبوية مصدرها الوحي . "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ"[3]

---

(1) انظر " بحوث في قصص القرآن " ص ٨٧ . وانظر " القصص في الحديث النبوي " ص ٥٣ .

(2) انظر " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " د . عزالدين السيد . ص : ٤٤١ .

(3) سورة النجم / الآية : ٣ .

وهدف القصة الأدبية الامتاع وإثارة الخيال ، وهذه هدفها التربية والإرشاد والتعليم الإلهي القويم والتوجيه إلى المثل العليا ، واستلهام الحكمة والموعظة ، وتعليم أصول العقيدة الصحيحة ، فشتان بين القصتين فمصادرهما مختلفة وأهدافهما مختلفة .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حريصاً على أن يتعهد أصحابه بالقصة يعظهم بها ويذكرهم .

روى الدارمي في سننه : " عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت كردوساً وكان قاصاً يقول : أخبرني رجل من أهل بدر أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : لأَنْ أَقْعُدَ فِي مِثْلِ هٰذَا الْمَجْلِسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ . قَالَ : قُلْتُ أَنَا : أَيُّ مَجْلِسٍ يَعْنِي قَالَ ؛ كَانَ حِينَئِذٍ يَقُصُّ ، قال أَبُو مُحَمَّدٍ : الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ هُوَ عَلِيٌّ " (1) .

وجاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد ثنا شعبة عن أبي التياح . قال : سمعت أبا الجعد يحدث عن أبي أمامة قال : خَرَجَ رَسُولُ اللّٰهِ (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) عَلَى قَاصٍ يَقُصُّ فَأَمْسَكَ فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) قُصَّ فَلَأَنْ أَقْعُدَ غدوة إِلَى أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ " (2) .

كما بين ابن الجوزي في كتابه " القصاص والمذكرون " أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أمر أن يقص على المسلمين " سيد الكل نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد قيل له " فاقصص القصص " وقيل : فذكر إنما أنت مذكر " (3) .

فالقصة النبوية هي ينبوع فياض يفيض بألوان من المعرفة، ويكشف عن حقائق تاريخية هي في حقيقتها تفصيل وتفسير لما جاء في القرآن الكريم كقصة " الملك والساحر والغلام " (4) .

---

(1) سنن الدارمي ٢ : ٢٢٧ .

(2) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٢٦١ -

(3) " القصاص والمذكرون " لابن الجوزي ، ص ٤٢ .

(4) انظر نص القصة رقم (٢٥) في هذه الرسالة .

التي جاءت تفصيلاً وتفسيراً لقصة أصحاب الأخدود التي جاءت في سورة البروج .

وقد يكون القصص النبوي تعليمياً لتوجيه الناس إلى أفضل الأعمال، وأحسن الهدى كقصة " الرجل والكلب اللاهث " (١) . أو قصة الموسس والكلب " (٢) . أو " قصة الكفل " (٣) .

وقد يصور القصص النبوي نماذج إنسانية ، ابتليت في حياتها فآمنت ، ورضيت بقدر الله المقدور ، وتوجهت إليه طلباً للرحمة واللطف .

وفي هذه القصص دروس حية لتعليم النفس الإنسانية ، وتربيتها التربية الربانية السليمة ، وفيها إثبات صريح بأن المؤمن معرض للابتلاء ، وأن الثبات على العقيدة دليل على النجاح الأكيد في أمر الابتلاء .

ولهذه القصص أمثلة كثيرة كقصة " جريج العابد " (٤) . الذي ابتلى في أمر دينه كذباً وافتراءً من قبل بغي من بغايا إسرائيل ادعت عليه فرية افترتها عليه فأظهره الحق عليها، وعلى قومها الذين صدقوها ، أو كقصة " الأقرع والأبرص والأعمى " (٥) الذين امتحنهم الله في عقائدهم ، فخرج الأقرع والأبرص وقد لبسا ثياب الخزي والعار جزاء لهما على مابدا منهما من جحود ونكران ، وخرج الأعمى بالفوز والنجاح في الدنيا والآخرة .

أو تكون قصصاً تكشف عن بعض أحوال الأمم السابقة ، ومثال ذلك قصة " تقسيم الغنائم (٦) .

---

(١) انظر نص القصة رقم - ٣٣ - في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم - ٤١ - في هذه الرسالة .

(٣) انظر نص القصة رقم - ٣٦ - في هذه الرسالة .

(٤) انظر نص القصة رقم - ٢٤ - في هذه الرسالة .

(٥) أنظر نص القصة رقم - ٣١ - في هذه الرسالة .

(٦) انظر نص القصة رقم - ١١ - في هذه الرسالة .

للامم السابقة فقد كان النبي من الانبياء السابقين إذا غـــزا مع قومه ،لم يكن لهم في الغنائم حق ،فكانت تجمع ثم تأتي نار من السماء لتأكلها ،ولم تحل الغنائم إلا لأمة محمد (صلى اللـه عليه وسلـم) أو كقصة " المؤمن والمنشار " (١) التي تبين ما كان يصيب المؤمنين الذيـن استمسكوا بدينهم ورفضوا الخروج عنه ،فكان المشركون يقومون بحفـر حفرة في الأرض يوضع فيها المؤمن فيجاء بمنشار فيوضع على رأسه فيجعل بـه نصفيـــن .

وقد تكون قصصاً تتسم بالترهيب من الخطايا التي قد تصدر من الإنسان عن جهل وبيان مصير من يقع فيها ردع لوسوسة الشيطان .

ومثال ذلك قصة " الرجل الذي خسف به الأرض " (٢) فهو يتجلجل إلـى يوم القيامة ،وذلك بسبب خيلائه واعجابه بنفسه ،وقصة المرأة التـي دخلت النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض (٣) .

ومن هنا نستطيع أن ندرك أهمية هذا اللون من البيان النبوي الـذي حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الأخذ به ،أسلوباً من أساليب نشر الدعوة الإسلاميـة .

---

(١) انظر نص القصة رقم (٢٣) في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم (٢٧) في هذه الرسالة .

(٣) انظر نص القصة رقم (٤٢) في هذه الرسالة .

"المفهوم الفني للقصة النبوية"

القصة في الحديث النبوي شأنها شأن القصة القرآنية "ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الحال في القصة الفنية التي ترمي إلى أداء غرض فني مجرد"(1) إنما هي وسيلة من وسائل الدعوة والتربية الإسلامية السمحة التي تهدف إلى إقامة صرح الإيمان والاستقامة .

" ولما كان البيان النبوي متأثراً في أهدافه وأساليبه بالقرآن الكريم ، كان لذلك النوع الأدبي فيه نصيب متميز"(2) فكانت إحدى وسائله لإبلاغ الدعوة وتثبيتها في قلوب المؤمنين وقد خضعت القصة في الحديث النبوي في موضوعها،وفي طريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض والأهداف الدينية ، ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني ووفائها بهذا الغرض تمام الوفاء "لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها فكانت في ذلك متبعة لنهج القصة القرآنية . . ولنسق البيان القرآني كله ، فقد لوحظ أن الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فهو يخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية (3)"

وقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) أول من سلك مسلك القرآن الكريم،وترسم خطاه في اتخاذ القصة وسيلة من وسائل التربية والتوجيه،وتصوير المبادئ في صورة حية مشرقة ، ولم تخرج القصة النبوية عن مفهوم القصة كما عرفها العرب،وكما جاءت في القرآن الكريم،وهو تتبع الأحداث الماضية وإبراز جانب العبرة فيها .

فالقصة النبوية تتناول أخبار الماضين وأحداث الأولين سواء كانوا من الأنبياء أو من أقوامهم أو شخصيات إنسانية خيرة أو شريرة معروفة أو غير معروفة ، تخلو من التحديد الزماني والمكاني .

ومن هنا فإنه لا يجوز إطلاق اسم القصص النبوي على الأحاديث التي تتناول مشاهد القيامة وأحوال الجنة والنار ، أو التي تتحدث عن الفتن والملاحم التي تقع في آخر الزمان .

---

(1) التصوير الفني للقرآن "لسيد قطب . ص ١١٧ .

(2) الحديث من الوجهة البلاغية " ص : ٤٤١ .

(3) التصوير الفني للقرآن " ص ١١١ .

مما أطلع الله رسوله عليه كذلك خرج منها وقائع السيرة النبوية ، فإن هذه الوقائع تسجيل تاريخي لأحداث شاهدها الصحابة (رضوان الله عليهم) فهي من قبيل التاريخ المدون وليست من قبيل القصة الفنية ذات الهدف الجمالي التي يُراد منها العظة — والعبرة . فالمفهوم الصحيح للقصة القرآنية هو الذي يدلنا على المفهوم الفني للقصة النبوية " للقصة في القرآن الكريم مفهوم يحدده ماورد فيه من أنباء خاصة سيقت على وجه العبرة للمصدقين والردع والزجر للمكذبين ، فهي توجه الأولين إلى الثبات على الحق والاستزادة من عمل البر والخير، وهي محدودة في الدائرة التي علِمَ الله سبحانه حاجة العباد إلى التعريف بمضمونها، وذلك كأنباء الأنبياء مع أقوامهم أو غير أقوامهم ، وكأنباء غير الأنبياء في تلك الدائرة . . . وإن القصص القرآني في نظمه ومادته لم يشتمل أبداً على شيء من واقع الحال . أو من توقعات المستقبل . . . ضرورة أن هذا القصص من قبيل الأنباء أي الأخبار التي شط الزمن وبعدت بها دهوره وعصوره، ولهذا فهي من أنباء الغيب . . . وأيضاً ليس من وظيفة القصة في القرآن تصوير الأحداث الدائرة في محيط الدعوة . ولا تصوير الأحداث المستقبلية التي تتنبأ بانطلاق هذه الدعوة وظروفها عبر المستقبل ".(١)

وهذا المفهوم هو الذي تدل عليه لغة العرب " فإن اشتقاق القصة اللغوي يعني البحث عن الآثار وتتبع الأخبار، ولا يكون ذلك إلا للشيء السحيق العميق الذي ضرب في ضمير الماضي وأوغل في أطوائه وأحنائه، وضرب في متاهات الدهور والأحقاب فليس من المعقول أو المتوقع أبدا إقحام الأحداث الجارية أو الآتية طي الأسلوب القصصي في القرآن . ذلك لأن القصص ليس مجرد أحداث تروى وتحكى . وإنما هي أحداث — تتفاعل وتتحرك وتلد العبر والعظات (٢) ومع أن الباحث الفاضل الذي نقلنا عنه هذا الرأي كان على وعي بهذا المفهوم الصحيح للقصة في القرآن لكنه نسي هذا المقياس

---

(١) " بحوث في قصص القرآن " تأليف السيد عبد الحافظ عبد ربه . ص ٤٤ — ٤٥

(٢) المرجع السابق ص : ٤٦ .

الذي حدده عند التطبيق ، إذ اعتبر أحداث عصر النبوة التي ذكرت في القرآن نوعاً من القصص القرآني ، وذلك مايتضح في قوله " ومن المناسب في هذا المقام التنبيه إلى أن قصص القرآن الكريم لا يختص بأخبار الماضين، ولكنه يقص أحداثاً وقعت في عهد النبوة كبدر وأحد ... وحنين ... وبيعة الرضوان ... وغزوة تبوك وحديث الثلاثة الذين خلفوا ... "(١) . ويمكننا أن نقول إن أحداث عصر النبوة التي ذكرت في القرآن إنما جاءت لتسجيل التوجيه القرآني حيالها، وليس ذلك من قبيل التسجيل التاريخي ، ولا هو من القصص القرآني الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى عندما أشار لقصة مريم ابنة عمران " ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ " (٢) وأيضاً بعد أن قص القرآن قصة نوح عليه السلام ـ عندما أرسل لقومه قال تعالى " تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ " (٣) كذلك بعد ذكره تعالى لقصة يوسف عليه الصلاة والسلام قال تعالى " ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ " (٤) .

هذا وإن كنا نجد في سورة الأنفال سياقاً كاملاً لموقعة بدر، فهذا وإن اعتبر ـ سياقاً قصصياً عند الأجيال اللاحقة فإنه لم يكن كذلك في العصر الذي نزل فيه القرآن ـ ذلك لأن موقعة بدر احتوت على التوجيهات الربانية للمسلمين عند القتال والأمور التي تجب مراعاتها ليكونوا خير أمة أخرجت للناس كالحذر من الفرار في الحرب إلا في موقفين عند مخادعة العدو بإظهار الفرار ثم الكر والانقضاض عليه وقطع دابره، أو عند الالتحاق بفئة أخرى لمقاتلة العدو .

وفيها أيضاً يأمرهم بالوحدة والاعتصام بحبل الله كي لا يفشلوا وتذهب ريحهم ، كما أن ـ فيها التوجيه الرباني لكيفية تقسيم الغنائم، وهي مسألة تشريعية قال تعالى " واعلموا

---

(١) المرجع السابق . ص : ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران / الآية : ٤٤ .

(٣) سورة هود / الآية : ٤٩ .

(٤) سورة يوسف / الآية : ١٠٢ .

إنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير". (١)

من هنا نجد أن غزوة بدر في القرآن لم يقصد بها أن تكون من القصص القرآني الذي أريد به العبرة والموعظة، وتسلية الرسول عما كان يلاقيه في دعوته، بل كان المقصود منها أمرًا آخر يتمثل في بيان التوجيهات الإلهية للرسول خاصة وللمسلمين عامة لتكوين المجتمع الإسلامي في جهادة ومعاملاته ومبادئه .

وكذلك ذكر القرآن غزوة أحد، ولم يقصد بها حكاية قصة الغزوة وإنما أراد تعليم المسلمين عواقب الرغبة في الدنيا ونسيان الأمر الذي صدر إليهم قال تعالى "إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٢٢) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (١٤١) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (١٤٢)". (٢)

كذلك الأمر بشأن ماورد عن غزوة حنين في القرآن فلم يقصد بذلك حكاية الغزوة ، أو تسجيل تاريخها ، بل استخلاص العبرة وبيان فضل الله تعالى على رسوله (صلى الله عليه وسلم) إذ أنزل على قلبه السكينة وأيده بجنود من الملائكة حتى كان النصر حليفه قال تعالى : "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٢٥) ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦)". (٣)

وهذه الحقيقة هي المقصد من ذكر غزوة حنين بدليل أنه لم يذكر العدد أو تفاصيل المعركة .

وكذلك أمر بيعة الرضوان ، التي أشار إليها القرآن تكريمًا لأصحاب البيعة ، وبيان

---

(١) سورة الأنفال / الآية : ٤١ .

(٢) سورة آل عمران / الآية : ١٢٢ - ١٤١ - ١٤٢

(٣) سورة التوبة / الآية : ٢٥ - ٢٦

رضاه سبحانه على أولئك المؤمنين الذين قال فيهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) هم خير أهل الأرض وأثابهم الله على جهادهم بالفتح القريب والمغنم الكثير .

وقد جاء في مسلم : عن سفيان عن عمرو عن جابر قال : "كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفاً وَأَرْبَعَمِائَةً فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ وَقَالَ جَابِرٌ لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ لأَرَيْتُكُمْ مَوْضِعَ الشَّجَرَةِ"(1) ومن هنا فهي ليست قصة من قصص القرآن وليست تسجيلاً تاريخياً لها ، وأما غزوة تبوك فقد وردت الإشارة إليها في القرآن فضحاً للمنافقين الذين اعلنوا إسلامهم ، وعندما طلبوا للجهاد تقاعسوا بأعذار واهية . أمثال الجد بن قيس عندما دعاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) للغزو فاعتذر بخوفه من أن يفتن بنساء الروم فأعرض عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) فنزل فيه قوله تعالى : "وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ"(2) ومنهم من تقاعس بسبب الحر فرد عليهم القرآن "وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"(3)

ولهذا نلحظ أن غزوة تبوك لم تعرض تفاصيلها ولم يذكر فيها شيء عن الروم أو نتائج الغزوة وإنما كان القصد متجهاً إلى كشف المنافقين الذين دُعوا للقتال .

وقد اعتبر الباحث الفاضل ما جاء في شأن الثلاثة الذين خُلِّفوا من القصص القرآني مع أننا نعلم أن الله سبحانه وتعالى عند ما أكرمهم ، بإعلان توبته عليهم ورحمته بهم لم يقصد حكاية قصتهم لأنها كانت معروفة بين الصحابة .

ومن هذا القبيل حادثة الإفك المعروفة وكيف برأ الله سبحانه عائشة (رضي الله عنها) مما افتراه عليها المفترون ، وكذلك ما جاء عن خبر أبي لهب وموقفه من دعوة الإسلام .

---

(1) صحيح مسلم " (باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال) ٤ : ٥٢٤
(٢) سورة التوبة / الآية ٤٩ .
(٤) سورة التوبة / ٨١ - ٨٢ .

هذا ونستخلص مما سبق أن أخبار السيرة النبوية لا يمكن بحال من الأحوال أن تعد من قبيل القصص سواء جاءت في القرآن أو في السنة وإن كانت بالنسبة إلينا في الوقت الحاضر تعد قصة إلا أنها لا تعد كذلك في زمن نزول الآيات البينات فلم يكن القصد قص الحكاية، وإنما القصد هو التوجيه والتأديب والاستفادة من هذه الدروس عن طريق الأحداث.

وقد وقع في هذا الخطأ أيضًا باحث آخر تصدى لبحث موضوع "القصص في الحديث النبوي" وجعله موضوع رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير (1) من كلية الآداب - جامعة القاهرة، حيث نراه يعتبر السيرة النبوية من القصص النبوي، ومن العجيب أنه في مقدمة كتابه المذكور قد عاب على مؤلفين قاما بجمع نصوص القصص النبوي في كتاب لهما (٢) حيث قال: "والمؤلفان في هذا الكتاب لم يصدرا عن مفهوم واضح للقصص، ووقعا في خلط شنيع بين القصة النبوية التي هي من قول الرسول وبين قصة النبي (صلى الله عليه وسلم) التي هي من تاريخه وتاريخ صحابته الكرام." (٣).

ولكننا نجد الباحث يقع في نفس الخلط الذي عابه على صاحبي كتاب "القصص النبوي" فنجده عند حديثه عن علاقة الراوي بأحداث العمل القصصي وشخصياته يقول: "فيكون الراوي متحدثًا عن نفسه في القصة وكأنما هو يكتب مذكرات، ويقص بعض تجاربه التي مرت به، كما نجد مثل ذلك في القصص الواقعة للرسول (صلى الله عليه وسلم) (٤).

وقد ساق الباحث الكثير من الأمثلة على أنها من القصص في حين أنها من أخبار السيرة النبوية.

ومن هذا القبيل ذكر الباحث حديثًا جعل عنوانه "شق الصدر" حيث نجده يقول معلقًا "وفي القصة التي تحدث فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أول شأنه

---

(١) هو الأستاذ "محمد بن حسن الزير" في مؤلفه "القصص في الحديث النبوي" دراسة فنية موضوعية الطبعة الأولى (عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م).

(٢) هو كتاب (القصص النبوي) للسيد شحاته والسيد تقي الدين. دار النهضة بالقاهرة.

(٣) القصص في الحديث النبوي "المقدمة: ٢٨.

(٤) المرجع السابق. ص: ٢٠٠.

وما حصل له من شق صدره وغسل قلبه بالماء والثلج ...... (1).

وفي موضع آخر يذكر " المعراج " على أنه قصة فيقول " وفي قصة المعراج " يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مقدمتها (2). " بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ ، وَرُبَمَا قَالَ فِي الحِجْرِ مُضْطَجِعًا ، إِذْ أَتَانِي آتٍ ..... (3) " (4) وفي موضع آخر يستشهد بحديث جعل عنوانه " الشهب " هذا نصه " عن ابن عباد قال : أخبرني رجل من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) من الأنصار أنهما بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رُمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم). مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، كُنَّا نَقُولُ : وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) فَإِنَّهُ لَا يُرْمَىٰ بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ .... الخ (5).

وفي موضع آخر يورد حديثًا جعل عنوانه " الله يعصمك " (6) جاء في نصه " إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِي ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ ، فَقَالَ لِي : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : قُلْتُ اللهُ : ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي : قَالَ: قُلْتُ : اللهُ قَالَ : فَشَامَ السَّيْفَ ؟ (7)

---

(1) المرجع السابق . ص ١٠٠ .

(2) المرجع السابق . ص ٨٩ .

(3) صحيح البخاري " ٥ : ٦٦-٦٩ .

(4) القصص بالحديث النبوي) ص ٩٦ .

(5) صحيح مسلم ٤ : ١٧٥٠ - ١٧٥١ .

(6) القصص في الحديث النبوي ص ١٩٤ .

(7) صحيح مسلم " ٤ : ١٧٨٦ - ١٧٨٧ .

وفي موضع آخر يورد حديثًا اسماه " صوت من السماء "[1] وفيه حديث عن ذهاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف لعرض دعوته جاء نص الحديث : " لَقَدْ لقيت من قَومِكَ مَالَقيتُ ، وكَانَ أشَدَّ مَالَقيتُ مِنْهُمْ يَوم العقبة ، إذ عرضْتُ نَفْسِي عَلى ابن يَاليل بن عبد كلال فلَمْ يُجبْني إلى مَاأرَدتُ ، فانْطَلَقْتُ وأنَا مَهْمُومٌ عَلى وَجْهِي ، فَلَمْ أسْتَفِقْ إلاّ وأنَا بِقَرْنِ الثَعَالِب ، فَرَفَعْتُ رَأسِي ، فإذَا أنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أظَلَّتْني ، فَنَظَرْتُ فإذا فيها جبريل ، فَنَادَاني فَقَالَ : إنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَارَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأمُرَه بِمَا شِئْتَ مِنْهُمْ ".[2]

ويورد في موضع آخر قصة في حديث جعل عنوانه " سلام عليكم بما صبرتم "[3] والنص جاء كما يلي : " هَلْ تَدْرُونَ أوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ؟ قَالُوا : اللَّهُ ورسوله أعلمُ ، قَالَ : أوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الفُقَرَاءُ وَالمُهَاجِرُونَ ".[4]

وفي موضع آخر يعتبر رؤيا الرسول (صلى الله عليه وسلم) قصة أسماها " مدينة الذهب والفضة "[5] جاء في النص " أتَانِي اللَّيْلَةَ آتيان فَابْتَعَثَانِي ، فَانْتَهَيْنَا إلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ فَتَلَقَانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأحْسَنِ مَاأنْتَ رَاءٍ ، وشطرٌ كأقبح مَاأنْتَ رَاءٍ ، قَالاَ لَهُمْ اذْهَبُوا فَقَعُوا في ذَلِكَ النَّهْرِ فَوَقَعُوا فيه ، ثم رجعوا إلينا ، قد ذهب ذلك السوءُ عَنْهُمْ فصَارُوا في أحْسَنِ صُورَةٍ ... الخ "[6] كما نراه يورد قصة أخرى بعنوان " المَسْئُولِيَّة والجَزَاءُ "[7] في حديث عن سمرة بن جندب قال : كَانَ النبي (صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذَا صَلَّى صَلاَةً أقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ : مَنْ رَأى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤيَا ؟ قَالَ : فَإنْ رَأى أحدٌ قَصَّهَا ، فيَقُولُ مَاشَاءَ اللهُ ، فَسَألَنَا يَوماً فَقَالَ : هَلْ رَأى أحد منكم رُؤيَا ؟ قُلْنَا : لاَ ، قَالَ لَكِني رَأيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتَيَانِي ... الخ[8]

(١) القصص في الحديث النبوي ص - ١١٧ .
(٢) صحيح البخاري ٤ - ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٣) القصص في الحديث النبوي ص ٩٤ .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ١ - ٧٦ ، ٧٧ .
(٥) القصص في الحديث النبوي ص ١١٠ .
(٦) صحيح البخاري ٦ - ٨٧ .
(٧) القصص في الحديث النبوي ص ٩٣ .
(٨) صحيح البخاري ٢ - ١٢٦ ، ١٢٧ .

وهكذا يمضي الباحث المذكور في ذكر أمثال هذه الشواهد من السيرة النبوية على أنها من القصص النبوي، وهذا من الخطأ البين الذي يأباه مفهوم القصة اللغوي كما يأباه مفهومها الفني ، فالقصة بمعناها اللغوي كما سبق أن بينا - تعني تتبع الأثر وحكاية ماوقع . ومعناها الفني يدور حول حكاية حدثت في الماضي تساق بأحداثها وشخصياتها لغرض تربوي أوجمالي ، بمعنى أنها تصور لنا الأنماط البشرية وترسم ملامح النماذج الإنسانية .

هذا التصور الذي نراه لمفهوم القصة مطابق لمفهوم القصة في العصر الحديث " والقصة في العصر الحديث قد تخلصت من الأمور الغيبية ، وخلصت لمعالجة الإنسان وشئونه ، كما تخلصت من الموضوعات التي أساسها الخيال المحض ، فصارت تعالج الواقع الإنساني النفسي والاجتماعي ، على اختلاف في مذاهبها الفنية الحديثة) واتفاق في مبادئ وأصول فنية عامة، والقصة تهتم على الأخص بالوصف، لا أقصد وصف الأشياء ولكن وصف الحياة والأشخاص ومجال الأحداث التي يمررها ، وتهتم كذلك بصراع الشخصيات النفسي في هذا المجال لتحقيق مايقومون به من أعمال .

والقصة - في معناها الحديث - أهمية حاضرة ، حتى إذا عالجت الماضي لم يكن ذلك تفننًا بالماضي فحسب .... بل لابد أن يكون لهذا الماضي أهمية حاضرة ، اي أنه ماضينا الذي يثير جوانب حاضرنا أو يكون قالبًا عامًا لقضايانا، أو يدفع به إلى الأمام .

---

(١) " القصص في الحديث النبوي" ص ١٦٢.

(٢) "صحيح البخاري " ٤ : ١٣٩ - ١٤٠

(٣) " النقد الأدبي الحديث" د . محمد غنيمي هلال ص ٤٩٢ .

ونختصر القول في تعريف القصة إنها مجموعة أحداث مرتبة ترتيباً سببياً ، تنتهي إلى نتيجة طبيعية لهذه الأحداث وهذه الأحداث المرتبة تدور حول موضوع عام ، وهو التجربة الإنسانية .(١) ويتفق في هذا المفهوم باحث آخر فيقول : " القصة مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب ، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة ، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة ، على غرار ماتتباين حياة الناس على وجه الأرض . ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثر والتأثير"(٢)

ونميل إلى القول بأن جوهر القصة تصور الحياة بما فيها من نماذج بشرية ، وتحليل أحاسيسها ومعرفة نفسياتها وتشريحها .

وهذا التعريف يتمثل في مفهوم الحكاية التي كانت العنصر الأساسي في المقامة التي ابتدعها بديع الزمان الهمذاني في مقاماته " فقد استطاع بديع الزمان أن ينفذ من نموطائفة المكدين في عصره، وما اشتهرت به من حيلها إلى صنع مقاماته . ويسوق البديع هذه المقامات في شكل قصص دراميه صغيرة ، ويمكن أن تعتبر المقامات كلها قصة واحدة تعبر عن أطوار مستقلة من حياة بطلها أبي الفتح الاسكندري ، أو قل إنها تعبر عن حوادث مستقلة من أيامه صيغت في أسلوب قصصي يشيع فيه الحوار ، وفيها نرى أبا الفتح يحتال على الناس بطرق مختلفة من بلاغته ليبتز أموالهم"(٣) .

وغالباً ما تحكي هذه المقامات قصة حادثة وقعت لأبي الفتح يغلب عليها السرد والحوار ، وهذا مانلمسه في المقامة الأسدية :

---

(١) المرجع السابق . ص ٥٣٨ .

(٢) " فن القصة " د . محمد يوسف نجم . ص ٩ .

(٣) الفن ومذاهبه في النثر العربي . ص ٢٥٠ .

اتفقت لي حاجة بحمص ، فشحذت إليها الحرص ، في صحبة أفراد كنجوم الليل، أحلاس[1] لظهور الخيل ، وأخذنا الطريق ننتهب سافته ونستأصل شأفته ، ولم نزل نفري[2] أسنمة النجاد[3] بتلك الجياد ، حتى صيرن كالعصيّ ، ورجعن كالقسي، وتاح[4] لنا واد في سفح جبل ، ذي ألاء وأثل[5] ، كالعذارى يسرحن الضفائر ، وينشرن الغدائر ، ومالت الهاجرة بنا إليها ، ونزلنا نُغوِّر ونغور[6] ، وربطنا الافراس بالأمراس[7] ، وملنا مع النعاس ، فماراعنا إلا صهيل الخيل ، ونظرت الى فرسي وقد أرهف أذنيه ، وطمح بعينيه ، يجذ قوى الحبل بمشافره ، ويخد خد الأرض بحوافره ثم اضطربت الخيل فتقطعت الحبال ، وأخذت نحو الجبال ، وطار كل واحد منا الى سلاحه فإذا الليث في فروة الموت ، قد طلع من غابة ، منتفخاً في إهابه ، كاشراً عن أنيابه ، بطرف قد ملئ صلفاً وأنف قد حشي أنفاً ، وصدر لا يبرحه القلب، ولا يسكنه الرعب ، وقلنا خطب ملم ، وحادث مهم ، وتبادر اليه من سرعان الرفقة فتى :

أخضر الجلدة في بيت العرب .·. يملأ الدلو إلى عقد الكرب

بقلب ساقه قدر ، وسيف كله أثر ، وملكته سورة الأسد ، فخانته أرض قدمه ، حتى سقط ليده وفمه ، وتجاوز الأسد مصرعه ، إلى من كان معه ، ودعا الحين[8] أخاه بمثل ما دعاه فصار إليه وعقل الرعب يديه ، فأخذ أرضه ، وافترش الليث صدره، ولكني رميته بعمامتي وشغلت فمه ، حتى حقنت دمه ، وقام الفتى فوجأ بطنه[9] حتى هلك الفتى من

---

(١) أحلاس: جمع حلس وهو الملازم .

(٢) نفري : نقطع .

(٣) النجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع عن الأرض .

(٤) تاح : ـ : عرض .

(٥) الآ واثل : من أشجار البادية .

(٦) نغور : نهبط في الأودية .

(٧) الأمراس : الحبال .

(٨) الحين : الموت .

(٩) وجأ بطنه ـ شقها .

(١)
خوفه ، والاسد للوجأة في جوفه " والمتأمل في المقامة الأسدية يجد أنها تتسم بروح الحكاية فهي تدور حول بطل واحد متميز بملك الحكمة والذكاء والشجاعة وقوة البيان وسرعة البديهة وهي تمثل لنا صورة من صور الفن الأدبي الذي بلا شك نواة للقصة الفنية .

وهكذا نرى أن أبسط مفهوم للقصة أنها حكاية حدث وقع . أما التاريخ فله مفهوم آخر لأن التاريخ تسجيل للوقائع ، ولا علاقة له بتصوير النماذج، أو تحليل الشخصيات، ولا مغزى له إلا تسجيل الأخبار ، دون هدف إلى تأثير جمالي فحين يخبرنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويروى الأحداث التي وقعت له حين خرج إلى الطائف فكذبته ثقيف ونالوه بالأذى ، فإن ذلك لا يعد قصة ، وإنما هو خبر عن حدث من أحداث دعوته .

ومن هنا نأخذ على كتاب " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " (٢) أنه قد وقع في هذا الخلط إذ عدّ حديث الإسراء من القصص النبوي وذلك في قوله " وآخر منها يتناول تجربة ذاتية مثل حديثه عليه السلام عن نفسه ، أو يتناول ألوانا غيبية شوهدت مشاهدة ذاتية كحديث الإسراء "(٣)

---

(١) " الفن ومذاهبه في النثر العربي " ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

(٢) " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " ص ٦٣ .

هل تعتبر أخبار يوم القيامة والفتن وأشراط الساعة من القصص النبوي ؟

ومن الخلط في مفهوم القصة النبوية أيضاً ما ذهب إليه بعض الباحثين من اعتبار أخبار يوم القيامة والفتن وأشراط الساعة من ألوان القصص النبوي، وادعائهم أنها تعتبر "قصصاً مستقبلية [1]" وهذا ما يأباه مفهوم القصة بمعناها اللغوي والفني كما سبق إيضاحه ، كما يأباه مفهوم القصص القرآني الذي جاء القصص النبوي استمداداً منه إذ يقول الحق سبحانه وتعالى : "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ [2]" ثم يورد بعد ذلك قصة يوسف عليه الصلاة والسلام .

كما يقول سبحانه بعد ذكر قصة السيدة مريم "ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ [3]" ونجد في حديث القرآن عن صفات الجنة والنار وأهوال يوم القيامة ما يدل على اختلاف سياق القصة المتعلقة بأحداث الماضي عن سياق مشاهد الجنة والنار المتعلقة بأحداث المستقبل كما أن القصة في القرآن قد عقبت بما يدل على استخراج العبرة منها كقوله تعالى : "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ [4]" وقوله تعالى : "وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [5]".

ولم يجيء مثل ذلك في الحديث عن أحوال يوم القيامة إذ أن القصة المتعلقة بأحداث الماضي هي التي تستقي منها العبرة وهي التي تصور عاقبة السلوك البشري والمآل الذي يصير إليه الأخيار والأشرار .

---

(١) القصص في الحديث النبوي " لمؤلفه الأستاذ محمد حسن الزير ص ٢٨٨ .

(٢) سورة يوسف / الآية : ٣ .

(٣) سورة آل عمران / الآية : ٤٤ .

(٤) سورة الأحقاف / الآية : ٣٥ .

(٥) سورة هود / الآية : ١٢٠ .

ومما يجدر ذكره أن علماء الحديث في تصانيفهم قد جعلوا أخبار الجنة والنار في أبواب مستقلة،كما جعلوا أشراط الساعة،وما يقع في آخر الزمان في أبواب الفتن والملاحم .

أما أحاديث القصص التي تحكي أخبار السابقين فقد جعلوها في أبواب مستقلة تميزاً لها عن غيرها .

وهكذا الشأن في تآليف العلماء قديماً وحديثاً في قصص القرآن،إذ لم يوردوا فيها إلا القصص المتعلقة بأخبار الماضين،ولم يقع لأحد منهم أن اعتبر حديث القرآن عن الجنة والنار ومشاهد يوم القيامة من باب القصص ، وهذا دليل على خطأ هذا الاتجاه عند بعض الباحثين المعاصرين الذين اعتبروا ما جاء في الحديث النبوي عن أشراط الساعة وأحوال يوم القيامة من باب القصص .

فمن هذا الخلط ما جاء في كتاب " القصص في الحديث النبوي" إذ جعل من باب القصص حديثاً اختار له عنوان " أدنى أهل الجنة (١)" ونص الحديث " إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا،وآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً .....الخ (٢) ... واستشهد بهذا الحديث على تمهيد الرسول (صلى الله عليه وسلم) . ←

---

(١) " القصص في الحديث النبوي " ٨٢ .

(٢) صحيح البخاري ٨ : ١٤٦ .

الأمور الخطيرة في القصة النبوية :

كما نراه يجعل من القصص النبوي الحديث الشريف " إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ . . . . الخ (١) " وجعل عنوانه " سوق الجنة (٢) " وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ . . . . ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ الجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ " (٣) . جعله من باب القصة تحت عنوان " الموت يوم القيامة " (٤) .

وكذلك صنع في قوله (صلى الله عليه وسلم) " يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ . . . . . . الخ (٥) ووضع للحديث عنوان " الذى يدور فى النار (٦) " كما وضع عنوان " البطاقة الثقيلة (٧) " عنوانا للحديث الشريف " يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ " (٨) .

كما يجعل من الأحاديث التي تضمنت الإخبار بعذاب القبر قصة يقول عنها : " فالقصة من عذاب القبر يسوقها للرسول (صلى الله عليه وسلم) مرة على أصحابه، وقد دخلوا نخلا لبني النجار . . ومرة أخرى يسردها عليهم وهم فى انتظار جنازة يهيأ لها المثوى الأخير " (٩) .

---

(١) سنن الترمذي : ٤ : ٦٨٥ - ٦٨٦ .

(٢) " القصص فى الحديث النبوي ص ٨٣ .

(٣) صحيح البخاري " ٦ : ١١٧ - ١١٨ .

(٤) القصص فى الحديث النبوي ص ١٤٥ .

(٥) صحيح البخاري ٤ : ١٤٧ .

(٦) القصص فى الحديث النبوي ص ١٠٤ .

(٧) نفس المرجع . ص ١٠٣ .

(٨) سنن ابن ماجة ٢ : ١٤٣٧ .

(٩) القصص فى الحديث النبوي ص ٥٧ .

كما اعتبر الحديث الشريف "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقضى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ ثَلَاثَة . . . الخ "(١) قصة بعنوان " أول من يقضي عليه " (٢)

واعتبر حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن شفاعته لأمته يوم القيامة من قبيل القصة ، وقد أطلق عليها عنوان " أنا لها "(٣) ونص الحديث" إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا لَهُ دعوةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّي قَدِ اخْتَبَأْتُ دعوتي شفاعةً لأُمَّتِي ، وَأَنَا سَيِّدُ ولد آدم يومَ القيامة وَلَا فخر، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرضُ ولا فخر ، وبيدي لواءُ الحَمْد ولا فخر . . . الخ (٤).

وهكذا يمضي الباحث في اعتبار كل ما جاء عن الشفاعة ويوم القيامة وأخبار الجنة والنار من القصص النبوي فعند حديثه عن التمهيد بتحديد الموقف يستشهد بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذا جمع الله العباد في صعيد واحد نادى مناد .. الخ (٥) وجعله بعنوان " يوم يكشف عن ساق "(٦)

وكذلك صنع في قوله (صلى الله عليه وسلم) "مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ ، لَمْ يبلُغُوا الحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللهُ وإياهُم بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الجَنَّةَ . . . الخ "(٧) وجعل عنوانه "الأولاد الشفعاء" (٨).

كما اعتبر حديث الرسول عليه السلام مع الصحابة حين سئل عن امكانهم رؤية ربهم يوم القيامة قال " هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دونه سَحَاب ؟ قالوا : لَا يارسول الله .

---

(١) سنن النسائي ٦ : ٢٠ - ٢١ .
(٢) القصص في الحديث النبوي " ٧٩ .
(٣) المرجع السابق - ص ٨٤ .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٧٤ - ١٨٩
(٥) سنن الدارمي ٢ : ٢٣٤ .
(٦) " القصص في الحديث النبوي " ٨٧ .
(٧) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٥١٠
(٨) " القصص في الحديث النبوي ص٨٩ .

قالَ : فَهل تمارون في الشَّمس لَيس دونها سحاب ؟ قالوا : لا . قالَ : فإنَّكم تَرَونَهُ كذلك ، يحشر النَّاس يوم القيامة . . . الخ "(1) من باب القصص وجعل عنوان هذا الحديث " الصراط "(2) .

وكذلك فعل بقول الرسول عليه السلام " التقى مؤمنان على باب الجنة " . (3) واعتبره قصة بعنوان " مؤمنان على باب الجنة "(4) .

وكذلك يصنع في الحديث الذي ذكره الرسول عليه الصلاة والسلام عن خبر شفاعة الله في جماعة من أهل النار ونصه " . . . فيقول الجبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتي فَيقبض قبضة من النَّار فَيُخْرِجُ أَقْوامَاً قَدْ امْتَحَشُوا فَيلقون في نَهْرٍ بأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الحياة فَيَنْبتُونَ فِي حَافَتيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ "(5) .. وجعل لهذا الحديث عنوان " هل نرى ربنا "(6) .

كما اعتبر من باب القصص الحديث الشريف الذي فيه أنه يقال للرسول (صلى الله عليه وسلم) : " ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَقُلْ يسْمَعْ لِقَوْلِكَ "(7) وقد أطلق على هذا الحديث اسم " سيد ولد آدم يوم القيامة "(8) .

وأيضاً أدخل في باب القصص حديثه (صلى الله عليه وسلم) " . . . فَيلقى العبد فَيَقُولُ : أَى فُلُ ؟ أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وَأسودكَ ، وأُزَوجكَ ، وَأُسَخرِ لَكَ الخَيل

---

(1) صحيح البخاري 1 : 204 .

(2) القصص في الحديث النبوي " 92 .

(3) مسند أحمد بن حنبل . 4 : 272 — 273

(4) القصص في الحديث النبوي " 132 .

(5) صحيح البخاري 9 : 158 — 160 .

(6) القصص في الحديث النبوي ص 114 .

(7) سنن الترمذي " 5 : 308 — 309 .

(8) " القصص في الحديث النبوي " ص 160 .

والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول ، بلى ، قال فيقول : أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول لا. فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني ، فيقول : أي فل ؟ ألم أكرمك وأسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ، وأذرك ترأس وتربع ! فيقول بلى ، أي ربي ! فيقول : أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا . فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول : يارب ! آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ، ويثني بخير ما استطاع ، فيقول : ههنا إذا ، قال : ثم يقال له ، الآن نبعث شاهدا عليك ، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه "(١). وجعله بعنوان " مسالة الله العباد " (٢).

وأيضا اعتبر قوله (صلى الله عليه وسلم) " .... أولست فيما شئت ، قال : بلى ولكني أحب أن أزرع "(٣) من باب القصص واختار له عنوان " الذي طلب أن يزرع الجنة "(٤).

وننبه هنا إلى أن صاحب كتاب " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " قد اعتبر الأحاديث المتعلقة بالمستقبل كأخبار الفتن وأشراط الساعة من جنس القصة إذ يقول : "وبعض القصص يتناول المستقبل - وإن لم نمثل له - كما في قصص الفتن "(٥) وهو الاتجاه الذي دللنا في خطئه فيما سبق إذ أن مادة " قص " تتعلق بأخبار الماضي وتتبع آثارها ولا صلة لها بأحداث المستقبل .

---

(١) " صحيح مسلم " ١ : ٢٢٧٩ .

(٢) " القصص في الحديث النبوي " ص ١٩٦ .

(٣) " صحيح البخاري " ٩ : ١٨٥ .

(٤) " القصص في الحديث النبوي " ص ١٩٨ .

(٥) " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " ص ٤٤٣ .

ومن الخطأ الذي وقع فيه بعض الباحثين اعتبار الأمثال من القصص النبوي ونلاحظ ذلك في كتاب " القصص في الحديث النبوي " إذ نراه يستشهد بحديث نبوي جعل عنوانه " سفينة الحياة " (1) واعتبره من قبيل القصة ونص الحديث " مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها ، يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها ، فقال الذين في أعلاها : لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا ، فقال الذين في أسفلها : فإننا ننقبها من أسفلها فنستقي .فإن أخذوا على أيديهم ، فمنعوهم نجوا جميعاً ، وإن تركوهم غرقوا جميعاً "(2).

كما نراه يورد حديثاً نبوياً تحت عنوان قصة " فاقد الراحلة " (3) ونص الحديث " لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة ، فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحلته بينما هو كذلك إذا هو بها ، قائمة عنده . فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم ؟ أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح " (4) ويتبعه بالحديث الذي ذكره الرسول (صلى الله عليه وسلم) في ضرب مثل المسلمين واليهود والنصارى في قبولهم للنور الذي جاء من عند الله أو عدم قبولهم له . وجعل للمثل عنوان " المستأجر والأجراء " (5) ونص الحديث " مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا له

---

(1) " القصص في الحديث النبوي " ص ٢٧٨ .
(2) سنن الترمذي ٤ : ٤٧٠ .
(3) " القصص في الحديث النبوي " ص ٢٧٦ .
(4) صحيح البخاري ٣ : ١٨٢ ، ٣ : ٢٣٧ — ٢٣٨ .
(5) " القصص في الحديث النبوي " ٢٧٨ .

إلى نصف النهار ، فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل ، فقال لهم : لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم ، وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا ، واستأجر أجيرين بعدهم ، فقال لهما : أكملا بقية يومكما هذا ولكما الذي شرطت لهم من الأجر ، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر ، قالا : لك ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال لهما أكملا بقية عملكما ما بقي من النهار يسير ، فأبيا واستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور "(١) .

وأورد حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تشبيه نفسه بموضع اللبنة في البناء الكامل الحسن والبهاء بالنسبة لبقية الأنبياء والمرسلين، وجعله قصة بعنوان " موضع اللبنة " (٢) وذكر النص " مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وجملها ، وترك منها موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع تلك اللبنة ، وأنا في النبيين بموضع تلك اللبنة "(٣)

وقد أتبع الباحث الحديث السابق بحديث سماه " قوم سفر "(٤) وفيه يمثل الرسول (صلى الله عليه وسلم) حاله وحال أمته وهي تتبعه في دينه بقوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة وذكر النص : " إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أتاه فيما يرى النائم ملكان ، فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه ، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : أضرب مثل هذا ومثل أمته ، فقال : إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ، ولا ما يرجعون به ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة ، فقال : أرأيتم إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء ، أتتبعوني ؟

---

(١) صحيح البخاري ٣ - ١١٨ ، ١١٩ .
(٢) القصص في الحديث النبوي ص ٢٧٩ .
(٣) سنن الترمذي ٥ - ٥٨٦ .
(٤) القصص في الحديث النبوي ص ٢٧٩ .

فقالوا : نعم ، قال : فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة وحياضاً رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم : ألم ألفكم على تلك الحال فجعلتم لي إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعوني فقالوا : بلى . . قال: فإن بين أيديكم رياضاً أعشب من هذه وحياضاً هي أروى من هذه ، فاتبعوني قال : فقالت طائفة : صدق والله لنتبعنه ، وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه »(1) .

ويواصل الكاتب إيراد هذه الأمثال فيذكر لنا مثل الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومثل ما جاء به من الدين الحق على أنه قصة أعطاها عنوان " النذير العريان"(2) ونص الحديث " مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قوماً فقال : رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم " (3) .

ويتبع هذا المثل بمثل آخر جعل عنوانه : " إنما هو فضلي "(4) وفيه مثل تفضل الله تبارك وتعالى على أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل فضل هذه الأمة الإسلامية على غيرها من أهل الأديان السماوية الأخرى والذى يقول فيه " مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً ، فقال : من يعمل من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود ، ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى ، ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم فغضبت اليهود والنصارى قالوا : نحن كنا أكثر عملاً وأقل عطاء !! قال : هل ظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء (5) .

---

(1) مسند أحمد بن حنبل " 4 : 129 . " شاكر ".

(2) " القصص في الحديث النبوي " ص 280 ،

(3) " صحيح البخاري " 8 : 126 .

(4) " القصص في الحديث النبوي " ص 280

(5) مسند أحمد بن حنبل " 6 : 235-236 . إسناد صحيح ، ورواه الترمذي 5 : 153 .

وأخيرًا يُنهي الباحث مجموعة الأمثال السابقة بمثل ضربه الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثلاً للمنفق والبخيل وقد اختار لهذا المثل عنوان " المنفق والبخيل " (١) ويقول فيه "مَثَلُ البَخيل والمنفق كَمَثَل رَجُلَيْن عَلَيْهِمَا جُبتان من حديد من ثَدْيِهِمَا إلى تَرَاقيهما ، فَأَمَّا المُنْفِق فَلاَ يُنْفِق إلاَّ سبغت أَوْ وفرت على جلده حتى تخفي بَنَانَهُ وتَعْفُو أَثَرَهُ ، وأَمَّا البَخيل فَلاَ يُريدُ أَنْ يُنْفِقَ شيئاً إلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَة مَكَانَهَا فَهُوَ يُوسِعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ " (٢) والذي يتضح لنا أن المثل والقصة لونان أدبيان مختلفان ، فالمثل له مورد وله مضرب وهو " حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق ، بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال ، إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه " (٣) .

ومفهوم المثل في لغة العرب هو " الشيء الذي يُضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله " (٤) .

قال الزمخشري : " ومثّله به : شبّهه ، وتمثل به تشبه به .

ومَثَلَ الشيء بالشيء : سوى به وقدر تقديره : قال سَلْمُ بن معبد الوالبي

جزى اللّهُ الموالي فيكَ نصفاً ... وكل صحابة لَهُمُ جزاءُ

بفعلهم فإنْ خيراً فخيراً ... وإنْ شراً كما مثل الحذاء (٥)

قال الجوهري : " ومثل الشيء أيضاً صفته (٦) .

---

(١) " القصص في الحديث النبوي " ص ٢٨٠ .

(٢) " كتاب الأمثال " لابن سلام ص ٣٤ .

(٣) " لسان العرب " باب اللام فصل الميم .

(٤) " أساس البلاغة " الزمخشري " باب الميم مادة " مثل .

(٥) المرجع السابق باب الميم مادة " مثل " .

(٦) " لسان العرب " اللام فصل الميم .

قال ابن سيده : وقوله عز وجل " مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُون[1] .. (٣٥)

قال الليث : " مثلها هو الخبر عنها " (٢)

وقال أبو اسحاق : معناه صفة الجنة ، ورد ذلك أبو علي ، قال " لأن المثل الصفة غير معروف في كلام العرب ، إنما معناه التمثيل . (٣)

ومن الامثال العربية قولهم : " وافق شن طبقة " ويضرب للمتوافقين

وأصل هذا المثل قصة متخيلة كما رواها لنا الشرقي بن القطامي :

كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شن ، فقال : والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها ، فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق فسأله شن : أين تريد ؟ فقال موضع كذا ، يريد القرية التي يقصدها شن ، فوافقه حتى إذا أخذا في مسيرهما قال له شن : أتحملني أم أحملك ؟ فقال له الرجل : ياجاهل أنا راكب وأنت راكب ، فكيف أحملك أو تحملني ؟ فسكت عنه شن وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا بزرع قد استحصد ، فقال شن : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال له الرجل : ياجاهل ترى نبتاً مستحصداً فتقول أكل أم لا ؟ فسكت عنه شن حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة فقال شن : أترى صاحب هذا النعش حياً أم ميتاً ؟ فقال له الرجل : مارأيت أجهل منك ، ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حي ؟ فسكت عنه شن . فأراد مفارقته ، فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله فمضى معه ، فكان للرجل بنت يقال لها طبقة فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه ، فأخبرها بمرافقته إياه ، وشكا إليها جهله ، وحدثها بحديثه ، فقالت : ياأبت ، ماهذا بجاهل ، أ قوله : " أتحملني أم أحملك " فأراد

---

(١) سورة الرعد / الآية : ٣٥ .

(٢) لسان العرب "حرف اللام فصل الميم .

(٣) المرجع السابق : حرف اللام فصل الميم .

أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا . وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ، فأراد هل باعه أهله فاكلوا ثمنه أم لا ، وأما قوله في الجنازة فأراد هل ترك عقباً يحيا بهم ذكره أم لا ، فخرج الرجل فقعد مع شن فحادثه ساعة ، ثم قال : أتحب أن أفسر لك ماسألتني عنه ؟ قال : نعم فسره ، ففسره قال شن : ماهذا من كلامك فأخبرني عن صاحبه ، قال : ابنة لي ، فخطبها إليه ، فزوجه إياها ، وحملها إلى أهله فلما رأوها قالوا : وافق شن طبقة ، فذهبت مثلاً ".(١)

أو مازعمت العرب عن ألسن البهائم كقولهم " في بيته يؤتى الحكم " هذا القول الذى ذهب مثلاً هو في حقيقة أمره قصة خرافية متخيلة قالوا فيها : "إن الأرنب التقطت ثمرة ، فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب ، ياأبا الحِسْل ، فقال سميعاً دعوت ، قالت : أتيناك لنختصم إليك ، قال عادلاً حكمتما . قالت : فاخرج إلينا ، قال : في بيته يؤتى الحكم ، فقالت : إني وجدت ثمرة ، قال : حلوة فكليها ، قالت : فاختلسها الثعلب ، قال : لنفسه بغي الخير ، قالت : فلطمته ، قال بحقك أخذت ، قالت فلطمني ، قال : حرٌ انتصر قالت : فاقض بيننا ، قال : قد قضيت ، فذهبت أقواله كلها أمثالا (١)

فالمثل قول حكيم مأثوراستشهد به العرب في حال من الأحوال، وله اصل جاء منه سواء كان صورة، أو كان قصة خرافية لكن الغرض منه ليس تتبع حكايـة ولااستخراج عبرة وإنما القصد منه تذكر حكمة وصياغة تجربـة .

ولكن هذه الأمثال التي أوردها الباحث لا تعد من قبيل المثل بمعناه الاصطلاحي بل هي من قبيل التشبيه ، ففي الحديث الأول : شبه من يقوم بحفظ حدود الله، ومن يقع فيها بقوم تجمعهم سفينة، ويحاول بعضهم خرقها إيثارا لمصلحة فردية متوهمة فإن تركهم الآخرون يفعلون ذلك هلكوا جميعاً وإن منعوهم نجو جميعـاً .

وفي الحديث الثاني : نجد المقصود منه هو تصوير رضـا اللـه سبحانه على العبد التائب بهذه الصورة التي تبلغ الغاية في الدلالة على الفرح، وهي صورة من يفقد راحلته حتى ييأس من العثور عليها ثم يجدها فجأة .

---

(١) مجمع الأمثال للميداني - ٢ : ٧٢ .

وفي الحديث الثالث : يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمر المسلمين واليهود والنصارى في موقف كل منهم من حمل أمانة الدين بهذه الصورة المعبرة الواضحة، وهي صورة المستأجر الذي استأجر فريقًا من الناس على إنهاء عمل فعملوا ولم يكملوه، ثم استأجر فريقًا آخر فعملوا ولم يكملوا عملهم إلى أن انتهى به الأمر فاستأجر فريقًا صبروا وجاهدوا حتى أكملوا العمل الموكل إليهم وعمل من قبلهم .

وفي الحديث الرابع : يشبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) مكانته في بناء النبوة بموضع اللبنة والتي رسم صورتها بهذه الصورة الدقيقة الملائمة، صورة اللبنة التي يتم بها البناء ويكمل بهاؤه .

وفي الحديث الخامس : تشبيه العرب في موقفهم من خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وسلم) بقوم سفر انتهوا إلى مفازة، وقد انقطع منهم الزاد الذى يمكنهم من قطع المفازة فإذا برجل كريم الخَلق والخُلق يهديهم إلى طريق يؤدي بهم إلى أرض معشبة خضرة يأمنون فيها عيشهم، فيمتحنهم ويعرض عليهم الجهاد للوصول إلى أرض أفضل وأعجب فمنهم من يتبعه ومنهم من يتخلف عنه .

وفي الحديث السادس : يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) حاله في دعوته لقومه بصورة النذير العريان الذى جاء قومه محذرًا لهم من العدو الذى رآه بعينه فمن صدقه نجا ومن كذبه هلك .

وفي الحديث السابع : صورة تشبيهية لتفضيل الله سبحانه وتعالى الأمة المحمدية على اليهود والنصارى بهذه الصورة البديعة، صورة الرجل الذى استعمل عمالاً على أن يكون العمل من الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط فقبل العمال، وكانوا هم اليهود ، ثم استعمل عمالا آخرين على أن يكون العمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، فقبل العمال وكانوا هم النصارى ، وأخيرا استعمل عمالاً ليكون عملهم من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين، وكان هؤلاء هم المسلمون، فغضب اليهود والنصارى على هذه القسمة التي كانوا هم فيها أكثر عملاً وأقل عطاء ، فكان رد صاحب العمل في سؤالهم هل ظلمهم شيئًا في حقهم الذي عرض قالوا : لا قال : ذاك فضلي أوتيه من أشاء .

وفي الحديث الثامن : يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) المنفق والبخيل بصورة رجلين لبس كل منهما درعاً يريد أن يستتر به من سلاح عدوه، فصبها على رأسه ليلبسها، فالمنفق كمن لبس درعاً وهذه غلت على عنقه، فكلما أراد لبسها اجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته ، أراد بهذه الصورة أن الجواد إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه، فتوسعت في الإنفاق ، فالبخيل إذا حدث نفسه بالصدقة شحت نفسه فضاق صدره وانقبضت يداه . (١)

وهكذا نرى أن هذه الأحاديث التي سماها الباحث قصصاً ، إنما تشتمل على تشبيهات تمثيلية مركبة، لتوضيح المعاني المراد تأكيدها ، وليس لها من صلة بموضوع القصة ، وإلا لاعتبرنا كل تشبيه من هذا القبيل قصة . فهل يكون التشبيه في قوله تعالى : " مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) (٢) قصة ؟! .

وكذلك يكون قوله تعالى : " مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧) (٣) من قبيل القصة أيضاً وهو ظن غير صحيح .

وفي القرآن كثير من التشبيهات التمثيلية التي يكون فيها وجه الشبه منتزعاً من مجموعة أمور متعددة (٤) ، فمن هذا القبيل قوله تعالى : إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

(١) فتح الباري " لابن حجر العسقلاني ٣ : ٣٠٦ " بتصرف "

(٢) سورة الجمعة / الآية ٥ .

(٣) سورة آل عمران / الآية : ١١٧ .

(٤) تشبيه التمثيل : هو ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من عدة أمور كما في قوله القائل :-

وكأن النجوم والليل داج ... نقش عاج يلوح في سقف ساج .

ووجه الشبه : هيئة أشياء صغيرة بيضاء مستديرة منتشرة لامعة فوق شيء أسود .

كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون (٢٤) (١).

وكذلك قوله تعالى "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) (٢).

وكذلك قوله سبحانه : " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم (٣٥) (٣).

ومن هنا فإني أنبه في هذا المقام إلى ضرورة تحديد مفهوم القصة النبوية، وفق المعنى اللغوي ووفق دلالة القصص القرآني ، حتى ينتفي هذا الخلط الذي وقع فيه بعض الباحثين المعاصرين من اعتبار السيرة النبوية، وأخبار يوم القيامة، والتشبيهات النبوية، قصصاً نبوياً ، فأدى ذلك بهم إلى تكلف في محاولة إضفاء العنصر القصصي على هذه الألوان ، ذات الخصائص البعيدة عن خصائص القصة قديمها وحديثها .

---

(١) سورة يونس / الآية : ٢٤ .

(٢) سورة العنكبوت / الآية : ٤١ .

(٣) سورة النور / الآية : ٣٥ .

مصادر القصص النبوي

إن مصدر القصص النبوي كله الوحي الذي تلقاه خاتم النبيين (صلى الله عليه وسلم) سواء كان تفسيرًا أو بيانًا لما جاء في القصص القرآني ، أو انفرد بأخبار مستقلة ، لم يرد في معانيها شيء من القرآن .

فمن النوع الأول : قصة "موسى والخضر" (١) وقصة "الملك والساحر والغلام" (٢) التي جاءت تفسيرًا لقصة "أصحاب الأخدود" في سورة البروج ، وقصة " سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل (٣) تفصيلاً لما جاء عنهما في القرآن .

أما النوع الثاني : فهو ما يستقل بحكاية خبر من أخبار التاريخ، أو تصوير لموقف إنساني لم يرد شيء منه في القرآن بل أوحاه الله إليه استفادة للعبرة والعظة من أخبار الأمم السابقة ومن هذا القبيل قصة " قاتل المائة نفس" (٤) وقصة " أصحاب الغار الثلاثة " (٥) وقصة " العقار وجرة الذهب " (٦) .

ولا مصدر للرسول (صلى الله عليه وسلم) في قصصه إلا هذا الوحي ، فالقصص النبوي شأنه شأن السنة في جميع جوانبها .

ونستدل على ذلك بشهادة القرآن لبيانه (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) " (٧) .

---

(١) انظر نص القصة رقم (٢) في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم (٢٥) في هذه الرسالة .

(٣) انظر نص القصة رقم (١) في هذه الرسالة .

(٤) انظر نص القصة رقم (٤٣) في هذه الرسالة .

(٥) انظر نص القصة رقم (٤١) في هذه الرسالة .

(٦) انظر نص القصة رقم (١٧) في هذه الرسالة

(٧) سورة النجم / الآيات ٣ - ٥ .

كما شهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على نفسه أن ماتكلم به من سنتـــه ما هو إلا وحي من الله قال عليه السلام :

وهذا يصدق على كل ما جاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى السنة من أحكام وتشريع ، بحيث لا يتكلم الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى أمر من الأمـــور إلا والـوحى يسدده ، والرسول (صلى الله عليه وسلم) قد قيـل له " اقصص القصص (١) لما له من آثار تربوية عظيمة ، ولهذا استخدم (صلى الله عليه وسلم) أسلوب القصـة فى دعوته وهدايتـه .

قال ابن الجوزي فى بيانة لطبقات القصاص والمذكرين : " سيد الكل نبينـا محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد قيل له فاقصص القصص ، وقيل فذكـر فانما أنـت مذكـــر (٢) ونستدل من هذا القول أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بالقص كما أمره بتبليغ الأحكام الشرعية التى تلقاها للمتقين .

قال تعالى : " ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ (٣) وقـــال : " وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ " (٤) .

فإن حاول أحد أن يلتمس غير هذا المصدر فإن ذلك أمر محـال ينقضــه العلم الصحيح .

ومن هنا فإننا نعجب من بعض الباحثين المعاصرين الذين توهموا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) استمد بعض القصص النبوى مما لدى أهل الكتاب من أخبـار عن الماضين ، ومن هـذا القبيـل ما جاء فى كتاب " القصص فى الحديث النبـوي "

---

(١) القصاص والمذكرون " لابن الجوزي . ص ٤٢ .
(٢) " نفس المرجـع " ص ٤٢ .
(٣) سـورة النحـل / الآيـة : ١٢٥ .
(٤) سـورة النساء / الآيـة : ١١٣ .

عند حديثه عن القصة القرآنية والقصة النبوية التي جاءت تفسيراً وتفصيلاً للقصص القرآني " فقد شجع القرآن على إنشاء القصص لاستخدامها في الأغراض الدينية من التربية والتعليم والتوجيه والوعظ فاستخدمها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه والتابعون ...
ومن جهة أخرى قصا حول " القصص القرآني " ذاته قصص كثيرة سيقت تفسيراً أو تبييناً ، واستمد بعضها من قصص القرآن وبعضها مما لدى أهل الكتاب من أخبار عن الماضي وقصص ، كما كان " الخيال " أيضا لدى القصاص العربي ينسج حول هذه القصص القرآنية قصصاً من أجل الوعظ والترهيب والترغيب "(1) . وهذا التوهم مرفوض لعدة أسباب :

أولا : لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد نهانا عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم " لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ "(2) ومعنى ذلك أنه يرفض أن يجعلهم مصدرًا للعلم لهذه الأمة، فلا يتصور بعد ذلك أن يخالف الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذه القاعدة التي وضعها للأمة، وأن يحدث عن أهل الكتاب، وخاصة اليهود الذين يعيشون معه في المدينة ، ولو فرض ذلك فهل يسكت اليهود عن استغلال هذه الفرصة لمقاومة الدعوة ، وصد الناس عنها بقولهم إن محمداً يتعلم منا ويحدث عنا ويصدقنا في أخبارنا ، وهم الذين لم يتركوا فرصة إلا حاولوا فيها تشويه الدعوة وبث الأكاذيب والافتراءات عليها، ولا ننس ما أشار إليه القرآن الكريم من موقف اليهود إ من حادث تحويل القبلة في قولة تعالى "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا "(3) فقد كانوا يرفضون أن يتميز المسلمون منهم، ويحاولون إيهام الناس أن محمداً يتبعهم، ويسير على خطاهم فجاء حادث تحويل القبلة ليكشف سوء نيتهم وخبث طويتهم .

أ فيعقل أن يعرف اليهود أو النصارى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقص على أصحابه قصصهم، وينقل حكاياتهم وتواريخهم ثم يسكتوا عنه ولا يحاولوا الإزراء بدعوته لهذا السبب ؟

---

(1) " القصص في الحديث النبوي " ص ٥٢ - ٥٣ .

(2) مسند أحمد بن حنبل " ٤ : ١٢٦ .

(3) سورة البقرة / الآية : ١٤٢ .

ثانيا : إن تاريخ الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل النبوة يشهد لنا أنه لم يتصل بعلماء أهل الكتاب تصالاً مستمراً يمكنه من الأخذ منهم والنتقاء من علومهم فإن قيل إنه اتصل بالراهب بحيرا في طفولته فقد كان ذلك مع عمه أبي طالب واتصاله به لم يكن إلا لفترة وجيزة لا يمكن بها أن يتلقى كل هذه العلوم التي جاء بها ثم إنه لم يكن وحده بل مع زمرة كبيرة من أصحابه في القافلة ، والروايات تذكر أن بحيرا عندما رأى سيدنا محمد عليه السلام وجد فيه علامات النبوة فأوصى عمه بالمحافظة عليه لأنه سيكون له شأن عظيم، وإن ادعى مدع بأن تلقى هذه العلوم من ورقة بن نوفل فقد سجلت الروايات ماقاله ورقة عندما علم بأمره من السيدة خديجة (رضى الله عنها) فقد بشرها وقال : إن ماجاءه هو الناموس الذي نزل على موسى، وتمنى أن يعيش حتى يكون من أنصاره . (1) .

أما بعد الدعوة فتكفينا شهادة القرآن بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أخذ على عاتقه مهمه تصحيح ما اختلط على أهل الكتاب وكشف ما زيفوه من حقائق قال تعالى : " قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ " (2) .

وما جاء في القرآن من " تفنيد لأغلاطهم ومغالطاتهم التاريخية (3) قوله تعالى : " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ ؟ أَفَلا تَعْقِلُونَ ؟ (4) وقوله : " أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى (5) وقوله سبحانه وتعالى : " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ (6) وقوله جل وعلا : وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ (7) وَقَالَتِ الْيَهُودُ

---

(1) انظر السيرة النبوية " لابن هشام ، 1 : 166
وانظر " نبوة محمد في القرآن " حسن ضياء الدين عتر ، 214- 217 .
وانظر " النبأ العظيم " د . محمد عبد الله دراز ، 57 .

(2) سورة المائدة / الآية 15 .

(3) انظر النبأ العظيم " ص 59 .

(4) سورة آل عمران / الآية 65 ومابعدها .

(5) سورة البقرة / الآية : 140 .

(6) سورة آل عمران / الآية : 96 وهذه الآية اجابة لما قالوه بأن قبلتنا قبل قبلتكم .

(7) سورة البقره / الآيه : 102 وهذه الآية تبرئة الله سبحانه لسليمان عليه السلام مما ادعوه عليه بأنه لم يكن نبياً بل كان ساحراً يركب الريح .

يدُ اللهِ مغلولةٌ (١) وقالتِ اليهودُ عُزيرٌ ابنُ اللهِ وقالتِ النصارى المسيحُ ابنُ اللهِ (٢)
وقالتِ اليهودُ والنصارى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحباؤُه (٣) لقد كفرَ الذينَ قالوا إنَّ اللهَ هو
المسيحُ ابنُ مريمَ (٤) لقد كفرَ الذينَ قالوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ (٥) .

هكذا كشف القرآن جهل وضلال علماء اليهود والنصارى في العقائد والتواريخ والأحكام والقصص ، وأنكر عليهم تضليلهم وتحريفهم وأظهر للعيان جهلهم المفتكرة .

فانظر كيف صور القرآن عقيدة علماء أهل الكتاب فقد كان طابع الشرك والضلال لا يخفى على كل ذي لب ، فهل ترى فيما ذكرناه عن هؤلاء صورة أساتذة يتلقى عنهم صاحب الرسالة القرآن وعلومه ؟ أم ترى أمامك معلماً يصحح لهم أخطاءهم وأغلاطهم وينعى ما هم عليه من سوء حال . (٦)

إذن فالنظر الصحيح إلى تاريخ الدعوة الإسلامية وموقف أهل الكتاب منها ينفي بصفة جازمة أن يكون النبي (صلى الله عليه وسلم) قد استمع إليهم أو روى شيئاً من أخبارهم .

ومن هذا الظن الخاطيء في حق رسول (صلى الله عليه وسلم) ادعاء باحث من المعاصرين أن في هذ القصص أمور لم تقع وإنما سيقت للموعظة أو للزجر والترغيب وأن الله تعالى لم يلهمها نبيه ومن هذا القبيل ما جاء في كتاب سيدنا محمد في ابداعه الأدبي (٧) فحين تحدث عن قصص " الأبرص والأقرع والأعمى (٨) .

---

(١) سورة المائدة / الآية : ٦٤ .

(٢) سورة التوبة / الآية : ٣٠ .

(٣) سورة المائدة / الآية : ١٨ .

(٤) " " / الآية : ٧٢ .

(٥) " " / الآية ٧٣ .

(٦) انظر النبأ العظيم : ص ٥٩ - ٦١ وانظر نبوة محمد في القرآن ص ٢٢٢ .

(٧) مؤلفه الدكتور محمد أحمد البيومي .

(٨) انظر نص القصة رقم (٣١) في هذه الرسالة .

والمستلف ألف دينار (١) وقاتل المائة نفس (٢) علق عليهما بقوله " . . . أفتكون هذه الأحداث قد وقعت فعلاً وألهمها الله نبيه ؟ إن اختيار القوم من بني إسرائيل لا من أي قوم آخرين قد يدل على ذلك،ولكن قصصاً أخرى تنسب لرجال من بني إسرائيل في كتب الحديث ، ويدل سياقها على أنها سيقت مساق التمثيل، ومن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم)" أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ"(٣) فماذا ترى في هذه الأقصوصة النبوية بعد التدقيق والإمعان ، أفتكون الخشبة الملقاة في البحر حاملة الألف دينار حقيقة واقعة ! أيوجد من العقلاء من يضحي بهذا المبلغ الضخم وهو يعلم أن احتمال وصوله في حكم المستحيل ! أيوجد من تسوقه الظروف ليقف على سيف البحر منتظراً صندوقاً مالياً يصل إليه في عهد لم يعرف البريد ا ! كل ذلك مما يبعد بالقصة عن واقعيتها إلى مساق التمثيل . . "(٤)

وجاء في تعليقه على قصة " قاتل المائة نفس " . . . وليس في الأمر اختصام ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، ولا قياس مساحة الأرض ليعلموا إلى أي الناحيتين كان الميت أقرب ! ! إنما كان ذلك كله تجسيماً لفداحة الجرم وهول الذنب ! (٥) .

---

(١) انظر نص القصة رقم (١٨) في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم (٣٧) في هذه الرسالة .

(٣) صحيح البخاري ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٤) سيدنا محمد في إبداعه الأدبي " ١٢٧ - ١٢٨ .

(٥) سيدنا محمد في ابداعه الأدبي - ص : ١٢٠ .

وهذا ظن خاطئ* نرده من عدة جوانب :

: إن سياق التمثيل والتشبيه له أساليبه الواضحة في الحديث الشريف

أما هنا فإن سياق القصص سياق أحداث وقعت في الماضي كما تدل عليه مطالع القصص ففي قصة الثلاثة يقول عليه الصلاة والسلام "إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَقْرَعَ (١) وفي قصة المستلف ألف دينار (٢) يقول "إن رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَار ...." (٣) وفي قصة القاتل مائة نفس (٤) يقول كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ ..." (٥) فجميع هذه المطالع استخدم فيهما الرسول صلى الله عليه وسلم الأسلوب الخبري الدال على التتبع للأحداث الماضية فهي ذات واقع تاريخي أخبر الرسول عنه بما علمه من الوحي .

ثم ما هذا التناقض في التحليل فقصة المستلف ألف دينار : " جعل الله شهيداً على ما أخذه من مال ، والآخر قبل بهذه الشهادة وكفله ثقة بربه وبقدرته على الإحاطة بالظاهر والباطن فكيف يتصور أن احتمال وصول المال في حكم المستحيل ؟ ! وهل يستبعد على الله أن يعين مؤمناً به على الوفاء بوعد كان قد قطعه وجعل الله شهيداً عليه . (٦)

---

(١) صحيح البخاري " ٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩

(٢) انظر نص القصة (١٨) في هذه الرسالة .

(٣) صحيح البخاري : ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٤) انظر نص القصة (٣٧) في هذه الرسالة .

(٥) صحيح مسلم " ٤ : ٢١١٨ .

(٦) انظر نص القصص في الحديث النبوي . ص : ٢٨١ - ٢٨٣ .

إن هذه التساؤلات ليست لها إلا تفسير واحد هو النظر إلى القصص النبوي على أنه قصص فني يساق لأحداث الأثر المطلوب ترغيباً أو ترهيباً دون أن يكون بالضرورة معبراً عن أحداث من التاريخ .

ولكن الحق أنه متى صح الخبر الذي يتضمن القصة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فإنه لا سبيل إلى الشك في هدفها التاريخي وشأنها في ذلك شأن القصص القرآني .

إن من الخطأ الديني والأدبي تناول القصص النبوي على أن فيه مجالاً للخيال فالرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يجوز عليه أن يخترع بعض هذا القصص لأهداف دينية وتربوية فهذا ما تنفيه بداهة العقل، وينقضه ما صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في نهجه وأسلوبه في الدعوة فالتاريخ يشهد له أنه الصادق الأمين قبل الدعوة وبعدها، وهو الذي شهد القرآن له بأنه لا ينطق عن الهوى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) (١)

ثم أن الاختراع والتخيل لا يمكن أن يكون من صفات الأنبياء الذين يتلقون الوحي ، ويتعلمون من الله سبحانه ما يهبهم من علم ويقين، وإذا كان القرآن قد نفى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) تبديل الوحي أو إضافة ما ليس منه إليه في مثل قوله تعالى : " قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي(٢) وقوله عز وجل : " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) (٣) .

---

(١) سورة النجم / الآية : ٣ - ٤

(٢) سورة يونس / الآية : ١٥ .

(٣) سورة الحاقة / الآيات : ٤٤ — ٤٧ .

فإن ذلك ينطبق على موقفه (صلى الله عليه وسلم) مما يحدث به من سنته ،فالسنه هي الحكمة التي جاءت في قوله تعالىٰ ـ " وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا " (١)

والتي أنزلها تأييداً للرسول (صلى الله عليه وسلم) في جميع أحواله امتناناً عليه وعصمة له فأيده بالكتاب وهو القرآن ،والحكمة وهي السنة .

(قال ابن كثير في تفسيره " وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ " (٢) أي قبل نزول ذلك عليك كقوله " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ " (٣) ، وقال تعالى ـ " وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ " (٤) ولهذا قال " وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا " (٥) (٦))

قال العقال رحمه الله ـ هذه الآية تحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون المراد ما يتعلق بالدين ،كما قال " مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ " وعلى هذا الوجه تقدير الآية أنزل الله عليك الكتاب والحكمة وأطلعك على أسرارهما وأوقفك على حقائقهما مع أنك ما كنت قبل ذلك عالماً بشيء منهما ،فكذلك يفعل بك في مستأنف أيامك لا يقدر أحد من المنافقين على إضلالك وإذلالك .

الوجه الثاني : أن يكون المراد وعلمك مالم تكن تعلم من أخبار الأولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه كيدهم ما تقدر به على الاحتراز عن وجوه كيدهم ومكرهم ،وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف الفضائل والمناقب " (٧)

---

(١) (٢) سورة النساء / الآية ١١٣.
(٣) سورة الشورى / الآية ٥٢ .
(٤) سورة القصص / الآية ٨٦ .
(٥) سورة النساء / الآية ١١٣ .
(٦) راجع تفسير القرآن العظيم ١ - ٥٥٤ .
(٧) التفسير الكبير " للإمام الفخر الرازي ١١ : ٣٩ - ٤٠ .

وخلاصة القول إن الله تعالى أيد نبيه بالعلم الذي أوحاه إليه كي لا يتجرأ أحد من المنافقين على إضلاله وإذلاله وهذا العلم يتجلى في الحكمة التي استطاع بها أن يفسر ويفصل ما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات سواء كانت أحكاماً شرعية او أخباراً عن الأولين .

وهذه الحكمة التي أيده بها ما هي إلا السنة النبوية .

والقصص النبوي جزء من هذه السنة لا يمكن أن يقع فيه التخيل او الاختراع فليس النبي (صلى الله عليه وسلم) في قصصه أديباً يستميل الناس بحكاياته أو يحاول امتاعهم بأحداثها ومشاهدها وصورها ،ولكنه في قصصه نبي كما هو في تشريعه وهدايته ،فلا يمكن أن يقع في هذا القصص غير الحق ولا أن يقال فيه إلا ما هو من سجل التاريخ الصحيح الذي علمه النبي (صلى الله عليه وسلم) بمقتضى نبوته ونزول الوحي عليه .

وهذه الافتراءات التي توجه للقصص النبوي قد وجه مثلها للقصص القرآني من قبل وقد تصدى القرآن لها،وتحدى أولئك المفترين قال تعالى " ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " (١) .

وقال عز وجل : " فأتوا بعشر سور مثله مفتريات " (٢) .

ومن هنا فإننا نرى أن القصص النبوي الذي صحت نسبته إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) هو مصدر من مصادر الحقيقة التاريخية ،شأنه في ذلك شأن القصص القرآني الذي قال الله فيه " إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ " (٣) وقال " مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ " (٤) وقال " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ " (٥) .

---

(١) سورة يوسف / الآية ١١١ .
(٢) سورة هود / الآية ١٣ .
(٣) سورة آل عمران / الآية ٦٢ .
(٤) سورة هود / الآية ٤٩ .
(٥) سورة يوسف / الآية ٣ .

فإن زعم زاعم أن القصص النبوي قد يكون له مصدر من قصص العرب فإننا ننفي هذا الزعم من عدة وجوه :

أولاً - أن التاريخ يشهد لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أنه لم يكن من أولئك المولعين بقصص العرب، وحكاياتهم ومجالسهم التي كانوا يسحرون فيها ،فقد عرف التاريخ أن سيدنا محمداً كان من أولئك المتأملين المفكرين في أمر الخالق العظيم ليعرف أسرار الكون وخفاياه .

ثانياً - أن المتأمل في القصص النبوي يجد أن أهدافها وموضوعاتها وأسلوبها مختلف كل الاختلاف عن قصص العرب ،فالقصة النبوية تخلو من الرؤى والخيالات والأساطير التي تغوص فيها القصة العربية .

ثالثاً - أن المشركين لم يكونوا ليفوتوا فرصة التشكيك في نبوته (صلى الله عليه وسلم) ،لو أنهم وجدوا في قصصه شيئاً من أساطيرهم وأقاصيصهم وهم الذين قالوا عن القرآن - كذباً وافتراء - " أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا " (١) فرد الله عليهم بقوله سبحانه " قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض " (٢) .

---

(١) سورة الفرقان / الآية: ٥ .

(٢) سورة الفرقان / الآية: ٦ .

حين نحاول تصنيف موضوعات القصص النبوي نجده أنه يحوي قسمين من الموضوعات:

أولهما: القصص المتعلق بالأنبياء والمرسلين وأتباعهم.

ثانيهما: يتعلق بأفراد من الناس من الأمم السابقة.

أما القسم الذي يتعلق بآحاد الناس، ويصور نماذج إنسانية من الأمم السابقة فإنه كذلك ينقسم إلى أنواع، فمنه ما يصور نماذج من الشخصيات الخيرة، ومنه ما يصور نماذج من الشخصيات الشريرة، ومنه ما يصور نماذج لشخصيات خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً، كما كان للمرأة مكانها في القصص النبوي كالرجل سواء بسواء.

ومن أمثلة القسم الأول من القصص المتعلق بالدعوات، والذي يستهدف تفسير ما جاء في القرآن قصة "الملك والساحر والغلام" (1) التي جاءت تفسيراً وتفصيلاً لقصة أصحاب الأخدود التي ذكرت في القرآن الكريم في سورة البروج "قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (2).

وكذلك قصة "سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل" (3) وكيف هاجر سيدنا إبراهيم من فلسطين إلى مكة استجابة لأمر الله سبحانه، كما بين ذلك القرآن في قوله تعالى: "رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" (4).

وكذلك فصل القصص النبوي الأسباب التي دعت إلى إرسال الخضر عليه السلام إلى سيدنا موسى والتي جاءت في سورة الكهف قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا" (5) إلى قوله تعالى: "... ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا" (6).

---

(1) انظر نص القصة رقم (25) في هذه الرسالة.

(2) سورة البروج / الآيات: 4-9.

(3) انظر نص القصة رقم (1) في هذه الرسالة.

(4) سورة إبراهيم / الآية: 37.

(5) (6) راجع الآيات في سورة الكهف من 60-82.

كما أوضح لنا القصص النبوي "براءة موسى" (١) مما ادعاه عليه بنو إسرائيل ، وقد وردت في القرآن آية تشير إلى هذا الإيذاء ، وكيف برأه الله منه قال تعالى : "يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ، فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيهاً" (٢)

كما يوضح القصص النبوي ما جاء في القرآن الكريم من قصة فتنة سليمان قال تعالى "ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب" (٣) . لنفصل الأسباب التي دعت إلى إلقاء الجسد على الكرسي . (٤)

وقد عنيت بجمع القصص النبوي بألوانه المختلفة ما يتعلق بالأنبياء وما يتعلق بالنماذج البشرية سواء كانت خيرة أو شريرة . . أو كانت مزيجاً من الخير والشر . وسواء كان أبطال القصص رجالاً أو نساءً .

والتزمت في ذلك المفهوم الصحيح للقصة . . الذي هو تتبع آثار الماضين وحكاية أحوال السابقين . واحترزت مما وقع فيه غيري من الباحثين المعاصرين الذين ادخلوا في مجال القصة النبوية أخبار الجنة والنار والأمثال والسيرة النبوية . (٥)

وقد تكون القصة مما اخترته وجيزة جداً . ولكنها تحوي حكاية ذات مغزى وإن كانت تخلو من الصراع أو الحوار .

وقد جمعت هذا القصص من مصادر السنة النبوية الصحيحة ، وفي مقدمتها كتب الصحاح ومسند الإمام أحمد بن حنبل وصنفتها في هذه الأقسام التي أشرت إليها آنفاً ، وبدأ بذكر القصص النبوي المتعلق بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

---

(١) انظر نص القصة رقم (٣) في هذه الرسالة .

(٢) سورة الأحزاب / الآية ٦٩ .

(٣) سورة ص / الآية ٣٤ .

(٤) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٦ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٥) انظر كتاب الأستاذ محمد حسن الزبر "القصص في الحديث النبوي" .

- ١ - " قصة إبراهيم ابنه إسماعيل "

قالَ ابنَ عبّاس: أوّلَ ما اتّخذَ النساءُ المِنطقَ مِنْ قِبَلِ أمِّ إسماعيل اتخذت منطقاً لتُعفّي أثرَها على سارة، ثمّ جاءَ بها إبراهيمُ وبابنها إسماعيلَ، وهيَ تُرضِعُه، حتّى وضعها عندَ البيتِ عندَ دوحةٍ فوقَ زمزمَ في أعلى المسجد، وليسَ بمكّةَ يومئذٍ أحدٌ وليسَ بها مـــاء فوضعهمـا هنالكَ، ووضعَ عندهما جراباً فيه تمرٌ، وسقاءً فيه ماءٌ ثمّ قفّى إبراهيمُ منطلقاً، فتبعتهُ أمُّ إسماعيلَ، فقالتْ يا إبراهيمُ أينَ تذهبُ وتتركُنا بهذا الوادي، الذي ليسَ فيه إنس، ولا شيءٌ، فقالتْ لهُ ذلكَ مراراً، وجعلَ لا يلتفتُ إليها فقالتْ لهُ آللهُ الذي أمرَكَ بهذا قال: نعمْ قالتْ إذنْ لا يُضيّعُنا ثمّ رجعتْ فانطلقَ إبراهيمُ حتّى إذا كانَ عندَ الثّنيةِ حيثُ لا يرونه استقبلَ بوجههِ البيتَ ثمّ دعا بهؤلاءِ الكلماتِ ورفعَ يديهِ فقالَ: ربِّ إنّي أسكنتُ مـــن ذرّيتي بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ، حتّى بلغَ يشكرون، وجعلتْ أمُّ إسماعيلَ تُرضعُ إسماعيلَ وتشــرب منْ ذلكَ الماءِ حتّى إذا نفِدَ ما في السِّقاءِ عطشتْ وعطشَ ابنُها وجعلتْ تنظرُ إليــــه يتلوّى أوْ قالَ يتلبّطُ فانطلقتْ كراهيةَ أنْ تنظرَ إليهِ، فوجدتِ الصّفا أقربَ جبلٍ في الأرضِ يليها، فقامتْ عليهِ ثمّ استقبلتِ الواديَ تنظرُ إليه هلْ ترى أحداً (فلم تر أحداً) فهبطتْ منَ الصّفا حتّى إذا بلغتِ الواديَ رفعتْ طرفَ درعِها ثمّ سعتْ سعيَ الإنسانِ المجهودِ حتّى جاوزتِ الواديَ، ثمّ أتتِ المروةَ فقامتْ عليها ونظرتْ هلْ ترى أحداً فلمْ ترَ أحداً ففعلتْ ذلكَ ســبع مـــرّات.

قـالَ ابنُ عبّاس: قالَ النّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) فذلكَ سعيُ النّاسِ بينهمـا. فلمّا أشرفتْ على المروةِ سمعتْ صوتاً فقالتْ صهٍ تُريدُ نفسَها ثمّ تسمّعتْ فسمعت أيضــاً، فقالتْ قدْ أسمعتَ إنْ كانَ عندكَ غُواثٌ، فإذا هيَ بالملَكِ عندَ موضعِ زمزمَ، فبحثَ بعقبِه أوْ قالَ بجناحِه، حتّى ظهرَ الماءُ، فجعلتْ تُحوّضُه وتقولُ بيــدها هكذا، وجعلـتْ تغــرفُ منَ المـاءِ في سقائِها وهـو يفـور بعــد ما تغــرف

قالَ ابْنُ عبّاسٍ : قالَ النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) يرحمُ اللهُ أمَّ إسماعيلَ لو تركتْ زمزمَ أو قالَ لو لم تغرفْ من الماءِ لكانتْ زمزمُ عيناً معيناً ، قالَ فشربتْ وأرضعتْ ولدَها ، فقالَ لها الملكُ لا تخافوا الضيعةَ ، فإنَّ هاهنا بيتَ اللهِ يبني هذا الغلامُ وأبوه ، وإنَّ اللهَ لا يضيعُ أهلَه ، وكانَ البيتُ مرتفعاً من الأرضِ كالرابيةِ تأتيه السيولُ ، فتأخذُ عن يمينِه وشمالِه ، فكانتْ كذلكَ حتى مرَّتْ بهم رفقةٌ من جرهمَ أو أهلُ بيتٍ من جرهمَ مقبلينَ من طريقِ كداءٍ فنزلوا في أسفلِ مكةَ فرأوا طائراً عائفاً فقالوا إنَّ هذا الطائرَ ليدورُ على ماءٍ لعهدُنا بهذا الوادي وما فيه ماءٌ فأرسلوا جرياً أو جريَّيْنِ فإذا هم بالماءِ ، فرجعوا فأخبروهم بالماءِ فأقبلوا قالَ وأمُّ إسماعيلَ عندَ الماءِ ، فقالوا أتأذنينَ لنا أنْ ننزلَ عندَكِ ، فقالتْ : نعم: ولكنْ لا حقَّ لكم في الماءِ ، قالوا نعم ، قالَ ابنُ عباسٍ : قالَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) : فألفى ذلكَ أمَّ إسماعيلَ وهي تحبُّ الإنسَ فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كانَ بها أهلُ أبياتٍ منهم ، وشبَّ الغلامُ وتعلَّمَ العربيةَ منهم ، وأنفسَهم وأعجبَهم حينَ شبَّ ، فلمّا أدركَ زوَّجوه امرأةً منهم وماتتْ أمُّ إسماعيلَ ، فجاءَ إبراهيمُ بعدَما تزوَّجَ إسماعيلُ يطالعُ تركتَه فلم يجدْ إسماعيلَ فسألَ امرأتَه عنه فقالتْ : خرجَ يبتغي لنا ، ثمَّ سألَها عن عيشِهم وهيئتِهم ، فقالتْ : نحنُ بشرٍّ نحنُ في ضيقٍ وشدَّةٍ ، فشكتْ إليه ، قالَ فإذا جاءَ زوجُكِ فاقرئي عليه السلامَ وقولي له يغيِّرْ عتبةَ بابِه ، فلمّا جاءَ إسماعيلُ كأنَّه آنسَ شيئاً ، فقالَ : هل جاءَكم من أحدٍ ، قالتْ : نعم جاءَنا شيخٌ كذا وكذا فسألَنا عنكَ فأخبرتُه ، وسألَني كيفَ عيشُنا ، فأخبرتُه أنّا في جهدٍ وشدَّةٍ ، قالَ : فهل أوصاكِ بشيءٍ ؟ قالتْ نعم : أمرني أنْ أقرأَ عليكَ السلامَ ، ويقولُ غيِّرْ عتبةَ بابِكَ ، قالَ : ذاكِ أبي ، وقد أمرني أنْ أفارقَكِ الحقي بأهلِكِ فطلَّقَها ، وتزوَّجَ منهم أخرى ، فلبثَ عنهم إبراهيمُ ما شاءَ اللهُ ثمَّ أتاهم بعدُ فلم يجدْه ، فدخلَ على امرأتِه فسألَها عنه ، فقالتْ خرجَ يبتغي لنا ، قالَ : كيفَ أنتم ؟

وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله ، فقال : ماطعامكم ؟ قالت: اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء . قال النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير ، قال فأوصاك بشيء ؟ قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ، ثم قال : ياإسماعيل إن الله أمرني بأمر قال فاصنع ماأمرك ربك ، قال : وتعينني قال وأعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ماحولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (١) .

---

(١) صحيح البخاري "كتاب بدء الخلق" ٤ : ١٧٣ - ١٧٥ .
وانظر "تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول" ٤ : ٧٠ : ٧٣ .

- ٢ - موسى والخضر

حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس إن نوفا البكالي يزعم أن موسى عليه السلام صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر عليه السلام، فقال كذب عدو الله، سمعت أبي بن كعب يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا أعلم، قال فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى : أي رب كيف لي به ؟ فقيل له: احمل حوتًا في مكتل فحيث تفقد الحوت فهو ثم فانطلق وانطلق معه فتاه وهو يوشع بن نون فحمل موسى عليه السلام حوتاً في مكتل وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة فرقد موسى عليه السلام وفتاه فاضطرب الحوت في المكتل حتى خرج من المكتل فسقط في البحر قال : وأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق فكان للحوت سرباً، وكان لموسى وفتاه عجباً، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ونسى صاحب موسى أن يخبره فلما أصبح موسى عليه السلام قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، قال ولم ينصب حتى جاوز المكان الذى أمر به، قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجباً، قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً، قال يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة فرأى رجلاً مسجى عليه بثوب فسلم عليه موسى، فقال له الخضر : أنى بأرضك السلام قال . أنا موسى، قال موسى بنى إسرائيل ؟ قال: نعم، قال إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه قال له موسى عليه السلام : هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا؟ قال إنك لن تستطيع معى صبرا، وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا، قال. ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا، قال له الخضر: فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا، قال نعم.

فانطلق الخضر وموسى يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلماهم أن يحملوهما

فعرفوا الخضر فحملوها بغير نول فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئا إمرا ، قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا ، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله ، فقال موسى أقتلت نفسا زاكية بغير نفس ؟ لقد جئت شيئا نكرا ، قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال وهذه أشد من الأولى ، قال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه، يقول مائل قال : الخضر بيده ، هكذا فأقامه قال له موسى قوم أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا لو شئت لتخذت عليه أجرا ؟ قال : هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما ، قال وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت الأولى من موسى نسيانا قال : وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر فقال له الخضر : ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر قال سعيد بن جبير وكان يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وكان يقرأ : وأما الغلام فكان كافرا (١)".

---

(١) "صحيح مسلم" ٥ : ٢٣١ - ٢٤١ .

٣ - براءة موسى

حدثني محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذكر أحاديث منها وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ، قال : فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال : فجمح موسى بأثره يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر ، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى - فقالوا : والله ما بموسى من بأس فقام الحجر بعد حتى نظر إليه قال فأخذ ثوبه فطفق - بالحجر ضربا ، قال أبو هريرة والله إنه بالحجر ندب ستة أو سبعة ضرب موسى عليه السلام بالحجر (١) .

---

٤ - سليمان والسبعون امرأة

عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : قال سليمان بن داود نبي الله لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن فأتي بغلام يقاتل في سبيل الله فقال له - صاحبه أو الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسي فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا له في حاجته (٢) .

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٢٢١ - ٢٢٢ .
وأخرجه البخاري ١ : ٧٨ .
وأخرجه الترمذي ٥ : ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ .
وأخرجه مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٣١٥ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥٣٥ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٩٩ - ٢٠٢ .

وأخرجه النسائي ٧ : ٢٥ - ٢٦ - ٣١ .

- ٥ - "احتجاج آدم وموسى"

حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ذُبَابٍ عَنْ يَزِيدَ " وَهُوَ ابْنُ هُرْمُزَ " وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ قَالَا : سَمِعْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ، قَالَ مُوسَى : أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ !!! فَقَالَ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ؟ قَالَ مُوسَى بِأَرْبَعِينَ عَامًا ، قَالَ آدَمُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى .

---

(١) "صحيح مسلم" ٥ : ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٦ - ٥٠٧ .
وأخرجه البخاري ٦ : ١٢٠ .
وأخرجه مالك في الموطأ ٥٦٠ .
وأخرجه أبو داود ٢ : ٥٢٨ ، ٤ : ٢٢٦ .
وأخرجه الترمذي ٤ : ٤٤٤ .
وأخرجه ابن ماجة ١ : ٣١ .
وأخرجه مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٢١٤ - ٤٦٤ .

- ٦ - " موسى وملك الموت "

حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ ابْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ أَجِبْ رَبَّكَ قَالَ فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا قَالَ فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلِ الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ ثُمَّ تَمُوتُ قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ.

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

وأخرجه مسند أحمد بن حنبل . ٢ : ٣١٥ - ٥٣٣ .

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عفان ثنا أبو خلف موسى بن خلف كان يعد في البدلاء ثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن الحرث الأشعري أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فكاد أن يبطئ، فقال له عيسى إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن تأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أبلغهن فقال له يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي عمله إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وآمركم بالصلاة فإن الله عز وجل ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا، وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه بالقليل والكثير حتى فك نفسه وآمركم بذكر الله كثيراً وأن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وأن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا آمركم بخمس الله أمرني بهن بالجماعة وبالسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم، قالوا: يا رسول الله وإن صام وصلى قال: وإن صام وصلى وزعم

أَنَّهُ مُسْلِمٌ فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمْ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الْمُسْلِمِين الْمُؤْمِنِين عِبَادَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١) .

٨ - محاكمة سليمان وداود

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حدثني أبو ثنا علي بن حفص أنا ورقاء عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأعرج عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ "بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَان لَهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَأَخَذَ أَحَدَ الابْنَيْنِ فَتَحَاكَمَا إِلَى دَاوُدَ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى فَخَرَجَتَا فَدَعَاهُمَا سُلَيْمَانُ فَقَالَ هَاتُوا السِّكِّينَ أَشُقُّ بَيْنَهُمَا فَقَالَتْ الصُّغْرَى يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا لاَتَشُقَّهُ فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنْ طَعِنَّا مَا السِّكِّينَ إِلا يَوْمَئِذ وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلاَّ الْمُدْيَةَ (٢).

٩ - أيوب وجراد الذهب

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي ثَنَا أَبُو دَاود ثَنَا همام عَنْ قَتَادَةَ عَنِ النَّضْرِ يَعْنِي ابن أَنَسْ بن مَالِكٍ عَنْ بَشِيرِ بن نَهِيكٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ قَالَ : أُرْسِلَ عَلَى أَيُّوبَ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَلْتَقِطُ فَقَالَ أَلَمْ أُغْنِكَ يَا أَيُّوبُ، قَالَ أَيُّوبُ وَمَنْ يَشْبَعُ مِنْ رَحْمَتِكَ أَوْ قَالَ مِنْ فَضْلِك (٣)

(١) وأخرجه مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٣٠ - ٢٠٢ .
وأخرجه الترمذي في صحيحه ٥ : ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل ٢ : ٣٢٢ .
وأخرجه النسائي ٢ : ٢٨ .
وأخرجه الترمذي ٨ : ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٣) أخرجه مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٣٠٤ .
وأخرجه البخاري في صحيحه ١ : ٦٨ .

- ١٠ - عيسى والسارق

حدثني محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام ابن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له عيسى سرقت ؟ قال : كلا والذي لا إله إلا هو . فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت نفسي (١) .

- ١١ - تحليل الغنائم لهذه الأمة

حدثنا محمد بن رافع واللفظ له " حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذكر أحاديث منها وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن ، ولا آخر قد بنى بنيانا ولما يرفع سقفها ، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادها قال : فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي شيئاً فحبست عليه حتى فتح الله عليه قال : فجمعوا ما غنموا فأقبلت لتأكله فأبت أن تطعمه فقال : فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فبايعته قال : فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال : فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب ، قال : فوضعوه في المال وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلته فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا (٢) .

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٢١٦ .
وأخرجه النسائي ٨ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٣٤٥ .
وأخرجه البخاري ٧ : ٢٧ .
وأخرجه الترمذي ٥ : ٢٧١ .
وأخرجه مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٣١٨ .
وأخرجه مسند أحمد بن حنبل ١٤ : ١٣٤ .

- ١٢ - "داود وملك الموت"

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد يعني القاري عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال كان داود النبي فيه غيرة شديدة ، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع . قال : فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل الدار . والدار مغلقة والله لتفتضحن بداود فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت ؟ قال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمتنع مني شيء فقال داود أنت والله ملك الموت فمرحبا بأمر الله فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلي على داود فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهما الأرض فقال لها سليمان اقبضي جناحا جناحا . قال أبو هريرة يرينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف فعلت الطير وقبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغلبت عليه يومئذ المصرحية .

- ١٣ - خلق آدم

حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح . عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ، ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه ، فقال أي رب من هذا ؟ فقال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال ستين سنة ، قال أي رب زده من عمري أربعين سنة ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت ، فقال : أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أولم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته ، وخطئ آدم فخطئت ذريته .

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٤١٩ .

(٢) سنن الترمذي ٥ : ٢٦٧ - ٤٥٣ .

وأخرجه صحيح الجامع الصغير ٥ : ٤٨ - ٤٩ .

- ١٤ - ساره الجبار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ اثْنَتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ : " إِنِّي سَقِيمٌ " وَقَوْلُهُ " بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا " وَوَاحِدَةً فِي شَأْنِ سَارَةَ فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهَا : إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ فَفَعَلَتْ ، فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ ، فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللَّهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ قَالَ : فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ فَقَالَ لَهَا مَهْيَمْ قَالَتْ : خَيْرًا كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ . (١) .

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٢١٩ - ٢٢٠
وأخرجه البخاري ٣ : ١٠٥ - ١٠٦ .
وأخرجه أبو داود ٢ : ٢٦٤ .
وأخرجه أحمد بن حنبل ٢ : ٤٠٣ - ٤٠٤ .
صحيح مسلم ٤ : ١٨٤٠ - ١٨٤١

- ١٥ - " النبي وقرية النمل "

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ثم أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ بالنار فأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً (١) .

- ١٦ - " النبي الذي ضربه قومه "

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُود قَالَ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) غَنَائِمَ حُنَيْنٍ بِالجِعْرَانَةِ قَالَ فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى قَوْمِهِ فَكَذَّبُوهُ وَشَجُّوهُ فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ جَبِينِهِ وَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . (٢) .

---

(١) أخرجه بن داود ٤ : ٣٦٧ .
(٢) وأخرجه الترمذي ٧ : ٢١٠ - ٢١١ .
(٣) وأخرجه النسائي ٧ : ١٧٦ .
(٤) وأخرجه ابن ماجة ٢ : ١٠٧٥ .
(٥) وأخرجه أحمد بن حنبل ٢ : ٤٤١ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٤٢٧ " صادر "
وانظر رياض الصالحين . ٢٣٣ .
سنن ابن ماجة (أدب) رقم (٤٠٢٥) حـ ٢ : ١٣٣٥ .

- ١٧ - العقار وجرة الذهب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ فَقَالَ الَّذِي شَرَى الأَرْضَ إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا قَالَ : فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ : أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلَامٌ وَقَالَ الآخَرُ لِي جَارِيَةٌ قَالَ : أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا (١) .

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٣١٥ - ٣١٦

(٢) أخرجه البخاري ٤ : ٢١٢ .

أخرجه ابن ماجة ٢ : ٨٣٩ .

أخرجه أحمد بن حنبل ٢ : ٣١٦ .

صحيح مسلم ٣ : ١٣٤٥ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتني بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيداً قال فأتني بالكفيل قال : كفى بالله كفيلاً ، قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال : اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً فرضي بك وسألني شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً فرضي بك وأني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال والله مازلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه ، قال هل كنت بعثت إلي بشيء ، قال أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه، قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف دينار راشداً . (١) .

---

(١) صحيح البخاري ٣ : ١٢٤ - ١٢٥ .
تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٤ : ٨٠ .

١٩ - أصحاب الغار الثلاثة *

عن عبد الله بن عمر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال : أحدهم اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز فلما قضى عمله قال : أعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها فجاءني فقال : اتق الله ولا تظلمني حقي قلت اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها فقال : اتق الله ولا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك ، خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذها فذهب به فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي ففرج الله ما بقي (٢) .

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٥٨٣ - ٥٨٦ .

(٢) وأخرجه البخاري ٤ : ٢١٠ ، ٣ : ١٠٤ - ١٠٥ .
وأخرجه أبو داود ٣ : ٢٥٦ - ٢٥٧ .
وأخرجه أحمد بن حنبل ٣ : ١٤٣ - ٤ : ٢٧٤ - ٢٧٥ .
وأخرجه أحمد بن حنبل ٨ : ١٧٨ - ١٨٠ .
تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٤ : ٧٧ .

- ٢٠ - صوت في سحابة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَ : فُلَانٌ لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي ؟ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ قَالَ : أَمَّا إِذْ قُلْتَ هذا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ (١) .

- ٢١ - الرجل الذي أحب أخاه في الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) خَرَجَ رَجُلٌ يَزُورُ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً فَلَمَّا مَرَّ بِهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ : أُرِيدُ فُلَاناً قَالَ : لِلْقَرَابَةِ قَالَ : لَا قَالَ : فَلِنِعْمَةٍ لَهُ عِنْدَكَ تَرُبُّهَا قَالَ لَا قَالَ : فَلِمَ تَأْتِيهِ قَالَ : إِنِّي أُحِبُّهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّكَ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ فِيهِ (٢) .

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٨٣٤ .
وأخرجه أحمد بن حنبل ٢ : ٢٩٦ .
مسند أحمد بن حنبل ١٥ : ٢٠٩ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٥٠٨ .

-٢٢- الرجل المتصدق

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّٰه (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) " قَالَ رَجُلٌ لأتصدقن الليلة صدقة فأخرج صدقته فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على زانية، وقال : لأتصدقن الليلة بصدقة فأخرج صدقته فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على سارق ثم قال : لأتصدقن الليلة بصدقة فأخرج الصدقة فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غني فقال : الحمد لله على سارق وعلى زانية وعلى غني قال : فأتى فقيل له أما صدقتك فقد تقبلت أما الزانية فلعلها يغني أن تستعف به، وأما السارق فلعله أن يستغني به، وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما آتاه الله " (١) .

-٢٣- المؤمن والمنشار

عَنْ خباب قَالَ : شكونا إلى رسول الله (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا الله عز وجل فقال : قد كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض فيجاء فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل بنصفين فما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من المدينة إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون " (٢) .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٣٢٢ .

(٢) صحيح البخاري ٤ : ٢٤٤ .
أخرجه أبو داود ٢ : ٤٤ .
أخرجه أحمد بن حنبل ٦ : ٣٩٥ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلاثَةٌ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِداً فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ : يَاجُرَيْجُ فَقَالَ يَارَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ فَانْصَرَفَتْ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ : يَاجُرَيْجُ فَقَالَ : يَارَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ فَانْصَرَفَتْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ : يَاجُرَيْجُ فَقَالَ أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ ، فَقَالَت : اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ فَتَذَاكَرَا بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجاً وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا فَقَالَتْ إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ. قَالَ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا فَأَتَتْ رَاعِياً كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا ، فَحَمَلَتْ فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ : هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ ، فَقَالَ مَاشَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ !!! فَقَالَ أَيْنَ الصَّبِيُّ فَجَاؤُوا بِهِ فَقَالَ دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّي فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ : يَاغُلامُ مَنْ أَبُوكَ ؟ قَالَ : فُلانٌ الرَّاعِي . قَالَ فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ ؟ قَالَ : لاَ أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ فَفَعَلُوا .

وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ فَقَالَتْ أُمُّهُ : اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا ، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ ، قَالَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ فَجَعَلَ يَمُصُّهَا ، قَالَ : وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتِ سَرَقْتِ ، وَهِيَ تَقُولُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَقَالَتْ أُمُّهُ اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ فَقَالَتْ حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اجْعَل ابني مثله ، فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت —

فَقَالَتْ اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا فَقَلتُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ، قَالَ إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّاراً فَقلتُ اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا " (١) .

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٤١٤ - ٤١٦ - ٤٨٠ - ٤١٢ .
" " ٤ : ١٩٧٧ .
وأخرجه البخاري ٤ : ٢٠١ - ٢٠٢
وأخرجه أحمد بن حنبل ٢ : ٣٩٥ .
" " " ١٥ : ٢٠٩

عن صهيب أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك؟ قال: ربي قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدا، وإنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بم شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك؟

قال: كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بم شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال وما هو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخدت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له أقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق" (١)

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٨٤٨ - ٨٥١

صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٩ - ٢٣٠١.

وأخرجه أحمد بن حنبل ٦ : ١٦ - ١٨ - ١٩.

وأخرجه الترمذي ٥ : ٤٣٧ - ٤٣٩.

تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٤ : ٧٣.

- ٢٦ - " بائع الخمــر والقـــرد "

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال " إِنَّ رَجُلاً كَانَ يَبِيعُ الْخَمْرَ فـي سَفِينَةٍ وَكَانَ يَشُوبُهُ بالماء وكان مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ قِرْدٌ قَالَ : فَأَخَذَ الكِيسَ وَفِيهِ الدنانير قَالَ: فَصَعَدَ الذَّرو يَعْنِي الدقل، ففتح الكيس فَجَعَلَ يُلْقِي في البَحْرِ دِينَاراً وَفِي السَّفِينَةِ دِينَاراً حَتَى لَمْ يَبْقَ فيه شَيْءٌ " (١) .

- ٢٧ - المتكبر الذي خسف به الأرض

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَـد أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضَ فهو يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ (٢) .

- ٢٨ - الرجل الذي تكلم الكلمة أوبقت دنياه وآخرته "

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلانِ كَانَ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِداً فِي العِبَادَةِ وَكَانَ الآخَرُ مُسْرِفاً عَلَى نَفْسِهِ

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٤٠٦

(٢) صحيح مسلم : ٤ : ٧٩٧ وأخرجه النسائي ٨ : ٢٠٦ - ١٨٢ .
وأخرجه أحمد بن حنبل ٣ : ٤٠ ، ٢ : ٣١٥ - ٥٣١ .
وأخرجه الدارمي ١ : ١١٦ .
وتيسير الوصول إلى جامع الأصول ٤ : ١٣٤ .

متآخيين فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول ياهذا أقصر فيقول : خلني وربي أبعثت علي رقيباً قال : إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه فقال له ويحك أقصر قال : خلني وربي أبعثت علي رقيباً قال: فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبداً قال أحدهما قال فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما واجتمعا فقال للمذنب اذهب وادخل الجنة برحمتي وقال للآخر أكنت بي عالماً، أكنت على ما في يدي خازناً اذهبوا به إلى النار " قال فوالذي نفس أبو القاسم بيده لتكلم بالكلمة أوبقت دنياه وآخرته " (١) .

٢٠٩ - الرجل الذي حرمت عليه الجنة "

عن جندب قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله تعالى : بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة " (٢) .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٣٢٣ .

(٢) صحيح البخاري : ٤ : ٢٠٨ .

ـ ٣٠ ـ العبد المذنب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّ رَجُلاً أَذْنَبَ ذَنْباً فَقَالَ : رَبِّ إِنِي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا أَوْ قَالَ عَمِلْتُ عَمَلاً ذَنْباً فَاغْفِرْهُ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدِي عَمِلَ ذَنْباً فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ عَمِلَ ذَنْباً آخَرَ أَوْ أَذْنَبَ ذَنْباً آخَر فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْباً فَاغْفِرْهُ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ عَمِلَ ذَنْباً آخَر وَأَذْنَبَ ذَنْباً آخَر فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ فَقَالَ عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ[1] .

ـ ٣١ ـ الأبرص والأقرع والاعمى

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : إِنَّ ثَلاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ ، قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً وَجِلْداً حَسَناً ، فَقَالَ أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ الإِبِلُ ، أَوْ قَالَ البَقَرُ ، هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ أَنَّ الأَبْرَصَ وَالأَقْرَعَ قَالَ : أَحَدُهُمَا الإِبِلُ وَقَالَ الآخَرُ البَقَرُ ، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ ، فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : شَعَرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ ، قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَناً قَالَ فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ :

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ٢ : ٢٩٦ - ٤٠٥ - ٤٩٢ .
صحيح مسلم ٥ : ٦٠٢ .
وأخرجه البخاري ٩ : ١٧٨ .

البقر، قال فأعطاه بقرة حاملا، وقال يبارك لك فيها فأتى الأعمى فقال أي شيء أحب إليك؟ قال يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس قال فمسحه فرد الله إليه بصره، قال فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من إبل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري فقال له إن الحقوق كثيرة، فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله. فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك (١).

---

(١) صحيح البخاري ٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .
وأخرجه مسلم ٤ : ٢٢٧٥ - ٢٢٧٧ .
تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٤ : ٧٨ - ٧٦ .

عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال دخلت على ابن مسعود "بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته فتفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربه فتسرب فانساب ذات ليلة من قصره فأصبح في مملكة غيره وأتى ساحل البحر وكان به يضرب اللبن بالأجر فيأكل ويتصدق بالفضل فلم يزل كذلك حتى رقي أمره إلى ملكهم وعبادته وفضله فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه فأبى أن يأتيه فأعاد ثم أعاد إليه فأبى أن يأتيه وقال ماله ومالي قال : فركب الملك فلما رآه الرجل ولى هاربا فلما رأى ذلك الملك ركض في أثره فلم يدركه . قال : فناداه يا عبد الله انه ليس عليك مني بأس فأقام حتى أدركه فقال له من أنت رحمك الله ؟ قال أنا فلان بن فلان صاحب ملك كذا وكذا تفكرت في أمري فعلمت أن ما أنا فيه منقطع فإنه قد شغلني عن عبادة ربي فتركته وجئت ههنا أعبد ربي عز وجل فقال : ما أنت بأحوج الى ما صنعت مني قال ثم نزل عن دابته فسيبها ثم تبعه فكانا جميعا يعبدان الله عز وجل فدعوا الله أن يميتهما جميعا قال فماتا قال عبد الله لو كنت برميلة مصر لأريتكم قبورهما بالنعت الذي نعت لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(1)".

---

(1) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٤٥١ .

- ٣٣ - " الرجل والكلب اللاهث "

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) :
" بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ، فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ فَقَالَ : فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرًا (١) ".

- ٣٤ - الرجل الذى كان ينظر المعسر

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَالُوا أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لاَ قَالُوا : تَذَكَّرْ قَالَ كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ قَالَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَجَوَّزُوا عَنْهُ (٢) ".

---

(١) صحيح البخاري ٨ : ١١ .
وأخرجه مسلم ٤ : ١٧٦١ .
وأخرجه مالك في الموطأ ٥٧٨ .
وأخرجه أبو داود ٢ : ٣٢ - ٣٣ .
وأخرجه أحمد بن حنبل ٢ : ٥١٧ - ٥٢١ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٦٩ - ٧٠ .
وأخرجه البخاري ٤ : ٢٠٥ .
وأخرجه الترمذي ٣ : ٥٩٠ .
وأخرجه النسائي ٧ : ٣١٩ .
وأخرجه أحمد بن حنبل ٥ : ٤٠٧ - ٢ : ٣٣٢ - ٣٦١ .
وأخرجه الدارمي ٢ : ٢٤٩ .

- ٣٥ - الرجل الذي طلب أن يحرق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لِأَهْلِهِ إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ وَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟! قَالَ : من خشيتك يارب وأنت أعلم ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ (١) " .

- ٣٦ - قصة الكفل

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : " كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا ، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ .
وأخرجه البخاري ٤ : ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢١٤ - ٢١٥ .
وأخرجه مالك في الموطأ ١٦٥ .
وأخرجه النسائي ٤ : ١١٣ .
وأخرجه ابن ماجه ٢ : ١٤٢١ .
وأخرجه الدارمي ٢ : ٣٣٠ .
وأخرجه أحمد بن حنبل ٢ : ٣٠٤ .
٣ : ١٧ - ٧٠ - ٧٧ - ٧٨ .
٥ : ٥ - ٤٠٧ .

ارْعَدَتْ وَبَكَتْ، فقال: مَا يُبْكِيكِ؟ أَأَكْرَهْتُكِ؟ قالتْ: لا، وَلكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الحَاجَةُ، فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتُهُ؟ إِذْهَبِي فَهِيَ لَكِ، وَقَالَ: لَا وَاللهِ لَا أَعْصِي اللهَ بَعْدَهَا أَبَدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ (١)".

- ٣٧ - "القاتل مائة نفس"

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ (صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا ... فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ (٢)".

---

(١) سنن الترمذي ٤ : ٦٥٧ - ٦٥٨ .
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦ : ٣٣٤ - ٣٣٦ .
٢ : ٣٣٩ .
تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٤ : ٧٧ .

(٢) صحيح مسلم ٥ : ٦٠٩ - ٦١١ .
٤ : ٢١١ - ٢١٢ .
وأخرجه ابن ماجة ٢ : ٨٧٥ .
وأخرجه أحمد بن حنبل ٣ : ٢٠ .

- ٣٨ - "كرسف والمـــرأة"

عَنْ أَبِي ذَرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّه (صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ): كُرْسُفُ رَجُلٌ كَانَ يَعْبُدُ اللّهَ بِسَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ ثلثمائة عَام يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ثم انه كَفَرَ بِاللّه الْعَظِيمِ فِي سَبَبِ امْرَأَةٍ عَشِقَهَا، وَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللّه عَزَ وَجَـــلّ ثم اسْتَدْرَكَ اللّهُ بِبَعْضِ مَا كَانَ مِنْهُ فَتَابَ عَلَيْـــه (١)".

- ٣٩ - " الرجـــل والجمجمـــة "

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمْ : " مَرَّ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُـــمْ بِجُمْجُمَـــةٍ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فَقَالَ : اللَّهم أَنْتَ أَنْتَ وَأَنَا أَنَا أَنْتَ الْعَـوَّادُ بِالْمَغْفِـــرَةِ وَأَنَا الْعَوَّادُ بِالذُّنُوبِ فَاغْفِرْ لِي وَخَرَّ عَلَى جَبْهَتِهِ سَاجِدًا فَنُودِيَ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَـوَّادُ بِالذُّنُوبِ وَأَنَا الْعَـوَّادُ بِالْمَغْفِـــرَةِ قَدْ غَفَـــرْتُ لَكَ فَرَفَعَ رَأْسَـــهُ وَغَفَـــرَ اللّهُ عَزَ وَجَـــلّ لَـــهُ (٢)" .

(١) مسـند أحمد بن حنبـل ٥ : ١٦٤ .

(٢) مسـند أحمد بن حنبـل ٢ : ٢٥٠ .

* القصص النبوي الذي برزت فيه شخصية المرأة *

- ٤٠ - المرأة والراهب

عَنْ عُثْمَانَ بنْ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : " اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ " قَالَ : أَنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ تَعَبَّدَ فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا فَقَالَتْ لَهُ إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ فَقَالَتْ إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْسًا أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ قَالَ : فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا فَسَقَتْهُ كَأْسًا قَالَ زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا وَقَتَلَ النَّفْسَ . فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ (١) " .

- ٤١ - المومس والكلب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) : " بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ (٢) " .

---

(١) سنن النسائي ٨ : ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) صحيح البخاري ٤ : ٢١١ .
وأخرجه صحيح مسلم ٥ : ١٠١ .
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢ : ٥١٠ .

- ٤٢ - " المــرأة والهـــرة "

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)قَالَ : " دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّــارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَـتْ هَـزْلاً (١)".

- ٤٣ - " ماشــطة فرعــــون "

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ،عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ(صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ ،وَجَــدَ رِيحاً طَيِّبَــةً . فَقَالَ " يَا جِبْرِيلُ مَا هٰذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ ؟ قَالَ: هٰذِهِ رِيحُ قَبْرِ الْمَاشِــطَةِ وَابْنَيْهَا وَزَوْجِهَا . قَالَ : وَكَانَ بَدْءُ ذٰلِكَ أَنَّ الْخَضِرَ كَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي إِسْــرَائِيلَ. وَكَانَ مَمَرُّهُ بِرَاهِبٍ فِي صَوْمَعَتِــهِ فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِ الرَّاهِبُ . فَيُعَلِّمُهُ الإِسْلاَمَ . فَلَمَّا بَلَغَ الْخَضِرُ، زَوَّجَــهُ أَبُوهُ امْرَأَةً . فَعَلَّمَهَا الْخَضِرُ وَأَخَذَ عَلَيْهَا أَنْ لاَ تُعْلِمَهُ أَحَداً . وَكَانَ لاَ يَقْــرَبُ النِّسَاءَ فَطَلَّقَهَا ثُمَّ زَوَّجَهُ أَبُوهُ أُخْرَىٰ فَعَلَّمَهَا وَأَخَذَ عَلَيْهَا أَنْ لاَ تُعْلِمَهُ أَحَداً. فَكَتَمَــتْ إِحْدَاهُمَا وَأَفْشَتْ عَلَيْهِ الأُخْرَىٰ . فَانْطَلَقَ هَارِباً . حَتَّى أَتَى جَزِيرَةً فِي الْبَحْرِ،فَأَقْبَــلَ رَجُلاَنِ يَحْتَطِبَانِ فَرَأَيَاهُ فَكَتَمَ أَحَدُهُمَا وَأَفْشَى الآخَرُ،وَقَالَ : قَدْ رَأَيْتُ الْخَضِرَ . فَقِيــلَ : وَمَنْ رَآهُ مَعَكَ ؟ قَالَ : فُلاَنٌ . فَسُئِلَ فَكَتَمَ . وَكَانَ فِي دِينِهِمْ أَنَّ مَنْ كَذَبَ قُتِلَ. قَالَ فَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ الْكَاتِمَةَ فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشُطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ،إِذْ سَقَطَ الْمُشْطُ فَقَالَتْ : تَعِــسَ فِرْعَوْنُ،فَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا ، وَكَانَ لِلْمَــرْأَةِ ابْنَانِ وَزَوْجٌ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ.فَرَاوَدَ الْمَرْأَةَ وَزَوْجَهَا

(١) صحيح مسلم : ٥ : ٥٩٩ - ٤٧٦ - ٤٧٨ .
وأخرجه البخاري ٤ : ٢١٥ .
وأخرجه ابن ماجة ٢ : ١٤٢١ .
وأخرجه الدارمي ٢ : ٣٣١ .
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢ : ٣١٧ - ٥١٩ .

أَنْ يرْجِعَا عَنْ دِينِهِمَا . فَأَبَيَا . فَقَالَ : إني قَاتِلُكُمَا . فَقَالاَ : إِحْسَانًا مِنْكَ إِلَيْنَا ، إِنْ قَتَلْتَنَا ، أَنْ تَجْعَلَنَا فِي بَيْتٍ . فَفَعَلَ (١)" .

ـ٤٤ـ " المرأة القصيرة "

عَنْ أبي سَعيد الْخُدْرِي عَن النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) قال " كَانَت امْرَأَة من بني إِسْرَائِيلَ قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خشب وخاتمًا مِنْ ذهب مُغْلَق مُطْبَق ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ فَلَمْ يَعْرِفُوهَا فَقَالَتْ : بِيَدِهَا هَكَذَا وَنَفَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ (٢)" .

ـ ٤٥ ـ المرأة والتنور

قَالَ ثنا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ قَالَ:

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ بَيْنَمَا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ لَهُ فِي السَّلَفِ الْخَالِي لاَ يَقْدِرَانِ عَلَى شَيْءٍ فَجَاءَ الرَّجُلُ مِنْ سَفَرِهِ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ جَائِعًا قَدْ أَصَابَتْهُ مَسْغَبَةٌ شَدِيدَةٌ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ أَعِنْدَكِ شَيْءٌ ، قَالَتْ نَعَمْ أَبْشِرْ أَتَاكَ رِزْقُ اللَّهِ فَاسْتَحَثَّهَا فَقَالَ وَيْحَكِ ابْتَغِي إِنْ كَانَ عِنْدَكِ شَيْءٌ قَالَتْ : نَعَمْ هُنَيْهَةً نَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيهِ الطَّوى قال ، ويحك قومي فابتغي إِنْ كَانَ عِنْدَكِ خُبْزٌ فَأْتِينِي بِهِ فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ وَجُهِدْتُ فَقَالَتْ نَعَمْ الآنَ يَنْضَجُ التَّنُّورُ فَلاَ تَعْجَلْ

---

(١) ابن ماجة ٢ : ١٣٣٧ .

مسند أحمد بن حنبل ٤-٢٩٥-٢٩٦ .

(٢) صحيح مسلم ٥ : ١٠٧ .

أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣ : ٤٠-٤٦ .

فَلَمَّا أنْ سَكَتَ عَنْهَا سَاعَةً وَتَحَيَّنَتْ أَيْضًا أَنْ يَقُولَ لَهَا، قَالَتْ هِيَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهَا لَوْ قُمْتُ فَنَظَرْتُ إِلَى تَنُّورِي فَقَامَتْ فَوَجَدَتْ تَنُّورَهَا مَلآنَ جُنُوبَ الْغَنَمِ وَرَحْيَيْهَا تَطْحَنَانِ، فَقَامَتْ إِلَى الرَّحَى فَنَفَضَتْهَا وَأَخْرَجَتْ مَا فِي تَنُّورِهَا مِنْ جُنُوبِ الْغَنَمِ قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ عَنْ قَوْلِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) لَوْ أَخَذَتْ مَا فِي رَحْيَيْهَا وَلَمْ تَنْفُضْهَا لَطَحَنَتْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١)".

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٤٢١ .

٤٦- الرجـــل والذئب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) قَالَ : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَرْعَى غَنَمًا لَــهُ إِذْ جَاءَ ذِئْبٌ فَأَخَذَ شَاةً فَجَاءَ صَاحِبُهَا فَانْتَزَعَهَا مِنْـهُ، فَقَالَ الذِّئْبُ : كَيْــفَ تَصْنَــعُ بِهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَــيْرِي ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمْ): فَآمَنْتُ بِذَلِكَ أَنَا وَأَبُو بَكْــرٍ وَعُمَــرُ (١) " .

---

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه ٥ : ٦٢٣ .

الباب الثاني

الفصل الأول : أهداف القصة النبويّة

الفصل الثاني : النماذج الإنسانية

الفصل الثالث : أسلوب القصة النبوية وخصائصها.

أسلوب التصوير.

الألوان البلاغية في القصص النبوي

الفصل الرابع : العلاقة بين القصة النبوية والقصة القرآنية

الفصل الخامس : خطر القصص الموضوع والضعيف على القصة النبويّة

تنفرد القصة النبوية بأهداف وغايات خاصة تتضمن ما يلي : -

١ - أهداف تتعلق بتفسير ما أجمله القصص القرآني .

٢ - أهداف تربوية تتصل بتثبيت العقيدة ، وتربية النفس المؤمنة التربية السليمة من خلال تصوير الأحداث ، والمواقف التي تعرضها القصة النبوية ومن خلال تصوير بعض النماذج لتكون القدوة المثلى للشخصية المؤمنة .

ولإدراك هذه الأهداف والغايات لابد لنا من التأمل والنظر في نصوص القصص النبوي ، لندرك الغاية التي أرادها الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

١ - القصص النبوية التي جاءت تفصيلاً لما أجمله القصص القرآني .

من القصص النبوية التي جاءت تفصيلاً لما أورده القرآن الكريم قصة " إبراهيم وابنه إسماعيل "(١) فقد جاء في القرآن الكريم دعاء إبراهيم عليه السلام لذريته بعد أن تركهما في وادٍ غير ذي زرع تنفيذاً لأمر ربه قال تعالى : " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ "(٢)

فالقصة النبوية تذكر لنا نشأة إسماعيل عليه السلام ، ونبع زمزم ، ووفود رفقة من قبيلة جرهم ، وسكنهم منطقة مكة بالقرب من نبع الماء ، كما تفصل لنا القصة كيفية نشأة إسماعيل عليه السلام بين آل جرهم وتعلمه العربية منهم وتقريبهم له ، فلما بلغ سن الرشد زوجوه إحدى بناتهم ، كما تشرح القصة كيفية بناء الكعبة المشرفة في مكة بيدي إبراهيم عليه السلام ، ومساعدة ابنه إسماعيل عليه السلام له في البناء تنفيذاً لأمر الله سبحانه .

---

(١) انظر نص القصة رقم (١) في هذه الرسالة .

(٢) سورة إبراهيم / الآيتان ، ٣٦ - ٣٧ .

والقصة النبوية كذلك تفصل قصة أصحاب الأخدود التي وردت في سورة البروج قال تعالى : " قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ " (١).

فهذا اجمال ما جاء تفصيله في قصة " الملك والساحر والغلام " (٢) التي تصور أصل قصة أصحاب الأخدود ، وكيف حكم عليهم ذلك الحكم الجائر بعد أن آمنوا برب الغلام الذي قدم نفسه روحاً رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله ، فكان أصحاب الأخدود الذين خدّ الأخدود من أجلهم وسجر بالنيران ، وعرض المؤمنون عليه فمن رجع عن دينه تركوه ، ومن أصر على الإيمان أحرقوه .

والقصة النبوية تهدف إلى تصوير نموذج مثالي للمؤمن الذي يبذل دمه في سبيل عقيدته ويصبر على كل بلاء يتعرض له بسبب إيمانه ، ويحاول أن يكسب لعقيدته أنصاراً ، وقد كان المسلمون في العهد المكي بحاجة إلى تصوير هذه النماذج ليكون لهم فيهم أسوة حسنة .

كما تهدف القصة إلى تثبيت الإيمان وبيان أن المؤمن معرض للابتلاء ليظهر صدق إيمانه قال تعالى : " أَلَمْ ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " (٣)

---

(١) سورة البروج / الآيات ٤ - ٩ .

(٢) انظر نص القصة رقم (٢٥) في هذه الرسالة .

(٣) سورة العنكبوت / الآيات ١ - ٣ .

وقصة " براءة موسى "[١] هي تفسير وتفصيل لبعض معاني الآية الكريمة التي نزلت في شأن إيذاء موسى عليه السلام قال تعالى : " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا "[٢]

وحديث إيذاء موسى مختلف فيه ، قال بعضهم هو إيذاؤهم إياه بنسبته إلى عيب في بدنه ، وقال بعضهم إن قارون اتفق مع امرأة فاحشة حتى تزعم عند بني إسرائيل أن موسى زنى بها ، فلما جمع قارون القوم والمرأة حاضرة ألقى الله في قلبها أنها صدقت ولم تفعل ما لقنت[٣] .

وفي القرآن صور أخرى من إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام كقولهم له : " اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا "[٤] وقولهم " لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً "[٥] وقولهم " لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ "[٦] إلى غير ذلك/ولكن الحديث الشريف صور جانباً آخر من جوانب هذا الإيذاء .

وقصة " سليمان والسبعون امرأة "[٧] هي أيضاً تفصيل وتفسير لبعض معاني الآية الكريمة التي نزلت في شأن فتنة سليمان . قال تعالى " وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ "[٨] فقد ذكر أهل التحقيق في تفسير هذه الآية عدة أمور :

---

(١) انظر نص القصة رقم (٢) في هذه الرسالة .

(٢) سورة الأحزاب / الآية : ٦٩ .

(٣) التفسير الكبير " ٢٥ : ٢٣٣ .

(٤) سورة المائدة / الآية : ٢٤

(٥) سورة البقرة / الآية : ٥٥

(٦) سورة البقرة / الآية : ٦١

(٧) انظر نص القصة رقم (٤) في هذه الرسالة .

(٨) سورة ص / الآية : ٣٤ .

الأول " إن فتنة سليمان أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش صار سلطاً علينا مثل أبيه ، فسبيلنا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فكان يربيه في السحاب ، فبينما هو مشتغل بمهماته إذ ألقى ذلك الولد ميتاً على كرسيه ، فتنبه على خطيئته في أنه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه وأناب .

الثاني : روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال ، قال سليمان لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله ، فطاف عليهم فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع في حجره ، فوالذي نفسي بيده لوقال إن شاء الله لجاهدوا كلهم في سبيل الله فرساناً اجمعون " فذلك قوله ولقد فتنا سليمان .

الثالث : قوله فتنا سليمان " بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه . " وألقينا على كرسيه " منه " جسداً " وذلك لشدة المرض . والعرب تقول في الضعف إنه لحم على وضم وجسم بلا روح " ثم أناب أي رجع إلى حال الصحة . فاللفظ محتمل هذه الوجوه " (١)

قال الفخر الرازي : يقال إنه ابتلاء الله تعالى بتسليط خوف أو توقع بلاء من بعض الجهاتطيه ، وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي ثم إنه أزال الله عنه ذلك الخوف ، وأعاده إلى ماكان عليه من القوة وطيب القلب " (٢)

ومن هنا فإن ماجاء في القصص النبوي الصحيح عن فتنة سليمان يرجع إلى بعض هذه المعاني .

---

(١) " التفسير الكبير " ٢٦ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) نفس المرجع : ٢٦ : ٢٠٩ .

وقصة موسى والخضر [1] تهدف إلى تفصيل ماجاء في القرآن الكريم من خبر موسى والخضر عليهما السلام ،والقصة النبوية تصور نموذجاً مثالياً للعالم الذي اختصه ربه بشيء من المعرفة ليكون حجة على كل من يدعي لنفسه كمال العلم .

والقصة تصور المواقف التي وقفها هذا العبد الصالح ليظهر لنبي الله موسى عليه السلام بعض ماخصه الله به من العلم ، فهي درس من الدروس الإلهية للأنبياء والرسل والصالحين لأن الإنسان مهما علم ،فهو قاصر عن الإحاطة بشيء من علم الله سبحانه لأن العقل الإنساني أضعف من أن يدرك هذا العلم العظيم الذي لا يمكن أن يحيط به .

٢ - القصص النبوية التربوية : -

حرص الإسلام على تربية النفس وتزكيتها بمختلف الأساليب وللقصة أثرها الواضح في تصوير نماذج السلوك البشري وبيان سماتها ، مما يوفر على الإنسان مشقة التجربة . ولهذا اتخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) القصة أسلوباً من أساليب الدعوة ليربي في أصحابه خصال الخير ويثبت عقائدهم ويقويها .فمن القصص التي تضمنت دروساً إيمانية قصة " سارة والجبار " [2] التي تهدف إلى بيان نصر الله لمن آمن به واتبع سبيله ، فهو الناصر لضعفه وقلة حيلته ، ولايلزمه إلا إخلاص الدعاء له وصدق التوكل عليه في كل أموره ، ويعرض عليه السلام هذه القضية من خلال ماوقع بين سارة (رضي الله عنها) امرأة الخليل إبراهيم والملك الجبار الذي تعرض لها ، فما كان منها إلا أن لجأت إلى خالقها ليخلصها من شرور هذا الطاغية فأيدها الله بنصره ، وأذل هذا المستكبر حتى خضع وأخرجها سالمة

(١) انظر نص القصة رقم (٢) في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم (١٤) في هذه الرسالة .

من آذاه بل أهداها السيدة هاجر خادمة لها .

فهذه القصة - كما نرى - درس من دروس الإيمان واليقين والتوكل وقوة الإرادة والعزة في مواجهة الجبروت . وقد استشهد بها على النموذج الإنساني الذي تحتويه . فالقصص النبوية التربوية تعرض صوراً من صور ابتلاء الأمم السابقة إمتحاناً لها واختباراً إلى أن ينتهي الى بيان فضل الله على عباده وسعة رحمته بهم فالإنسان معرض للابتلاء في هذه الدنيا الفانية فمن صمد وصبر أمام ابتلاء الله فيه فقد فاز بنعيم الدنيا والآخرة ،ومن عصى واستكبر فقد كتب على نفسه الهلاك في الدنيا والآخرة والسعيد من اتعظ بغيره . ففي قصة " الأبرص والأقرع والأعمى [1] يصور عليه السلام قصة الابتلاء لثلاثة نفر من بني إسرائيل وقع الاختيار عليهم ليكونوا في دائرة الابتلاء فمنهم من نجا وأفلح ، ومنهم من جلب على نفسه الشقاء في حياته الدنيوية والأخروية وباء بغضب من الله .

وهذه القصة نموذج فريد للخلق الإنساني ، ففيها أنماط مختلفة تنتهي إلى نهايات مختلفة، والعجيب فيها أن الأساس في هذه النهايات كلمة واحدة إما شكر وإما جحود ، فعِلّةُ الأبرص والأقرع طمع فاحش وعقل بليد ،وميزة الأعمى قلب واع وعقل بصير .

وفي قصة " أصحاب الغار الثلاثة [2] نرى ابتلاء النفر الثلاثة في ذلك الغار الذي انطبق عليهم انطباقاً أوشك أن يقضي عليهم جميعاً ،ولكن رحمة الله تعالى شملتهم أجمعين حين توجهوا بالدعاء الصادق بأفضل الأعمال ففرج كربهم ،

وفي القصة تصوير بديع لثلاث شخصيات مؤمنة استطاعت أن تحظى برضا الله وحبه من خلال أعمال قامت بها بلغت العظمة في الإخلاص لله وابتغاء وجهه . وقد تناولنا

---

(١) انظر نص القصة رقم (٣١) في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم (١٩) في هذه الرسالة .

هذه الشخصيات بالتحليل في فصل النماذج الإنسانية .
وفي قصة " جريج العابد "(١) تطالعنا صورة إبتلاء عجيبة فنجد هذا العابد وقد اتهم في عقيدته وهو الحريص على الحفاظ عليها ، ولكن قوة إيمانه وثبات عقيدته وثقته بنفسه كانت أهم العوامل في تحقيق براءته ، وقد تجلى ذلك في توجهه إلى الله سبحانه وتعالى ، ودعائه بأن يكشف عنه الضر الذي لحق به ، فكان الله عند حسن ظنه به ، فأخرجه من الكرب الذي وقع فيه ، ونصره عمن تآمروا عليه .
وفي قصة " الملك والساحر والغلام "(٢) تتجلى أمامنا صورة من صور ابتلاء العبد المؤمن الذى عرف الله حق المعرفة فلم يدع وسيلة من الوسائل إلا وسخرها لتكون أداة طبيعية لنشر دعوته وإعلاء كلمة ربه ، وهذا التصميم جعله يتعرض لألوان من الشدائد ، ولكنه كان يعلم علم اليقين أن كل ما يحيط به من شدائد ليس بشيء أمام عظمة الله وقوته فكان يتخذ من كلمة الله أداة تنجيه مما كان يتعرض له .
من هنا نرى أن القصص السابقة هي دروس تعليمية تربوية تصور لنا السبيل الذي يجب أن نسلكه لنبلغ المستوى الذي نستحق فيه حب الله ورضاه ولندرك حق الإدراك أن ثبات العقيدة في نفوسنا هو أساس الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة
وقد يذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) القصة النبوية تربية للمسلمين ، وربطاً لهم بنماذج الصبر والتحمل في الأمم السابقة .

---

(١) انظر نص القصة رقم (٢٤) في هذه الرسالة .
(٢) انظر نص القصة رقم (٢٥) في هذه الرسالة .

ومن هذا اللون ما جاء في قصة " الرجل والمنشار " (١) التي رواها خباب قال : " شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا الله عز وجل فقال : قَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ .... (٢) وفي القصة هدف تعليمي عظيم نستشف منه المعنى الحقيقي للصبر وقوة العقيدة فهو يصور عظم الابتلاء الذي واجهه المؤمنون في كل زمان ومكان وفي قصة تحليل الغنائم لهذه الأمة (٣) " نلمس فضل الله على أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) وسعة رحمته تعالى بهم فقد بارك لهم في الغنائم التي يحصلون عليها في جهادهم وطيبها لهم ، ولم يكن حلالاً لمن قبلهم .

وفي هذا حث لهم على الجهاد في سبيل الله فإما النصر والغنيمة حلالاً طيباً وإما الشهادة والجنة .

كما تهدف القصة إلى رسم صورة المجاهد في سبيل الله، وأنه لابد له أن يخلص قلبه لله تعالى ، فمن كان في قلبه شيء من الدنيا يشغله عن الجهاد فالأفضل له ألا يخرج حتى تخلص نيته للجهاد .

فكما نرى أن القصة درساً إلهياً يهدف إلى تعليم المسلمين الصدق والأمانة فمن غل أو كذب فالله كفيل بكشف أمره .

ومن القصص التربوية التي كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتخذها وسيلة للزجر عن المنكرات قصة " المرأة والراهب " (٤) والقصة تهدف إلى بيان خطر الخمر وأثرها السيء على الفرد والمجتمع كما قال عليه السلام " اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ " (٥) . وَقَالَ اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَإِدْمَانُ

---

(١) انظر نص القصة رقم (٢٣) في هذه الرسالة .
(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٦ : ٣٩٥ ..
(٣) انظر نص القصة رقم (١١) في هذه الرسالة .
(٤) انظر نص القصة رقم (٤٠) في هذه الرسالة .
(٥) سنن النسائي ٨ : ٣١٥ - ٣١٦ .

الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه "(١).

فالقصة تصور هذا الخطر من خلال الأحداث التي تعرض إليها العابد والذي أفنى حياته في العبادة والتقوى ، إلى أن انتهى به آخر المطاف إلى خسران الدنيا والآخرة بسبب كأس من الخمر .

وهناك دروس تربوية عميقة في القصص النبوية نستطيع أن نستخلصها من العواقب التي حاقت بأنماط من الشخصيات المنحرفة التي صورتها القصص النبوية .

ففي قصة " المتكبر الذي خسف به الأرض "(٢) يتجلى أمامنا الخطر الذي يمكن أن يحيق بالمرء إن اقترف تلك الخطيئة المنكرة وهي الكبر والخيلاء وغضب الله يتجلى من خلال تصورنا لتجلجل المتكبر وخسف الأرض به .

وفي قصة " الرجل الذي تكلم الكلمة أوبقت دنياه وآخرته "(٣) ينكشف لنا الخطر من إطلاق اللسان واستخدام البيان في غير ما يصح استخدامه فيه .

وفي قصة " الرجل الذي حرمت عليه الجنة "(٤) تتجلى العاقبة السيئة التي تصيب من يتسخط من رحمة الله ومن يقطع حياته بيده .

وفي قصة . . المرأة والهرة (٥) يتضح عواقب القسوة ، وخلو القلب الإنساني من الرحمة حتى لو كانت هذه القسوة على حيوان أعجم .

وبالمقابل نجد في القصة النبوية عواقب طيبة لمن كان في قلوبهم من الرحمة نصيب ، وإن كان عملهم قليلاً ، ففي قصة " الرجل والكلب اللاهث صورة

---

(١) سنن النسائي ٨ : ٢١٥ - ٢١٦

(٢) انظر نص القصة رقم (٢٧) في هذه الرسالة .

(٣) " " " (٢٨) " " " .

(٤) " " " (٢٩) " " " .

(٥) " " " (٤٢) " " " .

صور الرحمة التي بدت من الرجل على الكلب اللاهث فكان جزاء هذا العمل القليل رحمة ومغفرة .

وكذلك الأمر في قصة " البغي والكلب "[1] وقصة الرجل الذي كان ينظر المعسر "[2] وقصة الكفل [3]" ففيها جميعاً تتجلى فضيلة الرحمة وتظهر عاقبتها الطيبة .

كما يتضح في القصة النبوية فتح باب الأمل في التوبة والتنويه بفضيلة الخوف من الله سبحانه كما جاء في قصة " الرجل الذي طلب أن يحرق "[4] ، حيث نلمس سعة رحمته سبحانه بالرغم من تصور الرجل الذي طلب من بنيه أن يحرقوه حتى يصبح رماداً يذر في البحر والبر حتى لا يجده ربه ويحاسبه ويعذبه ، فعندما يسأله سبحانه عن أسباب فعله ذلك يجيب مخافة خشيتك فتكون هذه الكلمة الصادقة سبباً في مغفرة الله سبحانه له .

وكذلك قصة " القاتل مائة نفس "[5] وغيرها من القصص النبوية التي تهدف إلى بيان سعة رحمته تعالى على عباده بالرغم من عظائم الخطايا .

وهكذا تهدف القصة النبوية إلى تقوية جانب الرجاء في النفس الإنسانية حتى لا يداخلها اليأس من رحمة الله سبحانه .

وهذا أصل من أصول التربية الاسلامية يتجلى في قوله تعالى : - في سورة الزمر " لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم "[6] وقوله سبحانه : ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون "[7]

---

(١) انظر نص القصة رقم (٤١) في هذه الرسالة .
(٢) = = = = = = = (٢٤) = = = = = = = = = = =
(٣) = = = = = = = (٣٦) = = = = = = = = = = =
(٤) = = = = = = = (٣٥) = = = = = = = = = = =
(٥) = = = = = = = (٣٧) = = = = = = = = = = =
(٦) سورة الزمر رقم / ٣٩ . الآية .
(٧) سورة الحجر رقم الآية ٥٦

النماذج الإنسانية

صورت القصة النبوية ألواناً من النماذج الإنسانية ،رسمتها في سهولة ويسر ،فما هي إلا جملة أو جملتان حتى يرتسم " النموذج الإنساني " بكل خصائصه ومقوماته أمامنا . وقد رأيت تقسيم هذه النماذج الى نماذج من شخصيات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ،ونماذج للصالحين ،ونماذج للأشرار ،ونماذج للشخصيات التي خلطت عملاً صالحًا بآخر سيئاً ونماذج للمرأة في مسالكها التي تعبر عن خصائصها

١ - نماذج الأنبياء *

أ - آدم عليه السلام -

ورد ذكره في قصتين " احتجاج آدم وموسى "(١) وقصة خلق آدم "(٢) والقصة النبوية تصور آدم عليه السلام في صورة الرجل الواقعي المنطقي الفطن السريع البديهة ،ونلمس هذه السمات فيما ذكر في قصة الاحتجاج التي حدثت بينه وبين موسى عليه السلام فقد استطاع بحسن تصرفه وسرعة بديهته أن يرد العتاب الذي وجهه موسى عليه السلام فلا يمكن أن يحمل على عاتقه وزراً كان مقدوراً عليه قبل أن يخلق بأربعين سنة ،فكيف يمكن أن يلام المرء على عمل كتبه الله قبل خلقه بأربعين سنة !

---

(١) انظر نص القصة رقم (٥) في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم (١٢) في هذه الرسالة .

وقصة خلق آدم عليه السلام تكشف جانباً آخر من شخصية آدم عليه السلام حيث يبرز فيها جانب العاطفة ، فحين تعرض ذريته ويعجبه أحدهم يسأل عنه . . . ويعطيه أربعين سنة من سني عمره ، ولكن عند حضور ملك الموت إليه نلمس في شخصية آدم عليه السلام حب الحياة والتعلق بها في قوله " أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ "(١) يقول هذا وقد نسي أنه قد أعطى ابنه داود عليه السلام أربعين سنة من عمره . ولكن حب الحياة والبقاء في دار الدنيا جعله يقول ما قال ، فعلق الرسول (صلى الله عليه وسلم) على هذا الموقف بأن قال " فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسي آدم فنسيت ذريته وخطيء آدم فخطئت ذريته "(٢) وهذه السمات هي سمات بشرية عامة للجنس كله .

ب - إبراهيم عليه السلام : -

تصور القصة النبوية شخصية إبراهيم عليه السلام في قصتي "إبراهيم وابنه إسماعيل "(٣) وقصة " سارة والجبار "(٤) فنجده مؤمناً حليماً حكيماً شديد الثقة بربه مطيعاً لأوامره فها هو ينفذ حكم ربه دون أي تردد أو توانٍ فنراه وقد أخذ زوجه وفلذة كبده إلى ذلك الوادي الذي لا أثر للحياة فيه ، حتى حين تعلقت به زوجه السيدة هاجر لم يستجب لأي لون من العاطفة سوى عاطفته تجاه ربه، وتركها دون أن يتفوه بأية كلمة حتى عندما سألته هل ما يفعله هو وحي من الله ؟ أجاب بكلمة واحدة نعم . فكانت هذه الكلمة الوحيدة التي نطق بها .

---

(١) (٢) سنن الترمذي - ٥ ٢٦٧ - ٤٥٣ .

(٣) انظر نص القصة رقم -١- في هذه الرسالة .

(٤) انظر نص القصة رقم - ١٤ - في هذه الرسالة .

ونلحظ العاطفة القوية تتجلى أمامنا عند توجهه بالدعاء بأن يحفظ ذريته في هذا الوادي، ويجنب بنيه عبادة الأصنام، ويرسل لهم إخواناً في الله يأنسون إليهم ويرزقهم من الثمرات والخير الكثير .

هذه العاطفة تتجلى مرة أخرى في تفقده تركته التي تركها أمانة عند ربه ، فعندما علم بأمر الزوج التي تزوجها ابنه إسماعيل ورأى منها ما عرف به قلة صبرها ومروءتها أمره بتغيير عتبة داره كناية عن فراقه زوجه، وفي المرة الثانية عندما جاء ورأى زوجه الثانية واستحسن خلقها أمره بتثبيت عتبة داره، وتبرز عاطفة الأبوة لديه بشكل أشد عند ملاقاته ابنه بعد كل هذه السنين وقد وصف الرسول عليه السلام الموقف " كلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد " (١)

ولكن بالرغم من هذه العاطفة الجياشة نجد أن حبه لربه يغلب حبه لبنيه فها هو يطلب من ابنه أن يساعده في بناء البيت الذي أمره الله ببنائه مرددين " رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (٢)

" وقصة سارة والجبار " (٣) تكشف جانب الثقة بالله مرة أخرى حينما اضطرت زوجه سارة أن تذهب إلى الملك الجبار فقد جعلها أمانة عند ربها يحفظها من شرور ذاك الطاغية، وذهب هو إلى الصلاة يدعو ربه أن يحول بين الجبار وبينها فكان ما طلبه إبراهيم عليه السلام ، فقد حفظ الله الأمانة ورجعت سالمة معافاة إلى زوجها بعد أن اعطيت جارية تقوم بخدمتها .

---

(١) (٢) صحيح البخاري " كتاب بدء الخلق " ٤ ، ١٧٣ - ١٧٥ .

(٣) انظر نص القصة رقم (١٤) في هذه الرسالة .

جـ - موسى عليه السلام - .

نالت شخصية موسى عليه السلام عناية في القصص النبوي ، فقد ورد ذكره في قصة " موسى والخضر " (١) وقصة " براءة موسى " (٢) وقصة " موسى وملك الموت " (٣) وقصة " احتجاج آدم وموسى " (٤) .

ففي قصة " موسى والخضر " نرى فيه نموذج الزعيم الذي يريد جمع قلوب قومه حوله ، وتتجلى هذه الصورة في أول موقف في القصة حيث نجده يقف خطيباً في الناس يهديهم إلى طريق الحق بحديث أخذ بالألباب ، حتى أنه سئل أي الناس أعلم ؟ فكانت تلك الإجابة السريعة التي أعطت صورة لشخصية تتميز بسرعة الجواب الحاسم في الاجابة هذا السؤال الخطير فقال " أَنَا أَعْلَمُ " (٥) اعتزازاً بما أوتي من علم، وتحدثاً بنعمة الله عليه، ولكن هذه القولة استوجبت أن يلقن موسى درساً في الحكمة والتواضع " فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك " (٦) .

وهنا نرى موسى عليه السلام في صورة أخرى هي صورة طالب العلم الحريص على استكمال جوانب المعرفة مهما كلفه ذلك من جهد " فَقَالَ أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ ؟ " (٧)

---

(١) انظر نص القصة رقم - ٢ - في هذه الرسالة .
(٢) انظر نص القصة رقم - ٣ - في هذه الرسالة .
(٣) انظر نص القصة رقم ٦ - في هذه الرسالة .
(٤) انظر نص القصة رقم - ٥ - في هذه الرسالة .
(٥) (٦) (٧) صحيح مسلم : ص : ٢٣١-٢٤١ .

وتتجلى سمات شخصية موسى عليه السلام حين يلتقي بالخضر عليه السلام ،فالخضر يعلم أن موسى لن يستطيع أن يصبر على فهم الأحداث التي سوف يشهدها معه ،وأكد هذه الحقيقة بأن قال له " وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا " (١) ولكن حرص موسى عليه السلام على استكشاف هذا الأفق من آفاق المعرفة جعله يقطع على نفسه عهداً بأنه سيكون من الصابرين،ولن يعصي للخضر أمراً . وكان شرط الخضر عليه السلام أن لا يسال عن شيء حتى يجلي له العبرة ،ويشرح له السر فيه وكان الرضا من جانب موسى عليه السلام .

وهكذا بدأت الرحلة العجيبة حيث نرى موسى عليه السلام يقف محتداً غاضباً من أول موقف من الرحلة وذلك لأمر أحدثه الخضر لحكمة يدركها ،وتتوالى هذه المواقف التي تنتهي بالاعتذار من قبل موسى عليه السلام للخضر " لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا " (٢)

" وفي قصة براءة موسى " (٣) ينكشف جانب من جوانب هذه الشخصية . فتراه رجلاً شديد الحياء فهو يرفض مشاركة القوم العادات التي اعتادوها فيغتسل وحده بعيداً عن القوم حتى اتهم أنه آدر ،ولكن الله سبحانه وتعالى ينفي عن نبيه هذه التهمة الباطلة بأن يسخر الحجر ليقوم بالمهمة التي تؤدي إلى براءة نبيه،فيطير الحجر بثيابه حين اغتساله مما يجعل موسى عليه السلام ينطلق وراءه دون أن يعي أنه خرج من الماء دون أن يستتر بشيء من الثياب حتى رآه القوم كيوم ولدته أمه فشهدوا ببراءته مما ادعوه عليه .

---

(١) (٢) نفس المرجع ص: ٢٣١ - ٢٤١

(٣) انظر نص القصة رقم - ٣ - في هذه الرسالة .

ولكن هذا الموقف العجيب يثير موسى عليه السلام فيهرع وراء الحجر منادياً إياه حتى يلحقه فيوسعه ضرباً حتى يحدث فيه نتوءات عدة فقد كان في حالة غضبية شديدة .

وفي قصة " احتجاج آدم وموسى " (١) يدور حوار بين آدم وموسى عليهما السلام يتعجب فيه موسى عليه السلام من أمر آدم عليه السلام كي يخطئ هذا الخطأ الذي أدى بأن يهبط الناس من الجنة إلى الأرض وهو الذي حظي بما لم يحظ به أحد فقد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته . كان تعجب موسى عليه السلام يحمل بين طياته شيئاً من اللوم والعتاب لآدم عليه السلام .

فهذا الموقف يكشف جانباً من جوانب شخصية موسى عليه السلام، وهو التسرع في الحكم بالظاهر مما جعل آدم عليه السلام يستطيع الرد عليه بسهولة ويسر .

وقصة " موسى وملك الموت " (٢) تكشف عن جانب جديد في شخصية موسى وهو حبه للحياة وهي غريزة بشرية أصيلة في كل نفس .

د ـ داود عليه السلام ـ

جاء ذكره في ثلاث قصص " محاكمة سليمان وداود " (٣) وقصة " داود وملك الموت " (٤) وقصة " خلق آدم " (٥) والتصور الذي يمكن أن نستشفه من القصص الثلاث لشخصية داود عليه السلام أنه رجل يتميز بالوضاءة ولين الجانب والحكمة وفصل الخطاب .

---

(١) انظر نص القصة رقم ـ ٥ ـ في هذه الرسالة .
(٢) انظر نص القصة رقم ـ ٦ ـ في هذه الرسالة .
(٣) انظر نص القصة رقم ـ ٨ ـ في هذه الرسالة .
(٤) انظر نص القصة رقم ـ ١٢ ـ في هذه الرسالة .
(٥) انظر نص القصة رقم ـ ١٣ ـ في هذه الرسالة .

ففي قصة "محاكمة سليمان وداود" (١) اتجاه داود عليه السلام إلى إرضاء الكبرى ربما لأن فرصتها في الإنجاب أقل ، وقد أوحت له بذلك فرجحت كفتها، أو لربما وجد أن الصغرى كاذبة فلم يحكم لصالحها .

وفي قصة "داود وملك الموت" (٢) تتجلى حكمته في مقدرته الظاهرة على الحكم في أهل بيته فنساؤه كن يحاذرن مخالفته كما جاء في قول إحداهن "وَاللهِ لَتُفْتَضِحنَّ بِدَاود" (٣) وفصل الخطاب نلمسه من موقفه من هذا الرجل الذي توسط داره،والذي نستشفه من حواره معه "فَقَالَ لَهُ دَاوُد مَنْ أَنْتَ ؟ .... قَالَ أَنَا الذي لاَ أَهَابُ المُلُوك وَلاَ يَمْتَنِعُ مِنِّي شَيء، فَقَالَ دَاوُد أَنْتَ واللهِ مَلَكُ المَوت فَمَرحباً بأمر اللهِ" (٤)

وتتجلى لنا الوضاءة في شخصه في قصة "خلق آدم" (٥) والتي عبر عنها بأن له وبيصاً بين عينيه ،هذه الوضاءة كانت سبباً في إعجاب آدم عليه السلام به دون غيره من أفراد ذريته حتى وهبه أربعين سنة من عمره .

هـ - سليمان عليه السلام.

تناولته القصة النبوية في موضعين في قصة "سليمان والسبعون امرأة" (٦) وقصة "محاكمة سليمان وداود" (٧) والقصتان تصوران شخصية سليمان عليه السلام في صورة الرجل الواثق من نفسه لأبعد الحدود لأنه كان صائب الفكر صحيح الحكم .

---

(١) انظر نص القصة رقم -٨- في هذه الرسالة .
(٢) انظر نص القصة رقم ٢-١ - في هذه الرسالة.
(٣) (٤) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٤١٩ .
(٥) انظر نص القصة رقم ٣-١-في هذه الرسالة .
(٦) انظر نص القصة رقم ٤-١-في هذه الرسالة .
(٧) انظر نص القصة رقم - ٨ - في هذه الرسالة .

فقصة " سليمان والسبعون امرأة" تصوره القصة لنا بصورة الرجل الحريص على النسل الراغب في كثرة الولد ، ليكونوا جنوداً في سبيل الله، ولكنه نسي أن يقرن هذه الإرادة بمشيئة الله فلم يتحقق له ما أريد ، حتى يفوض الأمر لله .

أما قصة " محاكمة سليمان وداود "(٢) فتكشف على جانب آخر من شخصية سليمان عليه السلام وهي شخصية القاضي المحقق الذكي الذي يحاول اكتشاف الحقيقة عن طريق اختبار الخصوم بقوله " هاتوا السكين أشقه بينهما " وهنا ظهرت الأم الحقيقية فقضى لها به .

و - عيسى عليه السلام .

جاء ذكره في قصتين " عيسى والسارق "(٣) وقصة " يحى والكلمات الخمس"(٤) والقصتان تعطيان تصوراً خاصاً لشخصية عيسى عليه السلام يتمثل في خشيته الشديدة لله عز وجل واتباع أوامره والمحافظة على أدائها ففي قصة " عيسى والسارق "(٥) نجده يتراجع عن اتهامه للرجل الذي رآه يسرق، لأن الرجل حلف بالله الذي لا إله إلا هو فقال عيسى " آمنت بالله وكذبت نفسي "(٦)

---

(١) انظر نص القصة رقم - ٤ - في هذه الرسالة .
(٢) انظر نص القصة رقم - ٨ - في هذه الرسالة .
(٣) انظر نص القصة رقم - ١٠ - في هذه الرسالة .
(٤) انظر نص القصة رقم - ٧ - في هذه الرسالة .
(٥) انظر نص القصة رقم - ١٠ - في هذه الرسالة .
(٦) صحيح مسلم ٥ : ٢١٦ .

وفي القصة الثانية نلمس حرصه على تنفيذ أوامر ربـه دون إبطاء نرى ذلك في قوله ليحي عليه السلام " إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَنْ تَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أُبَلِّغُهُنَّ (١) " .

ت - يحيي عليه السلام .

ومن خلال قصة " يحيي والكلمات الخمس " (٢) نستطيع تصور شخصية يحي عليه السلام فنجد فيه الإنسان الحريص على رضا ربه، الحريص على نشر دعوته بكل ما أوتي من بيان .

٢ - النماذج الخيرة .

عنيت القصة النبوية بتصوير الشخصية الإيمانية التي هذبها الدين الصحيح ، وحكم نوازعها وسلوكها في كل جوانب حياتها فمن النماذج الخيرة شخصيات قصة " العقار وجرة الذهب " (٣) حيث نجد المشتري والبائع يصوران نموذجان فريدان من الناس، فيمثلان الأمانة ونكران الذات، ويكشفان عن هذه الأبعاد في قول المشتري " إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ فَقَالَ الَّذِي شَرَى الأَرْضَ إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا " فهما في ذلك كانا جديرين بالاقتداء بهما . حتى أن نقطة الخلاف بينهما تتمثل في تسابق كل منهما على إبعاد نفسه عن بؤرة الطمع .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٣٠ - ٢٠٢ .

(٢) انظر نص القصة رقم - ٧ - في هذه الرسالة .

(٣) انظر نص القصة رقم -١٧- في هذه الرسالة .

ولعل هذين الخيرين كانا يقطنان بلدة اتسم أهلها بالصلاح والتقوى في جملتهم فنحن نرى من احتكما إليه أيضاً ينظر إلى القضية بعين المتدبر الحريص على إبقاء هذا الخير في الأجيال اللاحقة فقد نص حكمه على تزويج بنت أحدهما لابن الآخر ، ليكون من نسلهما جيل صالح ملتزم بأخلاق الإيمان، وينفق الباقي من المال في سبيل الخير. (١)

وتكشف قصة " المقترض ألف دينار " عن نموذجين خيرين من الناس يصوران لنا أبعاداً إنسانية بلغت القمة في الأمانة والثقة بالله فقد اتفق الطرفان على أن يكون الله سبحانه وتعالى شاهداً على ما دار بينهما وكفيلاً يحفظ لهما حقهما، وقد عقدا النية على ذلك ، فكان الله عند حسن ظنهما، وكفل أمرهما إلى أن أوصل المال لصاحبه .

وقد صور الرسول (صلى الله عليه وسلم) نموذج المؤمن الذي استطاع أن يكسب نعيم الدنيا والآخرة في شخص صاحب الحديقة فقد اظهر الله سبحانه وتعالى رضاه عليه في تلك السحابة التي أرسلها له لتروي حديقته التي يحرص على سقايتها والعناية بها ، ولكنه رجل يحمل بين أطوائه نفساً محبة للخير ، فعند ما يعلم أن هذه السحابة سخرت لتروي حديقته خاصة يعظم الأمر في نفسه ، فيقرر بذل ثلث نتاجه في سبيل الله ، هذه الشخصيه تصور لنا نموذج المؤمن المجاهد في هذه الحياة فهو لا ينظر للحياة نظرة ازدراء واحتقار ، ولا نظرة طمع وتهالك عليها بل نظرة جادة سليمة ضمن فيها حياة رضية في الدنيا، ومرتبة عالية في الآخرة . (٢)

---

(١) انظر نص القصة رقم - ١٨ - في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم - ٢٠ - في هذه الرسالة .

ولبيان أهمية الصدقة وأثرها في إصلاح المجتمع اوحى الله سبحانه إلى رسوله (صلى الله عليه وسلم) قصة . الرجل المتصدق " (٣) الذي قرر اخراج الصدقة فكانت من نصيب زانية ، فتصدق مرة أخرى فكانت من نصيب سارق فتصدق مرة ثالثة فكانت من نصيب رجل غني ، فتحدث الناس حديث المتعجب المستخف ، فلعل هذه الصدقة لم تذهب لمستحقيها، ولكن الله سبحانه قبلها من هذا المتصدق فلعل الزانية تستعف ، والسارق يستغني والغني يتصدق . وفي هذا بيان لأثر الصدقة في إصلاح المجتمع مهما كانت اليد التي تتناولها .

إن نموذج هذا الرجل المتصدق نموذج المؤمن القوي الذي لا يرى الأمور من خلال قشرتها الخارجية ، وإنما ينظر للأمور من أغوارها ومداخلها ، فعندما سمع ما تحدث به الناس حمد الله، وأثنى عليه بأنه تصدق على زانية وسارق وغني فقد أدى الفريضة التي أوجبها الله على كل مقتدر وترك لله سبحانه توجيه الأمر ، وإخراج الخير من فعل الخير.

وتحتفي القصة النبوية بالنموذج الخير من الأعمال الإنسانية التي ترتفع بالمعاني إلى أعلى الدرجات كي يحب المؤمن أخاه في الله دون نظر إلى المصالح التي يمكن أن ينالها من هذه العلاقة الإنسانية . هذه المعاني يصورها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قصة "الرجل الذي أحب أخاه في الله " (١) حيث صور لنا نموذج الإخلاص والتفاني في الحب والوداد في شخص هذا الرجل الذي يزور صديقه حباً في الله كما صورت القصة النبوية نماذج مثالية من الشخصيات الإنسانية الصالحة

---

(٣) انظر نص القصة رقم (٢٢) في هذه الرسالة .
(١) انظر نص القصة رقم (٢١) في هذه الرسالة .

أمثال ـ الخضر عليه السلام * فإنه يمثل العالم الفقيه الحكيم الذي وهبه الله تعالى علماً يدرك به العواقب فيتصرف في الأحداث بمقتضى ذلك ، ويملك الصبر الشديد حتى يتم المهمة التي أُسندت إليه من قبل رب العالمين .

وقد تجلت هذه الحكمة العجيبة في أول إشارة أبداها الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام . " إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " (1) وهذا الحكم لم يرد عن نفس لا تعي ما تقول، ولكنه يعلم أن موسى عليه السلام سيبتلى في أمور لم يحط بعلمها فكيف يصبر عليها، وهو وإنما قال له ذلك ليأخذ عهداً من موسى عليه السلام بأن يكون صبوراً مطيعاً حتى يكشف له العلوم التي خفيت عنه .

وتتجلى صورة العبد المطيع لحكم ربه وعلمه في شخص الخضر عليه السلام فخرقه للسفينة ما هو إلا تنفيذ لحكم ربه بالرغم من اعتراض موسى عليه السلام لهذا الأمر الذي رآه مشيناً . وكذلك قتله للغلام الذي سيكون كافراً جباراً ، وأيضاً إقامته للحائط المهتري ما هو إلا تنفيذ لحكم رب العالمين دون التفات لتلك الاتهامات التي وجهها موسى عليه السلام له . فما جاء به أعظم من الإنصات إلى مثل تلك الاتهامات وأسلوب الخضر عليه السلام يكشف عن أرقى معاني الكياسة والتؤدة فها هو يرى موسى عليه السلام وهو يتهمه هذه الاتهامات الباطلة فمرة بأنه جبار جحود ، وأخرى بأنه قاتل محب لسفك الدماء ، وتالية بالغفلة وعدم الفهم وهو يصمت ولا يجادل بل كل ما يقوله ((أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (2)))

---

(1) (2) صحيح مسلم ٥: ٢٣١ - ٢٤١ .

كما تكشف شخصية الخضر عن قدرة بدنية سليمة ، فنراه يعمد إلى السفينة وينزع لوح من ألواحها فتغدو سفينة مشوهة ، ويقوم باقتلاع رأس الطفل وفصله عن جسده ليتم قتله ، كما تكشف عن قدرة خفية زودبها الخضر عليه السلام بها نحن نراه يقيم الجدار المائل بحركة واحدة من يده فيغدو الجدار صلباً قوياً متماسكاً .

وأخيراً تتجلى حكمة الخضر عليه السلام في آخر مطافه مع موسى عليه السلام، فبعد أن أنبأه بتأويل المواقف التي اتخذ فيها تلك السبل الغامضة كان ذلك الهدف العظيم من بعثه وهو تعليم موسى ، وتلقينه الدرس الذي لا ينساه فعلمه أن علم البشر لا ينقص من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من البحر، وهذا هو مغزى القصة وتعقيبها الأخير .

وتصور القصة النبوية نماذج مثالية أيضاً في شخصية الغلام المؤمن في قصة الملك والساحر والغلام، وأصحاب الغار الثلاثة، والمؤمن والمنشار، وقصة جريج العابد ، وقد تحدثنا عن بعضها عند الحديث عن العلاقة بين القصة النبوية والقصة القرآنية (1) .

---

(1) راجع الفصل الخاص بالعلاقة بين القصة النبوية والقصة القرآنية . ص : ٢١٤ .

النماذج الشريرة *

الخير والشر يتوزعان أنواع السلوك البشري ، فمن الناس من ينـزع إلى الخير بحكم إيمانه واستقامتـه ومنهم من يهوى الشر لظلمة نفسه وفراغ قلبه من الإيمان .

وكما صورت القصة النبوية النماذج الخيرة في شخصيات الأنبياء والصالحين ، فإنها تضمنت أيضاً تصوير ألوان من الشخصيات الشريرة مقرونة ببيان مصائرها لتكون عبرة للمعتبرين .

وقد أشرت إلى بعض هذه الشخصيات الشريرة عند الحديث عن أهـداف القصة النبوية ، ولكني أشير الآن إلى السمات الغالبة على هؤلاء الأشرار — فمنهم الباغي المستكبر عن الإيمان المتهالك على الشهوات ، كالجبـار في قصة سارة (1) والطاغية المستكبر عن قبول دعوة الحق ، وفي قصة الساحر والغلام (2) .

ومنهم من تظهر خطاياه في جانب الخلق والسلوك ، كالرجل الذي خسف الله به الأرض لخيلائه وغروره وإعجابه بنفسه (3) ، أو الرجل الذي كان لسانه سبباً في هلاكه (4) ، أو الرجل الذي يئس من رحمة الله وجزع من قضائه فخز جسده بسكين فحرم الله عليه الجنة (5) .

وهذا التصوير لا يقصد به بيان السمات والملامح لذات التصوير بل يراد به التحذير من هذه المسالك والتنفير من تلك العواقب ، لأن الهدف التربوي للقصة النبوية يقتضي ذلك .

(1) انظر نص القصة رقم — 14 — في هذه الرسالة .
(2) انظر نص القصة رقم — 25 — في هذه الرسالة .
(3) انظر نص القصة رقم — 27 — في هذه الرسالة .
(4) انظر نص القصة رقم — 28 — في هذه الرسالة .
(5) انظر نص القصة رقم — 29 — في هذه الرسالة .

٤ ـ النماذج الإنسانية التي خلطت عملاً صالحاً بآخر سيئاً : ـ

هذا الفريق من النماذج الإنسانية يكثر في القصة النبوية ، ولعل ذلك يرجع إلى أن هذا النموذج أقرب لصورة الإنسان بطبعه ، هذه الصوره نجد هـا تتمثل في قصة " العبد المذنب " (١) وهذا النموذج الإنساني يصور الإنسان بحسناته وأخطائه فنجد ، يذنب ويدرك أن ذنبه سيؤدي به إلى غضب الله عليه فيتوجه إلى ربه طالباً المغفرة والعفو والصفح فيغفر له فيذنب مرة أخرى ويستغفر فيُغفر له لأن رحمة الله سبقت غضبه " فقالَ : رَبِّ إِنِّي عَمِلْتُ ذَنباً فَاغْفِرْهُ فَقالَ : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ " (٢) .

وبالتأمل في القصة السابقة نجد أن الفوز برضا الله لا يكون إلا بخشيته وتجنب غضبه أو برحمة الإنسان أخيه الإنسان .

ومن النماذج الإنسانية التي أثرت فيها الخشية من الله ، والرحمة للعباد ما جاء في قصة : " المَلِكَيْن التائبين " (٣) حيث نجد المَلِكَ عندما يدرك أن ما هو فيه ترف ونعيم يشغله عن الله وعن عبادته ، يخشى ربه ويخاف عذابه ويخرج من مملكته ليكون أجيراً يضرب اللبن بالآجر ويكسب من عرق جبينه ، ولا يكتفي بذلك بل يعمد إلى التصدق بما يفضل لديه من مال كسبه حتى ذاع صيته ، ووصل إلى أسماع الملك ، ومما يؤكد صدق نواياه عزوفه عن الدنيا فلم يكن يطلب منفعة لنفسه ، لأنه كان يبتغي مرضاة ربه .

---

(١) انظر نص القصة رقم (٣٠) في هذه الرسالة .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٢٩٦ .

(٣) انظر نص القصة رقم (٣٢) في هذه الرسالة .

والقصة تصور لنا أثر هذا التصرف الذي جعل هذا الملك يخجل من نفسه،وينزل عن دابته بعد أن يعلم أن هذا الذي أمامه هو ملك من الملوك أيضاً خشي ربه وعلم أن ما كان يصنعه من قبل كان يباعده عن رضا ربه ترك كل ذلك حباً لله وخشية منه .

إن هذا الحديث يصور لنا الإرادة القوية والتصميم الأكيد عند الملكين فقد انتهت القصة بأن يجعل الله تعالى موتهما في مكان واحد، وكان لهما ما أرادا بعيداً عن زينة الحياة وزخارف الدنيا . وبالإضافة لهذه الفضائل المعنوية لشخصية الملك فالقصة تكشف عن بعد آخر في هذه الشخصية ،فالملك قد اختار مهنة الضرب باللبن والآجر،وهذا النوع من المهن يحتاج لقوة بدنية عظيمة ،خاصة وإن هذه المهنة استطاعت أن تجعل الملك يأكل من عمل يده ،ويفضل لديه الكثير من المال الذي يتصدق به على الفقراء والمساكين ،ويواصل عمله بجد ونشاط حتى ليصل الأمر إلى أسماع الملك .

٥ — ومن النماذج التي جمعت هاتين الفضيلتين أيضاً الخشية والرحمة شخصية " الكفل " (١) فهذا الرجل الذي قضى حياته لا يتورع من ذنب عمله ،إلى أن شاء الله امتحانه وابتلاءه بتلك المرأة التي كانت سبباً في استيقاظ الكفل من رقدته ونلمس معاني الخشية في شخصية الكفل عندما شعر بالمعاناة التي وصلت إليها المرأة في شدتها تذكر نفسه وأخذ يحاسبها حساباً عسيراً فهذه المرأة الضعيفة عرفت ربها في شدتها ،وهو لم يعرف ربه في رخائه ،في هذه اللحظة كانت انتفاضة الكفل التي قرر فيها أن لا يعصى ربه أبداً ،فكان أول عمل خير قام به ان اعطاها المال الذي دفعها إلى اقتراف هذا العمل حتى لا تدفعها الحاجة إلى مثل هذا الموقف من بعد ،فاستحق بذلك رضاء الله عليه حتى كتب على باب داره " إن الله قد غفر للكفل " (١) .

---

(١) سنن الترمذى ٤ : ٦٥٧ وانظر مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٣٣٤ .

والقصة تكشف بعد آخر من شخصية الكفل يصور لنا الشخصية الجريئة المندفعة، والذي عبر عنه الرسول بأنه " لَا يَتَوَرَّعَ عَنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ "(٢) ثم هو شخصية مترفة تمتلك من المال الكثير الذي يسهل لها سلوك سبيل الغواية ٠

ومن النماذج الإنسانية التي فازت برضاء الله لخشيتها منه قصة " الرجل الذي طلب من بنيه أن يحرق "(٣) والقصة تصور لنا نموذجاً إنسانياً عجيباً فهذا رجل يوصي بنيه بأن يحرق حرقاً ليصبح بعده رماداً يذر في الهواء فينثر نصفه في البر ونصفه الآخر في البحر، لعل الله لا يجده، كما ظن بتصوره الجاهل فلا يحاسبه على أعماله التي لم يعمل منها خيراً، هذا النموذج العجيب قد يصور لنا اليأس والقنوط لأول وهلة، ولكن حقيقة الإحساس الخفية تصور معنى آخر لا يعلمه إلا الله، ولهذا يسأله الله يوم القيامة وهو عالم به ليظهر للناس الأسباب التي أدت به إلى هذا الفعل الغريب وهذا لا يكون إلا باستنطاق الرجل وتقريره، فأمر الله البر والبحر بجمع ما فيه من رماد، ليخلق هذا الرجل مرة أخرى وينطق بالحقيقة الخفية التي كانت باعثاً له على هذا العمل وهي الخوف والخشية من مقام ربه الكريم لا يأساً وقنوطاً من رحمة الله كما يظن لأول وهلة والبون شاسع بين المعنيين، فاليأس والقنوط من رحمة الله يعني الجهل بسعة رحمة الله سبحانه أما الخوف والخشية فيعني الإجلال والإكبار لصاحب الحق العظيم ٠٠ إن معرفتنا للأسباب الحقيقية لهذا التصرف العجيب، يكشف أمامنا أبعاد هذه الشخصية فقد لقيت من المعاناة الشديدة والمحاسبة الدقيقة لنفسها بعد ارتكاب تلك الذنوب والآثام، والذي وصفته القصة أنه " رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لِأَهْلِهِ "(١) ولعل هذه المعاناة هي التي أوحت له بهذا التفكير الغريب ٠ وليس معنى ذلك إقرار مثل هذا العمل، ولكن المغزى هو تعظيم شأن الخوف من الله سبحانه وبيان أنه سبب لمغفرة الذنوب

---

(٢) سنن الترمذي ٤ : ٦٥٨ وانظر مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٣٣٦ ٠

(٣) انظر نص القصة رقم (٣٥) في هذه الرسالة ٠

(١) انظر نص القصة رقم (٣٩) في هذه الرسالة ٠

وصورة الخشية من الله نلمسها في قصة " الرجل والجمجمة " [1] فمنظر الجمجمة وقد عرت من جميع الحواس وأصبحت مجرد هيكل لا نفع منه هز مشاعر الرجل الذي رآها وحرك معاني الروح في نفسه فتأمل وتفكر فيما قد مت يداه من قبل ، وأدرك أنه سيصبح هيكلاً عظيماً في يوم من الأيام فكيف يمكن أن يواجه ربه وقد اقترفت يداه الكثير من الآثام ، فلم يتمالك نفسه فخر ساجداً لله يسأله المغفرة والرحمة ويعلن خشيته منه في تلك المقولة التي توجه بها إلى ربه " اللَّهُمَّ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنَا أَنَا ، أَنْتَ الْعَوادُ بِالْمَغْفِرَةِ وَأَنَا الْعَوادُ بِالذُّنُوبِ فَاغْفِرْلِي " [2] .

هذا الحدث يكشف لنا أبعاد هذه الشخصية ، فوصول هذا الرجل لهذه المرحلة من محاسبة الضمير يشعر بعظم الثقل الذي كان يعانيه ، وبكثرة الآثام .

ولعل شدة التأثر ترجع لفرط حساسية الشخصية فها هو يتوجه بالدعاء طالباً المغفرة والرحمة وقد خر ساجداً لمجرد أنه رأى الجمجمة وقد تحولت لهيكل عظمي، في حين يراها غيره من الناس وينظر إليها نظرة عابرة على أنها نتيجة طبيعية لما بعد الموت ، ولكن كان منظر الجمجمة بالنسبة للرجل سبباً لتحريك مشاعر الخشية لله سبحانه فاستحق بذلك المغفرة .

ومن أمثلة المغفرة بعد الخشية قصة " كُرسف والمرأة " [3] وقصة " القاتل مائة نفس " [4] وسنتحدث عن هاتين الشخصيتين عند حديثنا عن العلاقة بين القصة القرآنية والقصة النبوية [5] .

---

(1) انظر نص القصة رقم (٣٩) في هذه الرسالة .

(2) مسند أحمد ٢: ٢٥٠ .

(3) انظر نص القصة رقم (٣٨) في هذه الرسالة .

(4) انظر نص القصة رقم (٣٧) في هذه الرسالة .

(5) راجع فصل العلاقة بين القصة النبوية والقصة القرآنية . ص : ٢١٤ .

والرحمة من الفضائل التي كانت لها الأثر الأكبر في تحويل مصير الإنسان من اتجاه إلى اتجاه ،فالقصة النبوية تطالعنا بخبر رجل يعترف بنفسه أنه لم يأت من الخير شيئاً ،ولكن رحمة الله تشمله فيوحي للملائكة بأن تذكره لعله قام بأمر يمكن أن يرحم به فتذكر فقال × إنه كان يفرج كربة المعسر ويرحم من يستدين منه فلا يغلظ عليهم ،ومن أعسر تجاوز عنه وأمر غلمانه بعدم التعرض له ، إن هذا العمل الذي ينطوي على الرحمة كان له عظيم الأثر في تحويل مصير هذا الرجل ،فتجاوز الله عنه كما كان يتجاوز عن المعسرين رفقاً به ورحمة .

إن هذا الحدث يكشف لنا بعداً في هذه الشخصية التي توحي بالإحساس بعدم الاكتراث بالمصير المحتوم في تلك الإجابة المقتضبة التي تنفي فيها عمل الخير عن نفسها ،ولكن الله سبحانه عالم بالخفايا يمنحه فرصة التذكير ليذكر فيرى نفسه،وقد كان يرحم المعسرين،ويتجاوز عنهم ،فيتجاوز الله عنه رحمة به .

وهذه الفضيلة يثيب الله سبحانه وتعالى عليها حتى لو كانت رحمة بالحيوان الأعجم فها نحن نجد في قصة " الرجل والكلب اللاهث " (1) فهذه الشخصية استطاعت أن تصور لنا من خلال الحدث نفساً حساسة شفافة ،تشعر بألم العطش الذي يعانيه الكلب ،فتقرر إرواء ظمئه رحمة به بالرغم من صعوبة الحصول على قطرات الماء،ولكن الاحساس المرهف بشعور هذا الكلب المسكين كان أقوى من الشعور ببعض التعب في الحصول على شيء من الماء،وكان بإمكانه أن لا يكلف نفسه ولكنه رَحِمَ فَرُحِم وغفر له .

---

(1) انظر نص القصة رقم - ٣٢ - في هذه الرسالة .

وهكذا يدلنا القصص النبوي على وسيلة الفلاح والنجاة .. إنها فعل الحسنات التي تمحو السيئات ،كما قال تعالى ((إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ)) (١) وكما جاء في الحديث ((وأتبع السيئة الحسنة تمحها)) (٢) .

نماذج المرأة في القصص النبوي .

عنيت القصة النبوية بالمرأة بوصفها نموذجاً له أبعاده الإنسانية المختلفة فرأينا فيها نموذج المرأة الخيره ومشاعر الأمومة العميقة في نفس المرأة كما رأينا فيها صورة المرأة القاسية الغوية الفاجرة .

أما صورة المرأة الخيرة فإننا نراها في ثلاث قصص في قصة " سارة والجبار" (٣) وقصة " السيده هاجر وابنها إسماعيل " (٤) وقصة " المرأة والتنور " (٥) .

فشخصية سارة رضى الله عنهاتصور المرأة المؤمنة الراضية بقضاء الله المطمئنة إلى حكمه المطيعة لأمر زوجها ،الواثقة من أفعاله وتصرفاته . فقد لمسنا فيها منطق الطاعة الذي يغلب عندها أي منطق ،وندرك هذه الحقيقة من تلبيتها مطلب زوجها بإفهام الجبار أنها أخت إبراهيم عليه السلام وليست زوجه لأن في ذلك حماية لها وله فتبطل الوسيلة التي يمكن أن يقهر الجبار بها إبراهيم عليه السلام .

(١) سورة هود الآية (١١٤) .
(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ١٥٢ .
(٣) انظر نص القصة رقم-٤١-في هذه الرسالة .
(٤) انظر نص القصة رقم-١-في هذه الرسالة .
(٥) انظر نص القصة رقم-٥٤-في هذه الرسالة .

ونلمس جانب الإرادة القوية في رفضها محاولة الجبار الاعتداء عليها واستنجادها بربها فهو القادر على حد طغيانه،وكانت استجابة الله لدعائها دليلاً واضحاً على صدق العقيدة في نفسها الكريمة،وفي قولها " كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ " (١)

أما شخصية السيدة هاجر فتصور نموذج المرأة الصابرة على قضاء الله وحكمه،فعند ما علمت أن ما فعله إبراهيم عليه السلام ما هو إلا أمر من الله خضعت لهذا الأمر،ولفظت بتلك الجملة المعبرة عن مدى طاعتها وصبرها وثقتها في الله عز وجل . إِنَّ اللَّهَ لَنْ يُضَيِّعَنَا " (٢) .

وقد صورت القصة النبوية في شخصية السيدة هاجر نموذج الأمومة الحريصة على سلامة وليدها من كل أذى،فبعد طاعتها وخضوعها لأمر ربها ذهبت لتحتضن وليدها وكأنها تحميه مما جزعت منه فالمكان مقفر،ولا أثر للحياة فيه ،ويبرز هذا الجانب في إسراعها وبحثها عن قطرات من الماء تروي ظمأها،وظمأ طفلها فسعت سبعة اشواط دون أن تشعر ،فغايتها أعظم من الاهتمام بأمر نفسها فكم كانت فرحتها عند ما وجدت أن الماء ينبع من تحت قدمي وليدها ،هذا الجانب نجده يبرز في حرصها على الماء ، فعند ما جاء القوم وطلبوا الاستقرار معها رحبت على شرط ألا يقربوا الماء .

أما شخصية المرأة صاحبة التنور فتصور نموذجاً مثالياً للمرأة التقية الصالحة ، فبالرغم من انقطاع أسباب العيش لديها تشفق على زوجها الذي جاء يطلب الطعام،وما في البيت طعام فما كان منها إلا أن تتوجه إلى الله تطلب منه العون والمساعدة ،فاستجاب الله لدعائها،وملأ تنورها بجنوب الغنم .

---

(١) صحيح مسلم ٥ ٢١٩ - ٢٢٠ .
(٢) صحيح البخاري ٤ ١٧٣ - ١٧٥ .

وهذه القصة تكشف بعد في هذه الشخصية لتصور لنا المرأة الأنثى التي تقدر أحوال زوجها بالصبر عليه،ومحاولة التخفيف عنه بالحديث الهين اللين اللطيف .

وقد كان للأمومة الجانب الأكبر من الاهتمام فقد صورت في قصة " الملك والساحر والغلام " (١) وقصة " الطفل الذى تكلم في المهد " (٢) وقصة " محاكمة سليمان وداود " (٣) .

ففي قصة " الملك والساحر والغلام " (٤) نرى الأم المؤمنة قد تأهبت لإلقاء نفسها في النار المضرمة ولكنها في اللحظة الأخيرة تقاعست فهي لم تكن وحدها ،فبين يديها طفل صغير ،فكيف يمكن أن تتصور النار وهي تنهش جسده،وتحيله إلى كتلة من رماد ،ولكن إرادة الله تنطق الغلام فيناديها،ويحثها على استكمال ما أقدمت عليه فهي على حق .

وفي قصة " الطفل الذي تكلم في المهد " (٥) نرى الأم وقد انتقت لابنها الصورة الأجمل في نظرها،وفي نظر الجميع وهي صورة صاحب الشارة وكرهت له الصورة الأخرى صورة المرأة التي قلبها القوم فأخذوا يجرجرونها ويقذفونها بأقبح الألقاب،هذا المنظر أجزع الأم فدعت أن لا يكون ابنها مثلها خشية عليه وخوفاً . ولكن إرادة الله تنطق الطفل فيكشف الأمر الذي خفي عن الأم وصاحب الشارة جبار ،والمرأة مظلومة مقهورة .

---

(١) انظر نص القصة رقم-٢٥- في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم-٢٤- في هذه الرسالة .

(٣) انظر نص القصة رقم-٨- في هذه الرسالة .

(٤) انظر نص القصة رقم-٢٥- في هذه الرسالة .

(٥) انظر نص القصة رقم-٢٤- في هذه الرسالة .

وفي قصة " محاكمة سليمان وداود "(١) نجد نموذجين من الأمهات -

النموذج الأول - يصور الأم المخادعة التي تحاول أن تستأثر بالطفل وتحرم أمه منه ، وكان همها الوحيد أن تفوز به دون الأخرى ، بالرغم من أنها كانت تعلم أن الطفل ليس ابنها، وإنما هو ابن الأخرى، ولكن خصلة حب الذات لديها كانت أقوى من أن تستسلم للحقيقة فكان لذكاء سليمان عليه السلام أثر عظيم في كشف أمرها فالأم الحقيقية لا يمكن أن ترضى بقتل ابنها أمامها، ولكنها تقبل حياته مع غيرها .

أما النموذج الثاني - فيصور الأم الرقيقة المغلوبة على أمرها فحياة ابنها وبقاؤه حياً أعظم من تحمل حرمانها منه ، ورضاؤها بهذا الأمر دليل صريح على حقيقة أمومتها وتفانيها في حبها له .

أما صورة المرأة القاسية فتصورها لنا المرأة التي حكم عليها بدخول النار وقد تجلت قسوتها في معاملتها للهرة المسكينة، فلم تكتف بحرمانها الطعام بل عملت على ربطها وحبسها وتقيد حركتها حتى انتهى بها هذا الأمر إلى الموت ، فكان جزاء القسوة والظلم وانتزاع الرحمة من القلب دخول النار .

وقد حذرت القصة النبوية من المرأة الغوية التي يمكن أن تفتن بجمالها قلوباً قد عاهدت ربها أن تنقطع لعبادته عز وجل ، ولكن الضعف الإنساني قد يحول بينها وبين مواصلة العهد الذي قطعته على نفسها، وقد صورت القصة النبوية المرأة الغوية في قصة " المرأة والراهب "(٢) فهذه المرأة الغوية تصور نموذجاً فاسداً من النماذج الإنسانية في المجتمع الإنساني هذا النموذج يصور الشر والضلال بجميع ألوانه لأن أساس الحياة لديها تحصيل المتعة بأية وسيلة حتى لو كان في ذلك إضلال عابد من العباد وإخراجه من الدائرة التي وضع نفسه فيها .

---

(١) انظر نص القصة رقم - ٨ - في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم - ٦ - في هذه الرسالة .

ولو أن الأمر انتهى عند حد المتعة لهان الأمر، ولكن الوضع أعظم فقد انتهى به الأمر إلى ارتكاب المحرمات وانتهاك حدود الله وقتل النفس البريئة كل ذلك بتأثير الغواية التي ما رستها هذه المرأة الفاجرة.

وقد تتبع المرأة أسلوباً من أساليب الخداع للظهور بمظهر الحسن دون أن تدرك الخطر الذي يكمن في بعض تصرفاتها ، لذا نجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحرص على أن تكون المرأة في الصورة الطبيعية التي خلقت عليها، ويتضح ذلك في مغزى قصة " المرأة القصيرة "(١) التي استخدمت رجلين من خشب ، ولبست خاتماً حشته مسكاً فلم يعرفها قومها .

---

(١) انظر نص القصة رقم - ٤٤ - في هذه الرسالة .

إذا تأملنا أسلوب القصة، وحاولنا أن نتلمس خصائصها فإننا نستطيع أن نوجزها فيما يلي: -

الإيجاز، الوضوح، إيثار التصوير، الأخذ بأساليب التشويق، البعد عن الصناعة اللفظية:

١ - الإيجاز: -

إن الصفة الغالبة على أسلوب القصة النبوية مهما طالت أحداثها، هو الميل إلى الإيجاز، وهي بذلك لا تخرج عن طبيعة البيان النبوي الذي يتسم بالقصد والإيجاز بما لا يتجاوز السطور القليلة، وهذا الأسلوب يتفق مع ماروي عنه (صلى الله عليه وسلم) من أنه "كَانَ يَتَخَوَّلُ أَصْحَابَهُ بِالْمَوعِظَةِ" (١). ولهذا كان قصصه (صلى الله عليه وسلم) وجيزا يستهدف جلاء العبرة والموعظة سواء كان ذلك من قصص حكاية خاصة بالأنبياء (صلوات الله عليهم) أو كان تصويراً لنماذج إنسانية من الأمم السابقة.

لذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتخول أصحابه بالقصص الموجز الذي يحمل بين طياته الموعظة الحسنة مخافة السآمة عليهم، وهذا الأمر ليس بالغريب لأن.. طبيعة البلاغة النبوية الإيجاز كما قال عليه الصلاة والسلام "وأُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ" (٢) ومعنى الكلم الجامع " قلة ألفاظه مع اتساع معناه، وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكلف، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه، وأن يكون ذلك عادة وخلقاً يجرى عليه الكلام في معنى معنى وفي باب باب - شيء لم يعرف في هذه اللغة لغيره (صلى الله عليه وسلم) لأنه في ظاهر العادة يستهلك الكلام ويستولي عليه بالتكلف، ولا يكون أكثر مايكون إلا باستكراه وتعمل كما يشهد به العيان والأثر، فكان تيسير ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم) واستجابه

(١) انظر " صحيح البخاري" ١ : ٢٧، والترمزي ٥ : ١٤٢، وأحمد بن حنبل ١ : ٤٢٥ - ٤٢٧.

(٢) أحمد بن حنبل ٢ : ٢٥٠ - ٤١٢ - ٤٤٢ - ٥٠١.
وانظر تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٤ : ١٣٢.

على مايريد وعلى النحو الذي خرج به ـ نوعاً من الخصائص التي انفرد بها دون الفصحاء والبلغاء وذهب بمحاسنها في العرب جميعاً ."(١)

ومعنى هذا أن الإيجاز هو الصفة الغالبة التي عرف بها (صلى الله عليه وسلم) في جميع بيانه ، سواء كان ذلك قصصاً أو خطباً أو مثلاً .

ولكن الأستاذ الرافعي يقول : "على أنه لا يؤخذ مما قدمنا أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يطيل الكلام إن رأى وجهاً للإطالة" (٢) . واستشهد لقوله هذا بحديث رواه أبو سعيد الخدري أن (صلى الله عليه وسلم) خطب بعد العصر . فقال "أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاءَ . أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلاً مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ (٣) قَالَ أَبُو سَعِيد وَلَمْ يَزَلْ يَخْطُبُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا حُمْرَةٌ عَلَى أَطْرَافِ السَّعَفِ . فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى (٤)" وقد قدر الاستاذ الرافعي مدة هذه الخطبة بأنها "لا تقدر في عرفنا بأقل من ساعتين" (٥) ونرد على هذا القول من عدة جوانب :ـ

أولا ـ إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) إن كان قد حدث أصحابه ساعتين ـ كما قدر الأستاذ الرافعي ـ فهل كان يمكن أن يهمل أصحابه حفظ ماتحدث به ؟ .

فأطول خطبة رويت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا تتجاوز السطور القليلة حتى خطبة الوداع وهي أهم خطبة ألقاها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ كانت في يوم الحج الأكبر وفيها ودع النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه وأوصاهم في أمر دينهم فكان المقام يستدعي منه الإطناب في الحديث ، ولكننا إذا نظرنا إلى خطبة الوداع فإننا نجد أن النص لا يتجاوز سطوراً معدودة إذ قال عليه السلام :ـ

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . مصطفى الرافعي ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٢) المرجع السابق : ص : ٣٠٢ .

(٣) سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٢٥ .

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة ص ٣٠٢ .

(٥) المرجع السابق . ص : ٣٠٢ .

في خطبته بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً في بني ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية .

أما بعد : أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم أيها الناس : إنما النسيء زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر ، الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد : أيها الناس ، إن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه .

أَيُّهَا النَّاس ، اسْمَعُوا قَوْلِي واعْقِلُوه ، تَعْلَمن أَنَّ كُلَّ مُسْلِم أَخٌ لِلْمُسْلِمِ وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَة ، لاَيحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ أَخِيهِ إِلاَّ مَاأَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، فَلاَ تَظْلِمُنَّ أَنْفُسَكُم اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ (١) .

هذه الخطبة الموجزة هي أطول خطبة للرسول (صلى الله عليه وسلم) مما يبين أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يحرص على الإيجاز حتى في المواقف التي تميل إلى الإطناب حتى أن بعض خطبه الجامعة قد جاء في كلمات قليلة كما في قوله عليه الصلاة والسلام " أَيُّهَا النَّاس : إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلى نِهَايَتِكُمْ . إِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْن : بَيْنَ عَاجِلٍ قَدْ مَضَى لاَيَدْرِي مَا اللّه صَانِعٌ بِهِ . وَبَيْنَ آجِلٍ قَدْ بَقِيَ لاَيَدْرِي مَا اللّهُ قَاضٍ فِيهِ ، فَلْيَأْخُذْ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ . وَمِنْ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ . وَمِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ . فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ . مَابَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَلاَ بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلاَّ الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ" (٢) .

وإن البلاغة تتجلى في الإيجاز أكثر مما تتجلى في الاطالة لأن القول الموجز يكلف صاحبه جمع عناصر الموضوع في كلمات معدودة .

قال علي (رحمه الله) : " قيمة كل امرئ مايحسن وأحسن الكلام ماكان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه " (٣)

وقال ابن الأعرابي ، قيل لعبدالله بن عمر : لو دعوت الله لنا بدعوات . . فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا : فقال له رجل لو زدتنا ياأبا عبد الرحمن فقال : نعوذ بالله من الإسهاب . (٤) ومعنى هذا القول أن بلاغة العربي وقمة بيانه تكمن في الإيجاز بدليل الإجابة للسؤال الذي طرحه معاوية لصحار .

---

(١) السيرة النبوية " لابن هشام " ٤ : ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) البيان والتبيين " الجاحظ " ١ : ٢٠٤ .

(٣) المرجع السابق . ١ : ٦٠ .

(٤) المرجع السابق . ١ : ٧٠ .

قال : " ماتعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجـاز . قال له معاوية : وماالإيجاز ؟ قال صحـار : " أن تجيب فلا تبطي ، وتقول فلا تخطي " "(١)

وقال آخر : الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل (٢) والمعنى نفسه نجده عند المفضل في تعريفه للإيجاز نجده يقول " حذف الفضول ، وتقريب البعيد " (٣) .

ثانياً : جاء في رواية أبي سعيد الخدري هذه أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ألقى خطبته بعد صلاة العصر أي بعد انتهاء وقت العصر . فهل تعرف مدة صلاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في ذلك اليوم ؟ إن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى التي نوه القرآن بمنزلتها في قوله تعالى " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى " (٤) فهي أولى بالإطالة والاستغراق فيها . فهل يمكن أن تكون المدة المتبقية بعد صلاة العصر ساعتين كاملتين ظل الرسول عليه الصلاة والسلام يخطب فيهما ؟ ! ثم إنه ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يأمر بقصر الخطبة وطول الصلاة .

فعن أبي وائل أنه قال : خطبنا عمار فأوجز وأبلغ فلما نزل قلنا يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفست فقال : " اني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ (٥) مِنْ فِقْهِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا (٦) .

وقد وردت رواية عن أبي زيد - يعني عمر بن أخطب قال : " صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) صَلَاةَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرَ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ . ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الْعَصْرُ ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الْعَصْرَ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ فَحَدَّثَنَا بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا (٧) .

---

(١) ، (٢) ، (٣) " البيان والتبيين " ١ : ٧٠ .

(٤) سورة البقرة / الآية ٢٣٨ .

(٥) مئنة : علامة .

(٦) صحيح مسلم " ٢ : ٥٢١ - ٥٢٢ . وانظر مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٢٦٣ .

(٧) صحيح مسلم ٥ : ٧٤٢ .

فهذا الحديث وإن توافرت أسباب نقله يمكن أن يكون النبي خطب بجمل قصيرة ، أو جملة أحاديث ، فهل يعقل أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) فعل ما يناقض صفاته التي عرف بها فقد روى عن عبد الله قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا (١)". كما كان حديثه مرتبسلا لو عده العاد لأحصاه ، فصل لا نزر ولا هذر كما جاء في حديث أم معبد (٢) . والجمع بين هذه الأحاديث يمكن أن يكون بتفسير هذه الخطب المتواصلة بتلاوة سور من القرآن كما أن بعض الصحابة حفظ سورة ق من كثرة ما سمعها من الرسول (صلى الله عليه وسلم) على المنبر .

" فعن عمرة بنت عبد الرحمن عن أخت لعمرة قالت: أَخَذْتُ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يَقْرَأُ بِهَا عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ" (٣) .

وفي حديث آخر عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : "لَقَدْ كَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) وَاحِداً سَنَتَيْنِ أَوْ سَنَةً وَمَا أَخَذْتُ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إِلاَّ مِنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ" (٤) .

فلعل إطالة بعض خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) راجع إلى أن من عناصرها تلاوة سورة من القرآن وإلا فإن الدواعي قد توفرت لحفظ كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونقله وتبليغه ، فأين هذه الخطب الطوال التي ألقيت في هذه الساعات الكثيرة التي يشير إليها هذا الحديث ؟ .

---

(١) الترمذي ٥ : ١٤٢ وانظر مسند أحمد بن حنبل ١ : ٤٢٥ - ٤٢٧ .

(٢) انظر دلائل النبوة لأبي نعيم ٢ : ١١٧ - ١١٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١ : ٢٢٨ - ٢٣٧ وطبقات ابن سعد ١ : ٢٣٠ - ٢٣٢ ، والمستدرك للحاكم ٣ : ٩ - ٩ - ١١ والإصابة ٨ : ٢٨١ - ٢٨٢ ، والفائق ١ : ٦٤ - ٦٦ ، والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١ : ٢٤٢ - ٢٤٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٥٧ - ٢٦٣ .

(٣) صحيح مسلم ٢ : ٥٢٣ - ٥٢٤ .

(٤) المرجع السابق ٢ : ٥٢٤ - ٥٢٥ .

فإن الفترة بين الصبح والظهر والعصر والمغرب مدة تزيد عن عشر ساعات فإذا أخرجنا منها أوقات الصلوات المكتوبة فإنها تنقص بضع ساعات ، فإذا وضعنا في حسابنا كون الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يطيل في صلواته أيضا وقد جاء في بعض الأحاديث أنه كان يقرأ بالبقرة وآل عمران كما في حديث حذيفة .

قال : "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ ، قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ" (1) فمعنى هذا أنه كان يستغرق في صلاته وقتا طويلا وهذا الأمر لم ينفرد به الرسول (صلى الله عليه وسلم) بل إن أصحابه (رضوان الله عليهم) كانوا يسيرون على منهجه في أقواله وأفعاله ، فمما جاء في هذا الصدد حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على إطالة الصلاة وقصر الخطبة ، وقد جعل الإيجاز علامة على علم الرجل وفهمه وبلاغته ، وهذا ما جاء على لسان عمار (رضى الله عنه) عندما سئل الإطالة في خطبته قال : "إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ ، فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا" (2) .

هذا وقد أفاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى إيجازه من الأسلوب القرآني حيث نجد أن القرآن كان المثل الأعلى في هذا الجانب .

وفي القصص القرآني ما يجمع القصة كاملة في آيات معدودة مع أنها تأتي فى موطن آخر في سياق مفصل ، ولننظر إلى قصة موسى في سورة النازعات مثلا :

---

(1) صحيح مسلم : ٢ : ٥٣٠ - ٥٣٢ .

(2) المرجع السابق : ٢ : ٥٢١ - ٥٢٢ .

قال تعالى : هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب إلى فرعون إنه طغى ، فقل هل لك إلى أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى "(1) .

ففي هذه الآيات المعدودة جاءت ملامح قصة موسى عليه السلام مع فرعون في صورة موجزة في حين نجدها في مواطن أخرى من القرآن كسورة الأعراف والشعراء والنمل والقصص جاءت طويلة مفصلة . وهذا من الإعجاز القرآني ، ومن هنا كان أسلوب الرسول عليه الصلاة والسلام في القصص النبوي يتمثل فيه الإيجاز الرائع فنجد أن عناصر القصة تجمع في كلمات معدودة ، ومثال ذلك قصة " الرجل والكلب اللاهث(2) " وقصة " بائع الخمر والقرد "(3) وقصة " البغي والكلب " (4) " وقصة " المرأة والهرة (5) " وقصة " الرجل الذى طلب أن يحرق " (6) وقصة " الرجل الذي خسف به الأرض " (7) .

الوضـــــوح :

المتأمل في أسلوب القصص النبوي ، يجد أنه يتسم بالوضوح والبعد عن الغرابة حيث نجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) يستخدم فيه الأسلوب القريب المعنى القريب الفهم في كل عصر مهما كان حظه من معرفة اللغة فليس فيه كلمات وألفاظ غريبة تحتاج إلى تفسير كما جاء في بعض الأحاديث النبوية التي احتوت على بعض الألفاظ التي لم تكن معهودة عند العـــرب فاحتاج الناس إلى السؤال عنها كما احتاج العلماء إلى تفسيرها والبحث عن أصولها . ومن ذلك

---

(1) سورة النازعات . الآيات : ١٥ - ٢٦

(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) تراجع نصوص القصص رقم (٣٣ - ٢٦ - ٤١ - ٤٢ - ٣٥ - ٢٧) .

عن أبي عامر : " أن رجلاً قال : يارسول الله ، من أهل النار ؟ قال : كل قعسري ، قال : يارسول الله ، وما القعسري ؟
قال : الشديد على الأهل ، الشديد على العشيرة ، الشديد على الصاحب "(1) .

وكذلك حديث روى عن عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الله بن يزيد المقرى ثنا موسى بن علي قال : سمعت أبي يقول : بلغني عن سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال له يا سراقة ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار قال : بلى يارسول الله قال : أما أهل النار فكل جعظري جواظ مستكبر ، وأما أهل الجنة الضعفاء المغلوبون "(2) .

في حين نجد القصص النبوي يتميز بهذا الأسلوب الواضح القريب الذي يبعد في معانيه وألفاظه عن الغرابة في المفردات فالإنسان لا يحتاج في فهم القصص إلى معاناة وتقليب ألفاظ بل يدرك المعنى القريب للقصة النبوية في أسلوبها البديع الجلي الواضح .

ونضرب مثلاً لهذا الأسلوب الواضح الحلو الموجز بقصة البغي التي سقت الكلب فغفر لها (3) .

---

(1) ذكره ابن الأثير في " أسد الغابة " ٦ : ١٨٨ . بلفظ : إن رجلاً سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أهل النار ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لقد سأل عن عظيم كل شديد قبعثري . قال وما القبعثري ؟ قال . الشديد على الصاحب " وقال أخرجه ابن منده وأبو نعيم .

وفي الفائق ٣ / ٢١٢ " قعبر " : قال الزمخشري : أرى أنه قلب عقري . يقال : رجل عقري ، وظلم عقري شديد فاحش ، وقد جاء القلب في كلامهم مجيئاً صالحاً .

(2) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٧٥-٣٠٦ ، ٢ : ١٦٩-٢١٤ وأخرجه مسلم ، باب " جهنم " برقم " ٤٤ " ٥ : ٧٠٧ . بلفظ يقول ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره إلا أخبركم بأهل النار كل جواظ زنيم متكبر " وأخرجه الترمذي ، كتاب صفة جهنم ، برقم " ٢٦٠٥ " ٤ : ٧١٧ بلفظ يقول " ألا أخبركم بأهل الجنة : كل ضعيف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار : كل عتل جواظ متكبر " .

(3) صحيح البخاري " باب ما ذكر عن بني إسرائيل " ٤ : ٢١١ .

أو بقصة " العقار وجرة الذهب " قوله " اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الذي اشْتَرَى فِي عقَارِهِ جَرَّةً فيها ذَهَبٌ . فَقَالَ لَهُ الذي اشْتَرَى الْعَقَارَ ، خُذْ ذَهَبَكَ مِني ، إنما اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأرْضَ ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ . وَقَالَ الذي لَهُ الأرْضُ إِنَّمَا بِعْتُكَ الأرْضَ وَمَا فِيهَا فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ ، فَقَالَ الذي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ أَلَكُمَا وَلَدٌ ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلَامٌ ، وَقَالَ الآخَرُ لِي جَارِيَةٌ ، قَالَ : أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الجَارِيَةَ ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا " (١) .

ففي القصة الأولى كان الأسلوب خبرياً لا حوار فيه في حين القصة الثانية تعرض القصة بأسلوب فيه حوار . وسواء كان القص عن طريق الحكاية وحدها ، أو بين الرواية والحوار، فنلحظ أن البيان النبوي غاية في الوضوح والقرب متحقق ذلك في المعاني والألفاظ ، كما أن أسلوبها يخلو من الصنعة والتكلف . فلو أننا تأملنا أساليب القصص النبوي لرأينا أنها تخلو من الغرابة والمعاني الغامضة التي تحتاج إلى معاناة لفهمها ، والوصول إلى أغراضها ، فألفاظها قريبة متداولة في كل عصر .

كما أنها تخلو من اللهجات الغريبة التي تستعملها بعض القبائل ، فهي بذلك وعلى هذه الصفات تقع في قمة الوضوح والفصاحة بل في المرتبة العظمى من التناسق الفكري والنفسي .

هذا التناسق نستطيعه من القصة فالفكر لا يضطرب عند سماع قصة هذه المرأة البغي التي عاشت حياتها في مستنقع الرذيلة ، ثم نرى منها هذا التصرف النبيل تجاه هذا الكلب العطشان ذلك لأن الفكر لا يجد تعارضاً في فهم حقيقة النفس الإنسانية التي يراها مزيجاً من الخير والشر ، فإن حدث أن غلب جانب الشر على النفس في حين من الأحيان فلا يعني هذا فقدان الخير فيها ، فالفكر المؤمن لا يحكم على الناس أحكاماً مطلقة ، ويقول هذا إنسان شرير ما دام أن ظاهره يدل على ذلك ، أو ذاك خير ما دام ظاهره يدل على ذلك . والله سبحانه وتعالى يقول " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا " (٢) .

---

(١) صحيح البخاري " ، باب ما ذكر في بني إسرائيل . ٤ : ٢٦٢ .

(٢) سورة الشمس . الآية : ٧ - ٨ .

إذن فالقصص النبوي يحتوي الوضوح من جميع جوانبه ، وضوح في الفكرة ووضوح في المعنى ووضوح في الأداء وبالتالي تكون نتيجة هذه الألوان الواضحة وضوحاً في التلقي والأخذ وبالتالي وضوح في العقيدة إلى أن ينتهي المطاف إلى الوضوح في البذل والعطاء .

إيثار التصوير :-

التصوير هو الأسلوب الذي اتخذه الرسول (صلى الله عليه وسلم) للإبانة عن الأهداف التي اتجه إليها القصص النبوي فهو الأداة التي احتلت المكان الأول في البيان النبوي، وهو الطريقة المثلى التي استطاع بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) تصوير الحالات النفسية والإنفعالية التي تنتقل من حال إلى حال أو تصوير الحركية المتميزة .

تصوير الحالة النفسية :-

أدرك الرسول (صلى الله عليه وسلم) بحاسته البيانية حب الإنسان لمعرفة الحالات النفسية وحرصه على إدراك حقيقتها فاستفاد من هذه الطبيعة الإنسانية المتأصلة فتناولها بالتصوير في قصصه فمن الحالات النفسية التي صورها لنا :-

١ - حالة الغيظ بسبب الجهل أو الحرج .

٢ - حالة الإحساس بالرحمة .

٣ - حالة الخوف من الله .

٤ - حالة الإشفاق والخوف على الولد .

٥ - حالة اليأس من روح الله لسوء التقدير .

فمن أمثلة الحالة الأولى ، تصوير غيظ الملك في قصة " سارة مع الجبار " (١) مما جرى له عندما دعت عليه فقبضت يده الممتدة إليها فلم يستطع أن يفعل شيئاً بها حتى أدركتها الرحمة فعفت عنه وسألت ربها تخليصه مما هو فيه فخلصت يده ببركة دعائها ، وهو غير مدرك

---

(١) انظر نص القصة رقم (١٤) في هذه الرسالة .

(٢) صحيح مسلم .. باب فضائل إبراهيم عليه السلام ٥ : ٢٢١ - ٢٢٠ .

حقيقة الأمر الذي جعله يصل إلى ما وصل إليه من حال ، وقد صور عليه الصلاة والسلام حاله بتلك الجملة المعبرة التي عبرت تمام التعبير عن جهله وغيظه وهي قوله لخادمه " إنك إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان " (١) .

وحالة أخرى من حالات الغيظ ، ولكنه غيظ يحمل بين طياته الكثير من الحرج والخجل والحياء من هذا الموقف الغريب وهذا الموقف يصوره الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تلك الكلمات التي نطق بها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عندما رأى الحجر ينطلق بثيابه ، وقد كان يغتسل منفرداً عن قومه حياء وخجلاً من تلك العادة التي اعتادها بنو إسرائيل ، وهي الاغتسال مع بعضهم فيرى كل واحد منهم سوأة أخيه حتى أنهم عجبوا من أمر موسى عليه السلام في انفراده عند الاغتسال ، واتهموه بأنه آدر فأراد الله أن يبرئه من تلك التهمة فأوحى للحجر أن ينطلق بثيابه ، وقد صور عليه السلام هذا الموقف بتلك الجملة الموجزة ، بهذا النداء العجيب الذي جمع بين الغيظ والحرج معاً حيث نجد موسى عليه السلام ينادي الحجر " ثوبي حجر " يقصد بندائه ثوبي يا حجر ، ثوبي يا حجر . وقد أوضح الرسول (صلى الله عليه السلام) . صورة الغيظ المتناهي في شروع موسى عليه السلام إلى أخذ الحجر وضربه مرات عدة حتى أحدث فيه الكثير من النتوءات تصويراً لموقف الغيظ والحرج .

والحالة الثانية من أمثلتها تصوير الرحمة التي غمرت قلب ذلك النبي الذي نال الويلات من قومه حتى ضربوه فأدموه ومع ذلك يدعو لهم بالمغفرة ، والرحمة ويصور الرسول (عليه الصلاة والسلام) هذه الحال بذلك الدعاء المعبر عن مدى الرحمة التي يمتلكها ذلك النبي تجاه قومه في قوله " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " (٢) .

---

(١) صحيح مسلم : باب فضائل موسى (صلى الله عليه وسلم) ٥ : ٢٢١ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٤٢٧ .

٣ ـ أما تصوير الخوف من الله فقد استغرق قسماً كبيراً من صور القصص النبوي . ذلك لأن أساس العقيدة الصحيحة هو الخوف من الله ، ولذلك صور الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذه المشاعر في الكثير من قصصه :

فنرى الخوف من الله والخشية من عذابه في قصة ذلك الرجل الذي قتل تسعة وتسعون نفساً فخاف عقاب ربه وأراد أن يدرك نفسه قبل فوات الأوان فذهب يبحث عن أحد أهل الأرض فدلوه على ذلك الراهب الذي أيأسه وضيق عليه أبواب التوبة ، فكان جزائه الموت ، ويزداد خوف الله في نفس هذا الرجل فيبحث عمن يدله على الطريق الصواب ، ويلتقي بالعالم الذي يأخذ بيده ، ويدله على الطريق الصحيح (١) .

وتتجلى حالة الخوف من الله في صورة أعمق ، في قصة الرجل الذي أمر بنيه أن يحرقوه ، حتى يصبح جسده رماداً فيذر نصفه في البحر والنصف الآخر في البر خشية من الله وخوفاً من عذابه . (٢)

ويصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) الخوف من الله في صورة أشد وأعظم ، وهي صورة المؤمن الذي اعتبر بما رآه أمامه من علامات الفناء حين رأى الجمجمة وقد تحولت إلى عظمة فارغة لا حياة فيها ولا أثر ، فرأى قدرة ربه على الإماتة والإحياء وأحس بضعفه وقلة حيلته فخر ساجداً يبكي خوفاً وتعظيماً لربه مناجياً ربه بتلك الكلمات البليغة الدالة على عظمة الخالق وضعف المخلوق " اللَّهُمَّ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنَا أَنَا أَنْتَ الْعَوَّادُ بِالْمَغْفِرَةِ وَأَنَا الْعَوَّادُ بِالذُّنُوبِ فَاغْفِرْ لِي "(٣) .

---

(١) انظر نص قصة " القاتل مائة نفس " رقم (٣٧) في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص قصة " الرجل الذى طلب أن يحرق " رقم (٣٥) في هذه الرسالة .

(٣) مسند أحمد بن حنبل . ٢ : ٢٥٠ .

٤ - حالة الإشفاق على الولد :-

أما شعور الخشية على الولد فقد صوره الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مثل هذه الصورة في قصة " الملك والساحر والغلام " (١) . حيث نجد الملك يأمر زبانيته بخد الأخدود وإضرام النار وإلقاء المؤمنين فيه ، حتى كان دور المرأة التي تقاعست خوفاً على ابنها الصغير أن تحرقه النار ، وفي هذه الصورة يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) حنان الأمومة ، فالمرأة لا تخشى على نفسها ولكن خشيتها تشتد على ابنها الصغير، ولكن الله تعالى ينطق وليدها بتلك الكلمات المشجعة التي دفعتها إلى اقتحام النيران ..

٥ - حالة اليأس من روح الله لسوء التقدير :-

وهذه حالة من الحالات النفسية الخطيرة التي قد يصل إليها المرء ، وقد اختلطت موازين العقيدة في نفسه ، فتوهم أن الخير والرحمة والفرج قد زالت من الوجود ، حتى وصل به اليأس إلى أن يظن هذا الظن السيء بالله ، فلا ترى نفسه السوداء سوى السواد ، ويصور الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الحال في ذلك النموذج الإنساني الذي أدت به حالته النفسية إلى التخلص من حياته يأساً وقنوطاً من رحمة الله ، فبادر ربه نفسه دون أدنى حق ، فحرم ربه عليه الجنة جزاء اعتدائه .(٢)

---

(١) انظر نص قصة " الملك والساحر والغلام " رقم (٢٥) في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص قصة " الرجل الذي حرمت عليه الجنة " رقم (٢٩) في هذه الرسالة .

تصوير تدرج السلوك البشري من حال إلى حال

ومن ألوان التصوير في القصص النبوي ، تصويره عليه الصلاة والسلام للحالات النفسية المختلفة والمتغيرة ، فالإنسان لا يعيش على وتيرة واحدة ، أو إحساس واحد ، كما أن حياته ليست فرحاً دائماً ، ولا حزناً دائماً ، بل هي مجموعة من الانفعالات والطبائع المختلفة التي تتفاوت من إنسان لآخر ، وأصل التغير في الأحوال المباشرة يتضح في القصص النبوي :-

أ - في مثل قصة " خلق آدم " (١) ، حيث تعرض ذرية آدم عليه السلام فيعجبه أحدهم فيسأل من عمره فيقال له : إنه أعطى ستين سنة ، فيعطيه هو من عنده أربعين سنة أخرى من عمره، ولكن عندما يقضي آدم عمره ، ويرى ملك الموت قادماً إليه يجزع ويتوجه إلى ملك الموت قائلاً : أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ متناسياً أنه قد أعطى أربعين سنة من عمره لابنه داود ، فيصور عليه السلام هذه الأطوار الإنسانية بقوله : فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسي آدم فنسيت ذريته ، وخطئ آدم فخطئت ذريته (٢) .

فقد صور الرسول (صلى الله عليه وسلم) حالات انتقالية ثلاثاً خطأ ، فنسيان فجحود .

وقد صور الرسول عليه الصلاة والسلام تدرج السلوك البشري في قصة " جريج العابد (٣) حيث نجد المرأة البغي تنتقل بطبعها إلى ثلاث حالات مختلفة ، وكل حالة يترتب عليها فعل خاص بهذه الحالة فنرى منها الابتذال نتيجة لعامل التحدي الذي غمر نفسها ، فاستحبت نشر الغواية والضلال ، وإخراج كل من جعل نفسه في نطاق العبودية لله ، وحتى تصل إلى مرادها لابد من الابتذال ، واعتراض من هو معرض عنها ، ولكن عندما تحقق خطتها يتصاعد الأمر في نفسها غيظاً وحنقاً ، فتدبر مكيدة لتوقع هذا المؤمن في شباك الحيرة والارتباك والرذيلة ، لتشوه سمعته انتقاماً لنفسها وانتصاراً لإرادتها ، وبالفعل تدبر المكيدة ، وتنجب ممن عاشرها طفلاً تدعيه على جريج ولكن الله يخلصه مما هو فيه .

---

(١) انظر نص قصة (خلق آدم " رقم (١٣) في هذه الرسالة .
(٢) سنن الترمذي " كتاب تفسير القرآن ، ٥ : ٢٦٧ ، رقم " ٣٠٧٦ " .
(٣) انظر نص قصة " جريج " رقم (٢٤) في هذه الرسالة .

فهنا نجد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) صور حالات نفسية متدرجة ، ابتداء من الغضب إلى الندم، من غيظ فانفعال إلى رضا واطمئنان.
ففيظ فاندعاء(١) . وفي قصص أخرى يصور الرسول عليه الصلاة والسلام حالتين من الحالات النفسية الانتقالية كالانتقال من الشك إلى اليقين .

وهذه الصورة نلمسها في قصة "عيسى والسارق" (٢) . حيث نجد عيسى عليه السلام يشك مرة في أمر رجل يراه يأخذ شيئاً ، فيظنه يسرق شيئاً فيواجهه ، فينفي الرجل عنه ما ادعى عليه ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو ، فيتراجع عيسى عن موقفه الذي بدا فيه الشك إلى اليقين ويقول "آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ نَفْسِي" (٣) .

وفي قصة السيدة هاجر وابنها إسماعيل يصور لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) حالتين من الانتقال النفسي للسيدة هاجر تنتقل فيه من الإحساس بالخوف إلى الشعور بالأمان يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) حال الخوف في إتباع السيدة هاجر زوجها والتمسك بأهداب ثوبه ، وعيناها زائغتان في هذا الوادي المقفر ، ولكن هذا الخوف لا يلبث أن يتحول إلى شعور بالأمان والطمأنينة عندما تعلم أن ماحدث ماهو إلا أمر من الله تبارك وتعالى ، وقد صور الرسول (صلى الله عليه وسلم) شعور الطمأنينة والأمان في قول السيدة هاجر : "إِنَّ اللهَ لَنْ يُضَيِّعَنَا" (٤) . ورجعت إلى ابنها تحتضنه تاركة زوجها يذهب إلى حيث أراد فقد أدى الأمانة إلى المكان المطلوب .

ويرسم لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في ذلك الحوار الذي تم بين الأبرص والملك ، والأقرع والملك ، في المرة الأولى والثانية . صورة حالتين متباعدتين في النفس الإنسانية فمن المسكنة والشكوى إلى الشعور بالعظمة والجبروت والادعاء .

---

(١) انظر نص قصة "جريج" رقم (٢٤) من هذه الرسالة .

(٢) انظر نص قصة "عيسى والسارق" رقم (١٠) من هذه الرسالة .

(٣) صحيح مسلم باب فضائل عيسى عليه السلام ، ٥ : ٢١٦ ، رقم (١٤٤)

(٤) صحيح البخاري "كتاب بدء الخلق" ، ٤ : ١٧٣ - ١٧٥ .

وقد صور الحالة الأولى في شكوى الأبرص والأقرع معاً من حالهما،فقد حرم الأول نعمة الصورة الجميلة حتى تقذره الناس بسبب جلده الذي أصابه البرص ، كما أصيب الآخر بالقراع في رأسه حتى تقذره الناس بسبب قرعه . ومن ناحية أخرى شكوا من سوء الحال وقلة المال .

ولكن بعد أن زال البأس عنهما وأوتيا المال تظاهر حقيقة نفسيهما ، فكلاهما جبار متكبر مغرور ، ويصور الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الحال بادعاء كل منهما بأن الحقوق كثيرة ، معتذراً يذكّران بما كان سبباً في هذا الخير وإزالة الشرور عنهما جحدا ذلك وادعيا مكابرة وغروراً بأنهما ورثا ما هما فيه من نعيم من كابر عن كابر ، أبي أنه إرث آل إليهما وليس لهذا المخلوق فضل عليهما وأنكرا المعروف (١) .

وفي قصة صاحب فرق الأرز يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) نموذجاً من النماذج الإنسانية الكادحة القانعة بالقليل ، حتى إذا فوجيء بالمال الكثير لم يصدق أن ذلك له فيعبر عن دهشته وعجبه بتذكير صاحب العمل بتقوى الله،ويطلب منه عدم الاستهزاء به .

فهنا نرى إحساسين مختلفين أحدهما يدل على القناعة والرضا بالقليل ثم على الدهش والعجب من الكثير (٢) . وفي موضع آخر من القصص يصور لنا الرسول حالتين مختلفين من السلوك الإنساني ، ويتمثل في منطق التشدد والإصرار يعقبه الخوف والوجل والخشية ، هذه الصورة يرسمها لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أمر المرأة التي احتكمت في ولدها إلى سليمان عليه السلام ، فكان التشدد والإصرار منها على أن الطفل هو ابنها ، وأن الذئب لم يأكل إلا ابن الأخرى ، ولكن عندما حكم سليمان عليه الصلاة والسلام في أمرها بأن يشق الطفل نصفين تحول شعور الإصرار لديها إلى خوف ووجل جعلها تتنازل عن حقها كي لا يشق نصفين (٣) .

---

(١) انظر نص قصة " الأبرص والأقرع والأعمى " رقم (٣١) في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص قصة " أصحاب الغار الثلاثة " رقم (١٩) في هذه الرسالة .

(٣) انظر نص قصة " محاكمة سليمان وداود " رقم (٨) في هذه الرسالة .

ومن ألوان الإبداع في القصص النبوي القدرة على تصوير الحركات ، والأصوات والنوازع بكلمة واحدة معبرة عن كل هذه المشاعر ، والأحاسيس التي تحتوي هذا الموقف .

ومن أمثلة هذه الألفاظ التي تتخيرها لإحياء الموقف ، وتصويره أجمل تصوير قولـــه (صلى الله عليه وسلم) في قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار (وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ)(1) . فالفعل جاء في صيغة المضارع الدالة على الإستمرار ، ثم أنه أسند لواو الجماعة ، وهذا دليل على أن الصبية يتشاركون في الفعل ، بل أن الجميع يصدر منهم هذا الفعل ومعنى يتضاغون : أي يصيحون ويستغيثون من ألم الجوع إذن فهو استخدم فعلاً لا يصلح الا لهذا المقام بل للتعبير عن هذا الغرض فقط فقد كان بإمكانيه أن يقول : يبكون مثلا ولكن البكاء قد يحدث من أمر غير الجوع ، أوكان يمكن أن يقول يرتعدون ولكن الارتعاد لا يناسب المقام لأن الارتعاد يطلب الدفء لا الطعام . من أجل هذا كان المناسب اختيار لفــــــظ " يتضاغون " لأنها توحي بالصورة الكاملة لوضع هؤلاء الصبية ، وهم يتضاغون عند قدمي أبيهم طلبًا للطعام . ففي اللفظ إيحاء بذلك الصوت المنبعث من تلك الأفئدة والأفواه الصغيرة التي تنادي بالطعام ، كما أن فيها تصويرًا للحركات التي تحدثها الآم الجوع . فما أبدعه من بيان إذ يصور كل هذه الإنفعالات الشديدة والأصوات العالية بهذا اللفظ المعبر .

ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) في قصة الرجل الذي خسف به الأرض : فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "(2) . فانظر إلى هذا التصوير العجيب حيث تكاد نرى هذا المتكبر وهو يضطرب في باطن الأرض التي أمرها الله أن تخسف به ، والفعل يتجلجـــل جاء في صيغة المضارع الدالة على الاستمرار ، ثم أن هذا الفعل جاء رباعيًا مضعفًا ممـــــا يناسب المقام الذي هو فيه ، ففعل الجلجلة قد احتوى هذا الرجل من جميع الجوانب ، ومن فوقـــه وتحتـــه .

---

(1) " صحيح مســـلم " ٥ : ٥٨٣ .
(2) " صحيح مســـلم " ٤ : ٧٩٧ .

ولننظر إلى دقة اللفظة فقد كان يمكن للرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يقول إن الرجل أخذ يغوص في الأرض مثلاً . ولكن الغوص لا يعطي الدلالة الكاملة لتصوير المقام لأن الغوص في الأرض يصور إيذاء القدمين والجسد من بعض جوانبه ، أما الرأس فلا يتأثر من أثر الغوص . في حين التعبير بلفظ التجلجل يؤدي المعنى المراد ذلك لأن هذا اللفظ يوحي بالغوص في الأرض مع تضعضع الجسد ، كما أنه يصور لنا المنظر وهو يحمل الصوت القوي لهذا الجسد الذي يسوخ في الأرض ، وهو يخسف فيه ، فكأن هناك حركة قوية تجول حول هذا الجسد ، وكأنها الرعد وهو يزمجر حاملاً هذا الجسد ليغوص به داخل الأرض ليخسف به . وقد يكون التصوير لوصف صورة معينة كان لها أكبر التأثير في تكوين الحدث . كما في قصة " أصحاب الغار الثلاثة "(١) . كما في قوله " فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم "(٢) . وانظر إلى هذه الجملة المعبرة لما حدث ففم الجبل قد انحطت عليه صخرة فانطبقت عليه ، وبالتالي سدت منفذ الخروج من الغار . فلو تأملنا هذين الفعلين المتتابعين نجد أن فعل الانحطاط أفاد الإنزال مما يدل على أن الصخرة نزلت على فم الغار نزولاً ، وهذا النزول جعلها تنطبق على فم الغار انطباقاً . مما يدل على الصورة التي انتهى إليها فم الجبل ، فالانطباق يعني انسداد الجبل من جميع جوانبه فهما على حذو واحد وقد ألزقا مع بعضهما فلم يعد هناك ثغرة لمرور شيء حتى الهواء .

فهذا التصوير الدقيق يدفع الإنسان إلى التحليق بخياله لرسم الحالة التي آل إليها الصحاب الثلاث بعد أن انطبق عليهم فم الغار انطباقاً .

وفي قصة " الأبرص والأقرع والأعمى "(٣) نجد الجملة الموجزة " تقطعت بي الحبال في سفري " هذه الجملة التي أدت المعنى وصورت الحال التي آل إليها هذا المسافر فقد تقطعت به الحبال في سفره فلم يعد هناك مجال لإكمال السفر .

---

(١) انظر نص قصة " أصحاب الغار الثلاثة " رقم (٦١) فى هذه الرسالة .

(٢) صحيح مسلم " ٥ : ٥٨٣ .

(٤) انظر نص قصة " الأبرص والأقرع والأعمى " رقم (٣١) فى هذه الرسالة .

فما أجمل هذا التعبير البليغ الجامع للأدوات التي يستخدمها المسافر في سفره فلا دابة، ولا مؤنة ولا زاد ولاملأ فكيف يكون السفر وحبال السفر قد تقطعت ؟

ولنتأمل هذا التعبير فمؤنة السفر شُبهت بالحبال العديدة، ولم يقل الحبل لأن ما يكنى عنه مجموعة أشياء متعددة فناسب المقام أن تكون الكناية بالحبال المتعددة، ولهذا اختار فعل القطع لأن القطع مناسب الحبل والحبل لا يمكن تعطيله إلا بالقطع .

أسلوب التشويق :-

إن المتأمل للقصص النبوي يلمح حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على تلوين هذا القصص بأسلوب التشويق الذي نلمحه في جميع أجزاء القصة من البداية إلى العرض حتى تنتهي إلى النهاية بحيث يبقى جزء منها يتطلع كل إنسان إلى معرفته ليحلق بفكره وخياله إلى هذا الجزء يتفكر فيه ويتدبر .

وأسلوب التشويق في البيان النبوي لا يتخذ صورة واحدة ، بل تتعدد فيه الأساليب وتتنوع من أسلوب يغلب فيه معنى التقرير المشوق الذي يجعل الإنسان ينتفض فجأة ويصغي لهذا الحدث الجلل ، إلى أسلوب يبدأ بالنفي ويعقبه الاستثناء إلى نوع من الإخبار المحدد بأمر معين .

أما عرض القصة فتتجلى فيه ملامح التشويق في أساليب الاستفهام التي تأتي على السنة الشخصيات في حوارها مع بعضها ، أو من بعض المواقف التي تقتضي بعض الأحكام التي تقررها أحداث القصة ، أو من خلال السياق الذي يتضمن وقوع الحدث

وقد تتركز عناصر التشويق في نهاية القصة حيث تنتهي القصة نهاية مفتوحة إثارة للخيال كي يخرج المتأمل أو المستمع، وقد نضج فكره وعمل عقله ليعطي هو نهاية يتخيلها بنفسه ويتدبرها بفكره .

ألوان التشويق في البدايات:-

زخرت بدايات القصة النبوية بألوان من أساليب التشويق فمنها ما يأخذ صورة الخبر المثير كقوله (صلى الله عليه وسلم) "دخلت امرأة النار في هرة"(١) فإن تعبيرات الدهشة والعجب ترسم على الوجوه ، والأفكار تضطرب لهذا الخبر الوجيز ، فقد حكم على المرأة بدخول النار ، تساؤلات كثيرة تضطرب في ذهن كل مستمع ، لِمَ دخلت النار ؟ وما الذنب الذي ارتكبته حتى استحقت هذا المصير المفجع ؟ ومَنْ هذه المرأة ؟

تساؤلات كثيرة كلها تتطلع لمعرفة الحقيقة وإدراك الأسباب التي أدت إلى هذه النهاية المروعة . كل هذه الأحاسيس والمشاعر أثارها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بتلك الجملة القصيرة " دخلت امرأة النار في هرة " (٢) .

وقد يرد التشويق في أسلوب النفي الذي يعقبه استثناء كقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " لم يكذب إبراهيم قط إلا ثلاث كذبات " (٣) فالأسماع تصغي لهذا النفي الذي يقرره الرسول (صلى الله عليه وسلم) والذي يأخذ صورة القطع ، ولكن هذا الاستثناء يجعل الأسماع تنتبه لتنظر إلى تلك الكذبات الثلاث التي صدرت من هذا النبي لتعرف أي لون من الكذب كان قد اقترفه إبراهيم عليه السلام ؟ وهل هو الكذب الذي يحدث ممن يستهويه الكذب ؟

كل هذه التساؤلات تثيرها تلك العبارة التي نطقت بذلك البيان .

وصورة أخرى من صور التشويق نجدها في ذلك الأسلوب الشائق الذي حكاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن يحيى بن زكريا " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ " (٤)

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٥٩١ .
(٢) صحيح مسلم ٥ : ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٥٩١ .
(٣) صحيح مسلم ٥ : ٢١٩ - ٢٢٠ .
(٤) سنن الترمذي ٥ : ١٤٨ - ١٤٩ .

هذا الاسلوب الخبري الذي وضع في هذا الإطار المشوق ، فالخبر قد حدد بحدود أطرافها خمس كلمات فعوامل التشويق تصدر هذا الأمر العظيم الذى أمر به يحيى بن زكريا من قبل الآمر الناهي ، فهذه وحدها كافية لأن تجعل الآذان ترهف السمع لتلقي هذه الأوامر ، وتخضع العقول لتستقي من وعاء الحكمة ، الذي يحتويه هذا اللسان البين ، والذي ينطلق ليعبر عن الوحي الذي أنزل إليه ، أما وأن تتحدد هذه الأوامر ، وتوضع في هذا القالب الذي تحدده الخمس كلمات فهذا أسلوب من أساليب التشويق ، فكأن الأمر وضع فى إطار من الحكمة حدود بخمسة جوانب .

ألوان التشويق فـي العـرض :-

وفي العرض يتجلى الجانب الأكبر من التشويق في القصة النبوية فالعرض يحتوى الحدث ، ومن الحدث نستنبط العبرة والموعظة .

فلذا كانت العناية بالعرض لها النصيب الأوفر من البيان النبوي ، الذي تنوعت أساليب التصوير فيه ـ فمن أسلوب الاستفهام المشوق لمعرفة الحقائق إلى التوجيه إلى استنتاج الأحكام التي يتطلبها الموقف لحل المشكلة المعروضة في القصة .

فمن أساليب الاستفهام التي تضمنت معانى التشويق ماجاء في قصة " خلق آدم " (1) حيث نجد ذلك الحوار الذي يتردد بين آدم وربه ونفس آدم تتشوق لمعرفه ذريته التي عرضت عليه ، فكانت تلك الأسئلة المتوالية (أي رب من هؤلاء ؟ أي رب من هذا ؟ رب كم جعلت عمره)(2) ومن خلال تلك الأسئلة كانت تلك الإجابة الشافية لتطلعات آدم وإشباع الرغبة لمعرفة أولئك الخلق الكثير الذين عرضوا أمام آدم عليه السلام ، ومعرفة الرجل الذي أعجب آدم عليه السلام به فجعله يسأل عن عمره ، ويهبه أعواماً من عمره . وفي "قصة تقسيم الغنائم لهذه الأمة" (3) تسير الأحداث طبيعية كما هي العادة عند كل نبيّ يقرر الغزو إلى أن تنتهي الغزوة بالانتصار وجمع الغنائم في صعيد واحد لتقبل النار على الغنائم لتطعمها .

---

(1) انظر نص القصه رقم (١٣) في هذه الرسالة .
(2) سنن الترمذي ٥ : ٢٦٢ .
(3) انظر نص القصه رقم (١١) في هذه الرسالة .

وهنا تقع المفاجأة التي يكشفها ذلك السؤال الذي يحتوى التقرير " فيكم الغلول ؟
فنحن الآن أمام قضية يجب حلها، ولا حل إلا في ذلك الذكاء الذي يحتوى قلب النبي، والذي يسارع إليه لحل هذه المعضلة فأمر الله نافذ والنار لابد أن تلتهم هذه الغنائم ، ولكن دون غش أو خداع ونحن نتأمل هذه القضية تمتلكنا الأشواق لمعرفة السلوك الذي سوف ينتهجه هذا النبي لمعرفة الغلول من القوم ، فكانت تلك الطريقة المجيبة التي انتهجها ، فالكل أوصله إلى الجزء إلى أن انتهى إلى معرفة المخادعين من القوم، والذين ظهر خداعهم بإخراجهم رأس بقرة من ذهب .

وهذه الطريقة نفسها نجده استعملها في سياق أحداث " قصة إبراهيم وابنه إسماعيل(١) فإرضاء فضولنا وأشواقنا لم يتم إلا بعد الإجابات عن تلك الأسئلة التي طرحها سيدنا إبراهيم على زوج إسماعيل فكانت إجابات تلك الأسئلة هي الحكم على بقاء الزوجة أو فراقها ، وكذلك الأمر عند سؤال إسماعيل عليه السلام زوجه عن الوصية التي تركها ذلك الشيخ الوقور .

وقد يأتي التشويق في التطلع إلى الحكم لحل قضية من القضايا التي يثور حولها النزاع بين الأطراف المتضاربة وفي مثل هذه المواقف تخالجنا نحن النظارة ألوان من الحيرة ، والتساؤل والشوق لمعرفة الحل الذي يمكن أن يعالج هذه المعضلة .

ومثال هذا الأسلوب ما نجده في قصة " العقار وجرة الذهب " (٢) . حيث يمتلكنا الشوق لمعرفة الحل الذي أهتدى إليه الحكم الذي احتكما إليه لفض النزاع ، وهذا التطلع يبدأ منذ سماعنا لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذه القصة : " فتحاكما إلى رجل .... الخ " (٣)

---

(١) انظر نص القصة رقم (١) في هذه الرسالة .
(٢) انظر نص القصة رقم (١٧) في هذه الرسالة .
(٣) صحيح مسلم ٤ : ٣١٥ - ٣١٦ .

وهذا الأسلوب يستخدمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حكايته لقصة " محاكمة سليمان وداود " (١) فالحيرة تحيط بنا والشوق يحتوينا لمعرفة الحكم الذي سيقضي به سيدنا سليمان عليه السلام في هذه القضية .

والأحداث المشوقة قد تأتي بعد حدوث عنصر من عناصر القصة يكون رد الفعل فيها غاية الشوق لدينا ، ونمثل لهذا اللون بما جاء في قصة " الكفل " (٢) فبعد أن علم الكفل الأسباب التي دعت إلى خوض المرأة هذه التجربة المريرة ، هزتنا تلك المفاجأة التي أثارت في أنفسنا الكثير من التطلعات لمصير هذا الإنسان الذي هزته الكلمة فغير مسلكه المهتان إلى مسلك آخر كان سببا في غفران الله تعالى .

وتمتلكنا أساليب التشويق في تلك الأحداث التي نراها في سلوك الخضر عليه السلام، والتي تنتهي بتلك العبارة " أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " (٣) فهذه العبارة تزيد تشوقنا لمعرفة الأسرار التي تختبئ وراء تلك التصرفات العجيبة .

وهذا اللون من التشويق نستشعره في قصة أصحاب الغار الثلاثة " (٤) فبعد كل حادثة يطالعنا ذلك الرجاء بانفراج الصخرة بقدر قليل " فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء " (٥) . وفي هذه اللحظة يعترينا القلق والشوق لمعرفة الحكم المنتظر بعد قص هذه التجربة ، والتي يعالجها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بتلك الجملة المعبرة " ففرج الله منها فرجة " (٦) .

---

(١) انظر نص القصة رقم (٨) فى هذه الرسالة .
(٢) انظر نص القصة رقم (٣٦) فى هذه الرسالة .
(٣) صحيح مسلم ٥ : ٢٣٥ .
(٤) انظر القصة رقم (١٩) فى هذه الرسالة .
(٥) صحيح مسلم ٥ : ٥٨٣ - ٥٨٦
(٦) نفس المرجع ٥ : ٥٨٣ - ٥٨٦

ومثل هذا المعنى نلتمسه في ذلك السياق الأخاذ في قصة " الملك والساحر والغلام(١) فبعد كل حدث يقع فيه الغلام يكون ذلك الدعا " اللهم اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ " (٢) . فتقع المفاجأة باستجابة الله سبحانه وتعالى للدعاء لينصر الغلام الذي آمن بربه .

ومثله في " قصة جريج العابد " (٣) . فالسياق ينتهي بنا إلى تلك المكيدة التي دبرتها المرأة الغويسة وأنتجت ثمرتها طفلاً نسبته إلى جريج ، وفي هذه اللحظة تعترينا مشاعر مختلفة من الاشفاق والحيرة، والتطلع إلى الحل الذي يكشف هذه الكذبة الطفقة ولا تنجلي من أنفسنا هذه المشاعر إلا بتلك الكرامة التي أكرم الله بها ذلك العابد العفيف .

وهذا الأمر نستشعره في قصة " الأبرص والأقرع والأعمى " (٤) . فبعد أن زالت العاهات عن الأبرص والأقرع والأعمى ، وآتاهم الله المال والنعمة كنا ننتظر متشوقين لمعرفة ماينتهي إليه كل واحد منهم بعد أن تغيرت أحوالهم ، فتكشف لنا القصة عن جحود بعضهم وشكر البعض الآخر لنعمة ربه .

وهذا ماحدث في قصة " صوت في سحابة " (٥) . فقد جعلنا السياق والأحداث التي توالت متشوقين إلى معرفة السلوك الذي سوف ينتهجه الرجل بعد أن علم أن الله سبحانه وتعالى أمر السحاب بأن يصب في حديقته ، وقد قام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بإجابة تساؤلنا وإخراجنا من حيرتنا بتلك الإجابة التي جاءت على لسان المُعطي " أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثًا " (٦) .

---

(١) انظر القصة رقم (٢٥) في هذه الرسالة .
(٢) صحيح مسلم ٥ : ٨٤٨ - ٨٥١٠ .
(٣) انظر القصة رقم (٢٤) في هذه الرسالة .
(٤) انظر نص القصة رقم (٣١) في هذه الرسالة .
(٥) انظر نص القصة رقم (٢٠) في هذه الرسالة .
(٦) صحيح مسلم ٥ : ٨٣٤ .

وكذلك الأمر في قصة " قاتل المائة نفس " (١) فسياق الأحداث وتواليها انتهى بنا إلى التفكير والتساؤل في أمر هذا الرجل الذي عقد العزم على سلوك التوبة ، ولكن الأجل لم يمهله ذلك فكيف سيكون حسابه ؟ وهل سيعاقب على ماقدمت يداه قبل التوبة ؟ أم ستشمله العناية الإلهية بعد ان عقد العزم على التوبة .

التشويق في النهايات :

وقد تنتهي القصة بنهايات مفتوحة يعمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى إنهائها على تلك الصورة ليترك مجالا لإثارة الفكر وتشويق النفس ، ومن أمثلة ذلك : ماجاء في قصة ، " الطفل الذي تكلم في المهد " (٢) فالقصة انتهت بقول الطفل " ذَاكَ الرَّجُلُ كَانَ جَبَّاراً " فقلت : اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ ، وَسَرَقَتْ وَلَمْ تَسْرِقْ . فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا " (٣) فالقصة كما ترى انتهت بأمنية لا ندري هل تحققت ؟ أم لم تتحقق ؟ .

وفي قصة " بائع الخمر والقرد " (٤) نجد أن القصة انتهت دون أن نعلم هل استفاد الرجل من هذا الدرس ؟ أم أنه بقي على غيه ؟ .

وهذا الأمر نلمسه في قصة " المرأة القصيرة " (٥) فالقصة لم توضح النهاية ، وترك أمر الحكم لخيال الانسان ، وفيها تعرض أسلوب من أساليب الغش والخداع ، فما الحكم الذي يمكن أن يطبق على تلك القضية ، ذلك أمر متروك للخيال والفكر .

وهذا الأمر نجده في قصة " المرأة والراهب " (٦) فقد أخبرنا سياق القصة عن حكاية هذا الرجل الذي فعل مافعل وهو تحت وطأة السكر، ولكن لا نعلم أمره بعد أن زال أثر السكر .

---

(١) انظر نص القصة رقم (٣٧) في هذه الرسالة .

(٢) انظر نص القصة رقم (٢٤) في هذه الرسالة .

(٣) صحيح مسلم ٥ : ٤١٤ .

(٤) انظر نص القصة رقم (٢٦) في هذه الرسالة .

( ) انظر نص القصة رقم (٤٤) في هذه الرسالة .

(٦) انظر نص القصة رقم (٤٠) في هذه الرسالة .

عنه . هل تاب إلى اللـــه ؟ أ استمر أ هذا الطريق الجديد بالقرب من المرأة القوية الوضيئة ؟ كانت هذه النهاية متروكة لخيال الإنسان يفكر ويتأمل فيها على ضـــوء نماذج السلوك .

الأسلوب المرســـل :ـ

ومما يتميز به أسلوب القصـــة النبوية أنه أسلوب مرسل ليس فيه سجـع ، ولا رعاية للفواصل في حين تجد الأحاديث النبوية الأخـــرى يأتي فيها مثل ذلك سواء كانت تلك الرعاية لأكثر الفواصـــل أو اقلهـــا . . . فمن الأول : قوله (صلى الله عليه وسلم) " اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْت ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْت ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْت ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْت ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْت ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْك ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْت ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْت " (١) .

ومن الثاني قوله (صلى الله عليه وسلم) في دعائه : " اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ مُثْنِينَ بِهَا وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا " (٢)

نجد أن هذا الدعاء يشتمل على كثير من الفواصـــل " هديت " عافيت " توليـــت أعطيت " قضيت وكذلك واليت ـــ تعاليت .

وفي الحديث الثاني نجـــد قوله : " قلوبنـــا ـ بيننا " وكذلك " أسماعنا وأبصارنـــا ـ وأزواجنـــا ـ وذرياتنـــا " .

ومن أمثلة السجع الكامل الملتزم في بعض فقرات الحديث الشريف في غير موضوع القصـــة ، قوله (صلى الله عليه وسلم) : " اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " . قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . قَالَ لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَـــرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ " (٣) .

---

(١) أخرجه أصحاب السنن والنقل من " تيسير الوصول إلى جامع الأصول " ٢ : ٢٢٢ .
(٢) أخرجه أبو داود والنقل من نفس المرجـــع ٢ : ٢٢٢ .
(٣) سنن الترمذي : باب ٢٤ (القيامة) ٤ : ٦٣٧ .
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١ : ٣٨٧ .

لكن ذلك مناسب لموضوع الحكمة والموعظة تمام المناسبة ، إذ يؤثر الإنسان الحكمة التي يسهل عليه حفظها واستحضار معانيها ، بما يربط بين جملها ، من مشابهة لفظية ومعنوية .

ولكننا نجد أن أسلوب القصة النبوية يخلو من رعاية الفواصل خلواً تاماً، ومغزى ذلك إلى الحاسة البيانية عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأن القصة تحوي مشاهد متغيرة لا يناسبها أسلوب السجع الذي يوحي بالرتابة أو الذي يهيء النفس لا يقاع واحد، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ركز على الناحية النفسية لذا اجتنب السجع عند القص ، وذلك لأن الأسلوب المسجوع لا يتلاءم مطلقاً مع ماتستهدفه القصة من إثارة للخيال أو تشويق ، ونقل المشاعر من حال إلى حال مثل الخوف والقلق والحب والعطاء والبذل والإيثار إلى غير ذلك من الأحوال النفسية المتغيرة ، وهذه تحتاج إلى الترسل في الأسلوب حتى لا يقيدها شيء .. ولا تعوق حركتها رعاية للفواصل .

واستخلاصاً مما سبق بيانه يمكننا أن نوجز خصائص أسلوب القصة النبوية فيما يلي :-

١ - خلو القصة النبوية من الجوانب التاريخية ، ومن التحديد الزماني والمكاني .

٢ - ندرة الاقتباس من القرآن .

٣ - خلو القصة النبوية من الترادف والتأكيد .

٤ - إيثار التصوير .

٥ - مراعاة الإيجاز .

١ - خلوها من الجوانب التاريخية ، ومن التحديد الزماني والمكاني .

ومعنى هذه الخصيصة أن القصة النبوية تنأى عن التفاصيل التاريخية للأحداث أو الترجمة للشخصية فغالبا تأتي القصة مركزة على الحدث الذي يستخلص منه العبرة والموعظة دون تحديد أسماء معينة أو أماكن معينة يمكن بها تأريخ الشخصية ، ومعرفة زمانها ومكانها

فالقصة النبوية لا تهدف إلى التعريف بالشخصيات أو التأريخ لها ، وإنما الهدف الأساسي منها الإعتبار بأخبار السابقين ، ولهذا يكثر في القصة النبوية ، ذكر المجاهيل الذين لا يعلم من تفاصيل حياتهم شيء ، كقوله (صلى الله عليه وسلم) " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا " (١) . وقوله : " إن ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل أَبْرَص وَأَقْرَع وَأَعْمَى بدا لله أن يبتليهم فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا " (٢) . وقوله " إنه كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلا قَبْلَكُمْ تعبد فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غوية فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا " (٣) . وقوله : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيق اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا " (٤) . وقوله : " بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ فَأَوَوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ " (٥) . وقوله : " اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عقارًا لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ " (٦) .

وقليلاً ما يذكر اسم الشخصية في القصة النبوية كقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " كَانَ الكِفْلُ مِنْ بَنِي اسْرَائِيل لا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عمله " (٧) . وقوله " كَانَ جُرَيْج رَجُلاً عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا " (٨) . وقوله " كُرْسُف رَجُلٌ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ بِسَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ البَحْرِ ثَلَثمائة عَام " (٩) .

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٦٠٩ - ٦١١ .
(٢) صحيح البخاري ٤ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .
(٣) سنن النسائي ٨ : ٣١٥ - ٣١٦ .
(٤) صحيح البخاري ٨ : ١١ .
(٥) صحيح مسلم ٥ : ٥٨٣ - ٥٨٦ .
(٦) صحيح مسلم ٤ : ٣١٥ - ٣١٦ .
(٧) سنن الترمذي ٤ : ٦٥٧ - ٦٥٨ .
(٨) صحيح مسلم ٥ : ٤١٤ - ٤١٦ .
(٩) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ١٦٤ .

ولكن الاسم هنا لا يفيد شيئاً في مجال التعريف ، ولا يصرف الاهتمام عن العبرة .

أما إذا كانت القصة متعلقة بشخصية معينة من الأنبياء ، وكان المقام يتطلب ذكر اسم النبي فإن القصة تذكر الاسم لأن الموقف متعلق به دون غيره من الأنبياء ، كقوله (صلى الله عليه وسلم) " لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدم مَسَحَ ظَهْرَهُ ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كل نسمةٍ، هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ " (١) . وقوله : " احتج آدمُ ومُوسَى . . . " (٢) . وقوله : " كَانَ لِسُلَيْمَانَ سَبْعُونَ امْرَأَةً فَقَالَ : لأَطُوفَنَّ عَلَيْهِنَّ الليلةَ فَتَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ " (٣) . وقوله : رَأَى عِيسَى بنُ مَرْيَمَ رَجُلاً يَسْرِقُ " (٤) . وقوله : " لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَطُّ إِلاَّ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ " (٥) وقوله : " أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فلما جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ " (٦) وقوله : " قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ " (٧) . وقوله : " بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ " (٨) . وقوله " كَانَ دَاودُ النَّبِيُّ فِيهِ غيرة شديدة وكَانَ إِذَا خَرَجَ أُغْلِقَتِ الأَبْوَابُ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ " (٩) .

وأحياناً تغفل القصة ذكر اسم النبي صاحب القصة ، حين يتعلق الأمر بعادة من العادات كان يتبعها الأنبياء السابقون ، كما في قوله : " غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ . . . " (١٠) .

---

(١) سنن الترمذي ٥ : ٢٦٧ - ٤٥٣ .
(٢) صحيح مسلم ٥ : ٥٠٧ - ٥٠٨ .
(٣) صحيح مسلم ٤ : ١٩٨ - ١٩٩ .
(٤) صحيح مسلم ٥ : ٢١٦ .
(٥) صحيح مسلم ٥ : ٢١٩ - ٢٢٠ .
(٦) صحيح مسلم ٥ : ٢٢٣ - ٢٢٤ .
(٧) صحيح مسلم ٥ : ٢٣٥ .
(٨) صحيح البخاري ١ : ٦٨ .
(٩) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٤١٩ .
(١٠) صحيح مسلم ٤ : ٣٤٥ .

أو يتضمن الخبر حدثاً عادياً قد يحدث لأي إنسان ، كقوله : (صلى الله عليه وسلم) " نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة " (١) .

من هنا نجد أن الغرض الديني والتربوي للقصة النبوية قد اقتضى توجيهها إلى درجة خاصة ، لتؤدي مهمتها في التربية والتوجيه وتبتعد عن مسار الحكاية التاريخية أو قصص التسلية والامتاع الذي يستهدف إشباع الخيال .

٢ - قلة الاقتباس .

حين نتأمل القصص النبوي نجد أنه يقل فيه الاقتباس من القرآن ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن القصة النبوية جاءت تفسيراً لجانب من جوانب القصة القرآنية فانفردت في أسلوبها بحيث لا نجد فيها عبارة يمكن أن تكون ترديداً لمعنى من معاني القرآن . إلا في قصة موسى والخضر .

٣ - خلوها من الترادف والتأكيد .

وهذه أيضاً خاصية تتميز بها القصة النبوية إذ لا نجد فيها مجالاً للترادف في المفردات أو في الجمل ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن أسلوب القصة لا يحتاج إلى التكرار بقدر ما يحتاج إلى استرسال الأسلوب استرسالاً يقتضيه توالي الأحداث والكشف عن الأحوال النفسية المتغيرة .

أما في الألوان الأخرى من البيان النبوي ، غير القصص فإننا نجد الترادف في المفردات والجمل لمزيد من الوضوح والتأكيد . كقوله (صلى الله عليه وسلم) " إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً الْمُوَطَّؤُونَ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ ... " (٢) .

---

(١) سنن ابن داود ٤ : ٣٩٧ .
(٢) انظر مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٢٦١ ، ٤ : ١٩٢ - ١٩٤ .
وانظر سنن الترمذي باب " البر " ٤ : ٣٧٠

فإن مجال الترغيب والرهيب يحوج إلى الإيضاح والتأكيد .. ولهذا جاءت الجمل " أَحَبُّكُمْ إلي ... وَأَقْرَبُكُمْ مِنِي .. وهما يتعلقان بمعنى واحد .. وكذلك : " أَبْغَضُكُمْ إلي وَأَبْعَدُكُمْ مِنِي " وقوله : " أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا .. الْمُوَطَّأُونَ أَكْنَافًا الذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ يحوي جملاً تتضافر على تصوير حسن الخلق ولين الجانب ، وشواهد هذا الترادف الموضح والمؤكد كثيرة في الحديث الشريف .

٣ - إيثار التصوير :

إن التصوير هو الأداة البارزة التي استخدمها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في إبراز المعاني في القصص النبوي .. فقد حرص على تصوير النماذج الإنسانية تصويراً دقيقاً ، يكشف عن الملامح والسمات والمشاعر والعواطف الإنسانية وقد شرحنا فيما سبق هذه الخصيصة من خصائص القصة النبوية (١) .

٤ - مراعاة الإيجاز :

إن الايجاز هو السمة المميزة للبيان النبوي عامة وهي كذلك خاصية من خصائص القصة النبوية حتى جاء بعض القصص النبوي في سطور معدودة ولكنها تفي بالغرض ، وتوجز العبرة في الحديث وتغني عن الشرح والاستفاضة في البيان وقد أوضحنا ملامح هذه الخصيصة فيما سلف (٢) .

---

(١) انظر ص (٧١) في هذا البحث .
(٢) انظر ص (١٦١) في هذا البحث .

أسلوب التصوير

زخرت القصة النبوية بألوان من الأساليب التصويرية كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، ولم تقف القصة النبوية عند حد الخبر والحكاية، بل صورت المواقف والمشاعر والشخصيات، تأثراً بالمنهج القرآني الذي ينال فيه التصوير الحظ الأوفر.(1)

وسنختار هنا بعض نماذج القصص النبوي لنتتبع فيه أساليب التصوير والإيحاء.

١ - في قصة موسى والخضر:(2)

تبدأ القصة بهذا الخبر الوجيز: "قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيل"(3)، ثم نسمع الحوار الذي دار بينه وبين قومه إذ سألوه: من أعلم الناس؟ فقال: أنا أعلم...

وهنا كان لا بد لموسى عليه السلام من درس يتلقاه لإدراك حقيقة علمه حتى لا يطلق الحكم بهذه الطريقة فأوحى الله إليه: "أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي أَعْلَمُ مِنْكَ"(4) وهنا يبدأ موسى في تدارك موقفه السابق وتتهيأ نفسه لطلب المعرفة، وهذا ما صوره الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله على لسان موسى عليه السلام: "أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟"(5).

ونرى في هذه القصة صورة الماء وقد أمسك عن الجريان فكان كالطاق واحتوى الحوت "

---

(1) يراجع التصوير الفني في القرآن للأستاذ سيد قطب ص ٣٢.

(2) انظر نص القصة رقم (٢) في هذه الرسالة.

(3) صحيح مسلم ٥: ٢٣١ - ٢٤١.

(4) صحيح مسلم ٥: ٢٣١ - ٢٤١.

(5) الطاق: عقد البناء وجمعه طيقان وأطواق، وهو الأزج وما عقد أعلاه من البناء وبقي ما تحته خالياً.

"وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جَرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ (١) فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا" (٢). وهو تصوير بديع عجيب، فهذا الماء الجاري يمسك من الجريان، ويتجمع ثم يعلو ويعلو حتى يصبح كالطاق لينطلق إليه الحوت، ويحتويه الماء العالي وهذا الأسلوب يتمثل فيه التشبيه الذي يقوم على مقارنة الشبيه/بالشبيه ومرة أخرى يصور عليه السلام موسى وفتاه، وهما يتتبعان آثارهما فيقتصان الأثر ليصلا إلى الصخرة التي فقدا عندها الحوت وهذا التصوير يأتي في جملة مقتبسة من القرآن "وَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٣)" ولكن لفظ الآية القرآنية: فارتدا" وتعني الرجوع إلى الوراء، وتتبع آثارهما إلى المكان الذي خرجا منه حتى كان لهم ذلك والتقيا بالخضر.

ومن جوانب التصوير البديع في هذه القصة ما يضرب به المثل في اظهار الحقيقة التي كان موسى عليه السلام بحاجة إلى إدراكها، وهي قدر علم الخضر، وذلك في قوله: "وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ" (٤) وهو تشبيه رائع واستفادة من الأحداث في التعليم والوعظ.

ومن ألوان البلاغة النبوية في هذه القصة إشارة عليه السلام للإيجاز فها هو الأمر السماوي يلقى على موسى عليه السلام في إيجاز بديع: "احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ" (٥)

وفي موقف آخر تجد موسى عليه السلام وقد أدرك أن صاحبه الخضر قد ضجر منه لعدم صبره معه فنجده يرجوه للمرة الأخيرة: "إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا" (٦) وهي جملة مقتبسة من القصة القرآنية في سورة الكهف.

---

(١)، (٢) الموجع السابق : ٥ : ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٣)، (٤) الموجع السابق : ٥ : ٢٣٤ - ٢٣٥

(٥) المرجع السابق : ٥ : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٦) صحيح مسلم ٥ : ٢٣١ - ٢٣٥ .

وبعد هذا الفيض من الأساليب المتنوعة فالقصة قد تميزت بلغة واضحة قوية مستحكمة في إحاطة واستيعاب ، بديعة الإشارة ،ناصعة البيان لا نرى فيها اضطراباً ولا خطلة ولا عجزاً ولا ضعفاً في وجه من الوجوه ففي موقف العتاب يقول الخضر " إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " (١) وفي موقف الاعتذار نجد هذا الأدب النبوي يتمثل في قول موسى عليه السلام "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا" (٢)

وموقف الاستنكار والتعجب يتمثل في قول موسى عليه السلام "قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا" (٣) ومرة أخرى يقول "أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً (٤) بِغَيْرِ نَفْسٍ ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا" (٥) ومرة ثالثة يقول : " قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ؟ (٦) .

وهكذا نلحظ في هذه القصة خاصة كثرة الاقتباس من القصة القرآنية التي جاء هذا الحديث تفسيراً لها ،مما يدلنا على العلاقة الوثيقة بين القصة القرآنية والقصة النبوية .

٢ - قصة أصحاب الغار الثلاثة : (٧)

في أسلوب ناصع البيان - متآلف الكلمات مترابط الأفكار يقص علينا الرسول (صلى الله عليه وسلم) قصة النفر الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار في يوم هطل فيه مطر غزير وتبدأ القصة بهذا الخبر الوجيز . "بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ" (٨) .

---

(١) ،(٢) ،(٣) صحيح مسلم ٥ : ٢٣١ - ٢٣٥ .

(٤) زاكية : طاهرة من الذنوب .

(٥) ،(٦) صحيح مسلم ٥ : ٢٣١ - ٢٣٥ .

(٧) انظر نص القصة رقم (١٦) في هذه الرسالة .

(٨) صحيح مسلم : ٥ : ٥٨٣ - ٥٨٦ .

ولكن القصة لا تعتمد الأسلوب الخبري وحده ففيها جوانب تصويرية بلغت الغاية في دقة التعبير وإصابة المعنى ، ففي تصويره عليه السلام لسقوط الصخرة على فم الغار وإغلاقها له تمام الإغلاق يقول : " فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ "[1]

واستخدام لفظ الانحطاط غاية في المناسبة للمعنى المراد لأن انحطاط الشيء على الشيء فيه قوة شديدة تغاير ما توحيه الألفاظ الأخرى كالسقوط أو التدحرج أو الاندفاع فالعرب تفسر الحط بالوضع ، وحط الحمل عن البعير معناه انزاله[2] فتصوير انحطاط الصخرة إلى فم الجبل يوحي بنزوله عليه نزولاً فيه شدة وقوة وقد صور عليه السلام الحال التي آل إليه فم الجبل بعد انحطاط الصخرة عليه بلفظ الانطباق يصور حالة فم الجبل بصورة فيها من الدقة وبراعة التصوير ما لا يمكن أن يصوره لنا لفظ آخر .

فالعرب تفسر الانطباق على الشيء " بمعنى تغطيته تغطية تامة فعندما نقول تطابق الشيئان فالمراد تساويا ، والمطابقة هي الموافقة ، والتطابق هو الاتفاق ، فقولنا طابقت بين الشيئين إذ جعلتهما على حذو واحد والزقتهما "[3]

ومن أمثال العرب " وافق شن طبقة " كناية عن موافقة كل منهما للآخر في التفكير وفي النظرة الواحدة للحياة .

وانطباق الصخرة على فوهة الغار بهذه الصورة التي صورها لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) تجعلنا نتصور حال هؤلاء الثلاثة وهم يرون باب المغارة يقفل بتلك الصورة التي يمكن أن تؤدي إلى اليأس والقنوط ، ولكن قوة الإيمان في قلوب النفر الثلاثة جعلتهم يطردون اليأس والقنوط فلا يأس من روح الله ، بل دفعهم هذا الإحساس الإيماني العميق إلى

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٥٨٠ - ٥٨٦ .

(٢) لسان العرب باب الطاء فصل الحاء .

(٣) نفس المرجع باب القاف فصل الطاء .

التكاتف واللجوء إلى الله سبحانه فهو الملاذ في كل ضائقة ،ومن هنا كان توجههم لله والتوسل إلى مرضاته بصالح أعمالهم .

وبأسلوب خبري يصور الرسول حال الابن البار وهو يوالي عطفه وبره على والديه بوصفهما بالشيخين الكبيرين ،والشيخ من بلغ سن الأربعين.ولكن وصفهما بأنهما كبيران يعني أنهما وصلا إلى مرحلة متقدمة من العمر ،ومازال هذا الابن في بره لهما حتى كان ذات يوم نأى به الشجر ...

وقد صور الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا البعد بتلك الكناية الرائعة (حتى نأى بي الشجر) (١) أي أبعده عن مكانه المعتاد إذ لم يجد هنالك مرعى في مكان بعد فكأن الشجر نأى به .

ودقة تصويره عليه السلام تتمثل لنا في أكثر من موقف في هذه القصة فها نحن نقف مبهورين بتصويره لحال أولئك الصبية الصغار وهم " يَتَضَاغَوْنَ " (٢) من ألم الجوع تحت قدمي أبيهم وهو لا يجد وسعاً في استكمال مابدأه من بر لوالديه فأراد أن يعبر عن صورة الانفعال الشديد من أثر الجوع ،ويصور أحاسيس الصبية الصغار فجمع ذلك كله لفظ "يتضاغون" ،كي يصور شدة

الإحساس بالجوع بالإضافة إلى أن اللفظ يحكي بجرسه حركة الأطفال في ألمهم من الجوع الذي يعانونه وقد كان بإمكانه أن يقول يبكون أو يصيحون ولكن البكاء والصياح لا يعطي المعنى المراد لأن التعبير بالبكاء قد يكون من أمر غير الجوع ، وكذلك الصياح .

ونلحظ أن هذا الفعل قد جاء في صورة المضارع الدال على الاستمرار ،والتي وافقت قوله " فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُم حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ " (٣)

ونستطيع أن نتصور من خلال هذا التصوير الدقيق ماكان يعانيه هذا الأب من آلام فنفسه موزعة بين عاطفتين : حبه لوالديه وبره لهما ورحمته بصغاره وخوفه عليهم . والصراع بين الصغار والكبار أيهم يعطي ؟ والصغار أيضا بالرغم من حالتهم تلك قدروا موقف أبيهم ... من هنا نجد أن الرجل وأطفاله اشتركوا جميعاً في هذا البر ، وكان هذا الأب يتحمل العبء الأكبر من المعاناة فإن قلبه كان يعاني من هذا البكاء رحمة بصغاره ، ولكنه آثر بر الوالدين واحتسب هذا الألم قربة عند الله سبحانه ...

وفي النموذج الثاني من أصحاب الغار يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) حب الفتى لفتاته أروع تصوير ففيه من الدقة في اللفظ والمعنى مايجعلنا نتصور أي لون من الحب هو،

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٥٨٣ - ٥٨٦
(٢) ، (٣) صحيح مسلم ٥ : ٥٨٣ - ٥٨٦

فهو قد أحبها ((كأشد ما يحب الرجال النساء (1))) وكيف يكون حب الرجال النساء ؟ هل هو تلك العاطفة التي تتميز بالعفة والشفافية كلا لم يكن حبه لها هذا الحب العفيف بل كان لونًا حسيًا فسره لنا بقوله ـ ((وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمَائَةِ دِينَارٍ فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ (2))) هنا يذكر الغاية التي أراد الفتى أن يصل إليها وهي غاية الجمع بعد التنقيب ، وذكر لفظ التنقيب دون غيره من الألفاظ يجعلنا نتصور المعاناة التي لقيها الفتى من عملية الجمع هذه فقدنقب تنقيبًا عن هذا المال ، والتنقيب على الشيء لايكون في سهولة ويسر بل بعد تعب ومشقة .

ثم يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) الموقف الحاسم بعد الانتظار الطويل ، وبعد جمع المال والتنقيب عليه ، وبعد التمنع والإباء .

وكلنا نرى هذه المرأة الصالحة وهي في حال ضعفها تناديه وتذكره بربه وبأنه عبد لاحول له ولا قوة قالت له :ـ((ياعبد الله (3))) بهذه الكلمة صورت مكانه أمام ربه ، وأنه ليس إلا عبدًا يخضع لقدرة إله واحد ، وقد حرصت على ندائه بهذه الصفة الموقظة لضميره ، وعدلت عن خطابه باسمه الذي يعرف به بين الناس ، ونادته بصفة العبودية ، وكل إنسان هو عبدالله قهرًا قبل أن يكون عبدًا اختيارًا .

وأتبعت نداءها بقول كان السبب الأعظم في تحول هذا الفتى عما كان يريد ليخضع لأمر آخر هو أعظم من مطلبه الذي أراد قالت ـ ((اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ (4))) فهي لم تكتف بذاك النداء المحرك لضميره ، بل أمرته باتقاء غضب الله عليه ونهته عن الاعتداء على حد من حدود الله ، وقد صور عليه السلام هذا الموقف بالأدب النبوي العالي فاختار أسلوب الكناية بدلا من التصريح .

---

(1) (2) صحيح مسلم ٥ ـ ٥٨٣ ـ ٥٨٦ .
(3) نفس المرجع ٥ ـ ٥٨٣ ـ ٥٨٦ .
(4) نفس المرجع ٥ ـ ٥٨٣ ـ ٥٨٦ .

هذه المعاني العميقة تمثلت أمام هذا الفتى وجعلته يتحول عن أمره الذى أراد حتى لا يكون أقل منها خوفاً من الله واتقاء لعذابه ، هي قد عرفت ربها فى وقت الشدة ، وهو لم يعرفه فى الرخاء " أفتكون هذه المغلوبة على أمرها أفضل منه ، وأعظم حظاً من المعرفة والإيمان ؟ .

ومن طرف خفي يوحي لنا هذا التصوير العجيب بمقدرة المرأة على توجيه الرجل إلى المعاني السامية وتحذيره من الوقوع فى شراك ومهاو لا تحسن عاقبتها فحسن تربية المرأة يؤدي إلى نتيجة عظيمة فى التوجيه والتأثير كما حدث في الموقف .

وفى هذه القصة أيضاً يصور عليه السلام موقف الأجير من صاحب المال حين طالبه بأجر يومه الذى ترك ، وكل أمله أن لا يكون صاحب المال قد نسيه ، فكانت المفاجأة المذهلة التى جعلت الأجير ينتفض عجباً ودهشة فهل يمكن أن يصدق ما يسمع/وهو الأجير الذى جاء مطالباً بأجر يوم .

ومن هنا أخذ الأجير يراجع صاحب العمل فى هذا الأمر العجيب فمرة يقول له ((اتَقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي)) (1) ومرة أخرى يقول ((اتَقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي)) (2) ولكنه أمام رجل مؤمن بالله فما يقدمه له حقيقة وليس خيالاً .

ومن طرف خفي نصل إلى تصور البيئة والمجتمع الذى عاش فيه هؤلاء النفر الأخيار ، ودليلنا فى ذلك هذا الأجير المسكين فها هو أمام موقف عجيب ولكن أول كلمة ينطق بها ((اتَقِ اللَّهَ)) (3) فهو بهذه الجملة المعبرة يصور إدراكه لمعاني التقوى والخشية من الله ثم يتبعها رجاءه :

---

(1) (2) (3) نفس المرجع ٥ – ٥٨٣ – ٥٨٦

((ولا تظلمني ولا تستهزئ بي)) فهو يرفض الظلم والإستهزاء به وهـــــذه معالم تدلنا على مدى ما كان عليه هؤلاء القوم من أصول السلوك الجيـــد المستند إلى الإيمان .

وهكذا كان تصويره عليه السلام لمواقف القصة ذات المعاني العظيمة فى هذا القالب الجميل . فالقصة محكمـــة الحلقات فلا فضول في لفظ من ألفاظها،وكل لفظ فيها جاء فى مكانه المناسب دون تزيد أو انتقاص ، كما استطاعـــت أن تصور ذلك المجتمع الخير من خلال النماذج الثلاث فكل واحد منهم يبدأ حديثه بقوله ((اللَّهُمَّ إِنِّي .....))(1) .

وعند انتهاء بيان كل موقف يتوجه صاحب الموقف إلى ربه ليسأله أن يفـــرج كربته بقوله ((فَإِن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرِجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً))(2)

فمن هذه المعاني التي كانت تتردد على ألسنة أصحابها نستطيع أن نتصـــور عمق النزعة الدينية العميقة في هؤلاء النفـــر .

٣ – قصة براءة موســـــى(3) .

الأسلوب في هذه القصة يتردد بين الروايـــة والحوار ، فقد ذهب موسى عليـــه السلام مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه ، وهنا يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما أصاب موسى عليه السلام من فزع حينئذ ، فقـد هب من فوره يطارد هذا الحجر الذى أخذ بثيابه مستخدماً لفظ الجمـــــوح ، والمعروف أن هذا اللفظ يستخدم عند الهياج والغضب،وعدم القدرة علـــــى السيطرة على النفس ، وهذا ما حدث لموسى كما قال رسول الله ((فجمـــــح موسى بأثره))(4) منطلقاً وراء هذا الحجر الذى أخذ بثيابه منادياً بتلـــك الجملة المعبرة التي تصور مدى اضطرابه وفزعه فقال((ثوبي حجر... ثوبـــي حجـــــر))(5)

---

(1) (2) المرجع السابق ٥ – ٥٨٣ – ٥٨٦ .
(3) انظر نص القصة رقم – ٣ – في هذه الرسالة .
(4) (5) صحيح مسلم ٥ – ٢٢١ .

والمراد نداء الحجر أي ثوبي ياحجر وهو فى حاله تلك خرج عارياً يطـارد الحجر منادياً إياه ، فنظرت بنو إسرائيل إلى جسده ، وهنا تحقـق بنو إسرائيل من سلامته فقالوا ((والله ما بموسى من بأس)) (1) .

ومرة أخرى نرى فى هذه القصة ملامح انفعال موسى عليه السلام بما حدث له حيث طفق يضرب بالحجر كأن الحجر كان سبباً لما أصابه من حرج .
حتى قال أبو هريرة ((واللَّهِ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ضَرْبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحَجَرِ)) (2) .

٤ - قصة تحليل الغنائم لهذه الأمـة (3) :

تطالعنا هذه القصة بألوان من الصور البيانية يستهلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأسلوب الحكاية الذى يقص علينا أحداثها ((غَزَا نَبِيٌّ من الأنبياء)) (4) ونلحظ هنا أن اسم النبي لم يذكر ولا القوم ، ولعل ذلك يعود إلى عدم تعلق الغرض بذكر هذا الاسم ، فالمراد بيان الوصايا التى كان كل نبي من الأنبياء فى الأمم السابقة يوصـي بها قومه فقد كانت وصاياهم واحدة فى طريقة الغزو ، وفي اختيار رجال للغزو ، وفي النهاية التـي ينتهون إليها بعد الغزو فإن كان نصيبهم الشهادة فقد نالوا حسن الآخـرة، وإن كان نصيبهم النصر فعليهم جمع الأموال فى صعيد واحد ، وتقديم هـذا المغنم لنار تأتي من السماء لتأكل هذه المغانم حلالاً في ذلك الزمن .
والمتأمل فى أسلوب القصة يرى فيها ألواناً من الأساليب البيانيـة فلنتأمل هذه الجملة ((لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمْ يَبْنِ)) (5) فهى كناية عَنْ عَقْدِ الزواج الذى به تحـل المرأة لزوجهـا .

---

(1) صحيـح مسلـم ٥ - ٢٢١ .
(2) صحيـح مسلـم ٥ - ٢٢١ .
(3) انظر نص القصة رقم (11) فى هذه الرسالة .
(4) صحيـح مسلم ٤ - ٣٤٥ .
(5) المرجع السابق ٤ - ٣٤٥ .

وأيضاً قوله ((وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَاناً وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا)) (1) وقوله ((وَلَا آخَرُ قَدْ اشْتَرَى غَنَماً أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ مُنْتَظِرٌ أَوْلَادَهَا)) (2) فاختيار السقف في البناء ، والولادة في الغنم هما أهم جزء في كل منهما ، فلا يصلح بناء دون سقف لأنه لو كان كذلك لتعطلت الفائدة فلا يرد رياحاً ، ولا يقي حرارة ، وبذلك لايحتمي به ساكنوه ، فيظل المجاهد في سبيل الله مشغول البال على أهله فلا يستطيع أن يعطي الجهد المطلوب منه في الغزو ، وبذلك يكون وجوده ضرراً لمن معه فمثله مثل من جاء للحرب جسداً بلا روح ، وكذلك الأمر عند صاحب الغنم الذي ينتظر ولادة غنمه فسوف يكون مشغول الفكر بغنمه فمن سيرعاها من بعده ؟ وقد تتعسر ولادتها ؟ وقد يؤدي تعسرها إلى موتها وموت وليدها كل هذه الأفكار قد تبعد المجاهد في سبيل الله عن الهدف الذي جاء من أجله ، وخصوصاً أن هذا الهدف لا يخرج منه بمغنم دنيوي يعوضه عن الخسارة فيما تركه قبل المضي في الغزو ، لأن المغانم لم تحل بهم .

وتصور لنا القصة بعض المعجزات التي أيد الله سبحانه بها أنبياءه ، حيث نجد أن هذا النبي الذي لم يسم في القصة يطلب من الله أن يحبس الشمس ليصلي صلاة العصر فهي الصلاة الوسطى فيدعو الله كي يفتح عليه فيحبس الله الشمس استجابة لهذا النبي حتى يفتح الله عليه .

ويصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) السنة التي كانت تجري في الأمم السابقة بعد النصر، حيث كانت المغانم تؤخذ وتوضع في صعيد واحد لتقبل نار من السماء لتأكل هذا المغنم ((فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه)) (3) ولنتأمل هذه الجملة التصويرية الرائعة فكأنه يصور لنا النار شخصاً مقبلاً ليأكل المغنم فإذا به فجأة يأبى أن يطعمه، وكأن في الأمر شيئاً غريباً وهي استعارة مكنية ، إذ شبهت النار بإنسان أو وحش ، ثم حذف المشبه به وأسند إلى المشبه بعض لوازمه ، وهي الإقبال والأكل والإباء ، وكل هذه الصفات لا يمتلكها إلا الإنسان أو الحيوان الذي يهتدي بغريزته إلى ما يريد . ولو أن الجملة النبوية قد خلت من هذه الصورة لما رأينا فيها هذه الحياة ،

---

(1) (2) (3) المرجع السابق ٤ - ٣٤٥ .

فلو قال ((فجاءت النار لتحرقه فلم تفعل)) أو نحو ذلك لما استفدنا هذه المعاني التي تفيدها الاستعارة .

وتتبع أحداث القصة يكشف لنا مبلغ ذكاء هذا النبي الذى أدرك بحاسته الإيمانية أن امتناع النار عن أكل المغنم لا بد أن يكون راجعاً إلى خطيئة أصابها بعض الجنود ، فكان ذلك الامتحان الذي استطاع به أن يعرف الغلول ، وهم زمرة من المخادعين اتفقوا أن يأخذوا لأنفسهم شيئاً من هذه المغانم ، فلما قررهم أخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب فوضعوه في المال بالصعيد فأقبلت النار فأكلته .

٥ - قصة الكفل - (١)

إن القصة فى حقيقتها تتبع أثر حادث وقع في زمن سابق ... فلا بد أن يستخدم فيها أسلوب الحكاية ، ولهذا نجد القصص النبوي غالباً مبتدأ بكان التامة التي تعني وقوع الحدث في الزمن الماضي كقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) ((كَانَ الكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ)) (٢)

وهناك جوانب تصويرية تتمثل في تصوير المرأة،وقد أدت بها حاجتها إلى هذا الموقف المشين ، فقد كانت وجلة خائفة حتى بدت وكأن زلزالاً يهتز تحتها مما جعلها ترتعد خوفاً وهلعاً من هذه الهاوية التي شعرت أن حاجتها أقحمتها فيها .

إذ قال لها ((مَا يُبْكِيكِ ؟ أَ أَكْرَهْتُكِ ؟ قَالَتْ : لَا ، وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطّ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الحَاجَة)) (٣)

وقد بدا الكفل في هذه القصة رجلاً رقيق المشاعر ذا إرادة قوية ، فحين رأى صاحبته ترتعد وتبكي رق قلبه لحالها كما يتضح في قوله : ((مَا يُبْكِيكِ أَ أَكْرَهْتُكِ)) (٤) ثم في قوله : ((تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ)) (٥) وفي هذا توبيخ لنفسه ، ونستشف رحمته وكرمه في قوله ((اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ)) (٦) أما قوة إرادته ففي قوله : ((لَا وَاللَّهِ لَا أَعْصِي اللَّهَ بَعْدَهَا أَبَداً)) (٧)

وهذا التصوير البديع لهذه الشخصية يثير فى أنفسنا معاني الإنسانية والرحمة والطمأنينة ، والأمل فى رحمة الله وغفرانه لما قد تكسبه أيدينا من معاص وآثام ، فرحمة الله أعظم مما يتصوره الإنسان .

---

(١) انظر نص القصة رقم (٢٦) فى هذه الرسالة .

(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) سنن الترمذي ٤ : ٦٥٧ - ٦٥٨ .

كما أن التصوير المحكم أعطى لنا أبعاداً نفسية عميقة لكل شخصية فكـــان في تصويره لأعمق الأحاسيس قمـة في الإبداع التصويري،لارتعاد المــــــــرأة وبكاءها كان له تأثير عميق في نفس الـمكفل الذي اهتز كيانه لهـــــــذا الموقف العظيم . . .

فانطلقت روحه تطلب التوبة والندم على ما اقترفت يداه،وتخليه عن المادة التي جعلته يشعر بأنه يمكن أن يمتلك أي شئ،وينتهي موقفه بالتصميـــــم الجازم على ألا يتعدى حدود الله ، فنــال بذلك مغفرة اللــــــــه .

الألوان البلاغية في القصة النبوية :

أشرنا فيما سلف إلى عناية القصة النبوية بالتصوير ، وابتعادها غالباً عن التقرير والتجريد تأسياً بنهج القصة القرآنية المعبر عن المواقف المصور لملامح الشخصيات وسماتها الدقيقة .

والتصوير أوسع مدى من أن ينحصر في وجوه بلاغية بعينها، ولكن لابد لنا من تتبع الألوان البلاغية في القصص النبوي لنرى حظ كل منها فيما جمعناه من شواهد لهذا القصص، ولا نستطيع في هذا البحث أن نحصي كل الشواهد البلاغية في القصص النبوي ، ولكننا نشير إلى نماذج منها .

١ — التشبيه :

أما التشبيه فإن شواهده في القصص النبوي قليلة كقوله في قصص إسماعيل وبناء البيت : " وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعاً كَالرَّابِيَةِ " (١)

وقوله : " فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ . . " (٢)

وقوله في قصة " الرجل والكلب " : " لَقَدْ بَلَغَ هٰذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي " (٣) .

ومن ألوان التشبيه التمثيلي في القصص النبوي ما جاء في قصة " يحيى والكلمات الخمس " (٤) . كقوله : " أَنْ تَعْبُدُوا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً فَإِنَّ مِثْلَ ذٰلِكَ مِثْلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْداً مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ " (٥) .

وقوله : " وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ " (٦)

---

(١) صحيح البخاري " كتاب بدء الخلق " ٤ : ١٧٣ - ١٧٥ .
(٢) المرجع السابق . ٤ : ١٧٣ - ١٧٥ .
(٣) صحيح البخاري ٨ : ١١ .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤ ١٣٠ - ٢٠٢
(٥) المرجع السابق . ٤ : ١٣٠ - ٢٠٢ .
(٦) المرجع السابق . ٤ : ١٣٠ - ٢٠٢ .

وقولــه : " وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ وَقَدَّمُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ فَقَالَ : هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ "(١).

وقولــه : " وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ "(٢).

ولعل تعليل هذا من الوجهة الأدبية أن أسلوب القصة أسلوب خبري ، يتجه إلى الحكاية وتتبع الحدث أكثر مما يتجه إلى المقارنة والمماثلة بين الصور وهذه الظاهرة تتضح فيما جمعته من القصص النبوي الذي يصدق عليه هذا الاسم ، وإن كان غيري من الباحثين قد ساق أمثلة للتشبيه في القصة النبوية ، من أحاديث لا تندرج تحت مفهوم القصة ، الذي سبق أن أوضحته في مطلع هذا البحث "(٣).

فمن ذلك ما ذكره صاحب كتاب القصص في الحديث النبوي (٤) ، فقد استشهد بقوله (صلى الله عليه وسلم) في وصف المؤمنين الذين يدخلون النار جزاء خطاياهم ثم يخرجون منها بسبب إيمانهم : " فيدخلون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في غثاء السيل "(٥).

ويقول أيضا : " فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ "(٦).

وقولــه : " فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ "(٧).

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٣٠-٢٠٢ .
(٢) المرجع السابق . ٤ : ١٣٠-٢٠٢ .
(٣) يراجع ص ٦٨ من هذا البحث .
(٤) " القصص في الحديث النبوي " لمحمد حسن الزير ص ١٤٣ .
(٥) سنن الدارمي ١ ٣١ - ٣٢ ، والمسند ٣ : ١٤٤ .
(٦) (٧) المرجع السابق . ١ : ٣١-٣٢ .

وكذلك يستشهد بقوله (صلى الله عليه وسلم) في وصف جهنم : "ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ"(1) .

وكل هذه الشواهد ، حسب القاعدة التي ارتضيتها في تعريف القصة ، لا تندرج تحت هذا الجنس الأدبي المتميز .. بل هي من أحاديث الجنة والنار التي هي من السمعيات ، وليست قصصاً وقعت في الماضي ، ولا هي مذكورة على وجه الاعتبار ....

وأورد هذا الباحث أيضاً من نماذج التشبيه في القصة النبوية الحديث الشريف : "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْمُدْهِنِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ... " الحديث

ونحن نوافقه في اشتمال هذا الحديث على تشبيه تمثيلي بديع .. ولكن هذا الحديث في رأيي لا يتصل بموضوع القصة بسبب ، بل هو مثل مفترض الحدوث .. وليس حادثة تروى على سبيل الإخبار بها ... ثم قال الباحث الفاضل : "والتشبيهات كثيرة في القصة النبوية لو رحنا نعرضها لطال بنا المقام ، ويكفي هنا النموذج والمثال"(2) .

وقد حرصت على ذكر كل الشواهد التي ساقها الباحث على أنها نماذج للتشبيه في القصص النبوي وليست من هذا القصص في شيء ، كما أوضحت ، وقد كان عليه ما دام يرى "أن التشبيهات كثيرة في القصة النبوية" أن يورد لنا غير هذه الشواهد التي أوردها ، شيئاً من التشبيهات الكثيرة في هذا القصص .. لكنه اكتفى بأن أشار في هامش الصفحة تذييلاً لكلامه إلى تشبيهين اثنين : تشبيه الموت وقد جيء به يوم القيامة بالكبش الأملح .. وتشبيه الذي يدور في النار بأنه يدور كما يدور الحمار برحاه !

وهذان الحديثان أيضاً من أخبار اليوم الآخر التي لا يمكن اعتبارها من جنس القصة

---

(1) سنن الدارمي 2 : 31-32 ، والمسند 3 : 144 .
(2) "القصص في الحديث النبوي" ص 144 .

وهكذا أدى الخطأ الذي قام عليه بحث هذا الباحث في تعيين المراد بالقصة النبوية إلى أخطاء عديدة في دراسته الأدبية والبيانية لهذا القصص .

وإذن فإن ما سبق أن قررته من ندرة التشبيهات في القصص النبوي هو الحكم الذي يطمئن إليه الباحث وينتهي إليه بعد تأمل الألوان البلاغية في القصص النبوي .

أما التشبيه في الحديث النبوي ، في غير جنس القصة ، فهو كثير حقاً متعدد الصور دقيق المناسبة . . لكني أقصر مجال بحثي على ما يصدق عليه اسم القصة بمفهومها اللغوي والأدبي الصحيح . . .

٢ – الاستعارة

وكذلك نجد في القصص النبوي نماذج للاستعارة لكنها قليلة أيضاً ، ومرد ذلك إلى أن الاستعارة في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه ، فما قلناه في علة ندرة التشبيه في القصة النبوية يقال هنا أيضا فمن الاستعارة التصريحية قوله (صلى الله عليه وسلم) في قصة سارة والجبار : « إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ »(١) وقوله في قصة الساحر والغلام : « ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ »(٢) . فقد شبه وسط القوس بالكبد بالنسبة للإنسان . . .

وقوله : « فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ »(٣) .

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٢١٩ – ٢٢٠ .
(٢) صحيح مسلم ٥ : ٨٤٨ – ٨٥١ .
(٣) المرجع السابق ٥ : ٨٤٨–٨٥١ .

الكنايـــة :

وفي القصص النبوي شـواهد للكناية ، من الموصوف والصفة ، والنسبـة : وهـي اتصاف الموصوف بالصفة كقولـه في قصة داود وملك الموت[1] : " أَنَا الَّذِي لَا أَهَـابُ الْمُلُوكَ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي شَيْءٌ[2] " فهي كناية عن موصوف وهو ملك المـوت . .
وقولـه في قصة سارة والجبار[3] : " لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُـونَ إِلَّا لَكَ[4] " كنايـة عن اتصافها بالجمال وقولـه في قصة جريج[5] : " اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُـرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ[6] " كناية عن اتهامـه بالزنـا . . .
وقولـه في قصة سـارة والجبـار[7] : " كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ[8] " كناية عن نجاتها منه ودفـع أذاه عنهـا .

وقولـه في قصة سارة والجبـار[9] : " فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا[10] " كناية عَنْ شِدَّةِ إِعْجَابِهِ بِهَا وَبَرَاعَـةِ جَمَالِهَـا .

المجـاز المرسـل والمجاز العقلي .

ونرى في القصص النبوي كثيرًا من أساليب المجاز المرسـل ، كاليد في قولـه : " كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ[11] " فقد عبر بالجزء وأراد الكل . . . فهي مجاز مرسل علاقتـه الجزئيـة . وكالكبـد في قصة الكلب اللاهث[12] في قولـه : " فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْـرٌ[13] " والعلاقة هنـا الجزئيـة أيضـا .
وقولـه في قصة أصحاب الغـار[14] : " حَتَّى نَأَى بِيَ الشَّجَرُ[15] " مجاز عقلي حيث أسـند النأي إلى الشجر والأصـل أن يقـال : نأى بي طلب الشجر للمرعـى .

٥ — أسـاليب الاسـتفهام

ونلحظ في القصص النبوي ورود كثير من أساليب الاستفهـام بألوانه المختلفة وهو أمر لـه أثره في التشـويق وإثارة الانتباه ، وفي تصوير مواقـف الحـوار .

---

(١) انظر نص القصة رقم (١٢) في هذه الرسالة .
(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٤١٩ .
(٣) انظر نص القصة رقم (١٤) في هذه الرسالة .
(٤) صحيح مسلم ٥ : ٢١٩ — ٢٢٠ .
(٥) انظر نص القصة رقم (٢٤) في هذه الرسالة .
(٦) صحيح مسلم ٥ : ٤١٤ — ٤١٦ .
(٧) انظر نص القصة رقم (١٤) في هذه الرسالة .
(٨) صحيح مسلم ٥ : ٢١٩ — ٢٢٠ .
(٩) انظر نص القصة رقم (١٤) في هذه الرسالة .
(١٠) صحيح مسلم ٥ : ٢١٩ — ٢٢٠ .
(١١) نفس المرجع ٥ : ٢١٩ — ٢٢٠ .
(١٢) انظر نص القصة رقم (٣٣) في هذه الرسالة .
(١٣) صحيح البخاري ٨ ١١ .
(١٤) انظر نص القصة رقم (١٩) في هذه الرسالة .
(١٥) صحيح مسلم ٥ — ٥٨٣ — ٥٨٦ .

١ — ففي قصة (خلق آدم) [1] قال آدم عليه السلام " أيْ رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ . . أيْ رَبِّ مَنْ هَذَا ؟ . . . رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمُرَهُ ؟ [2]
هذا الاستفهام الغاية منه طلب العلم ومعرفة الأمور الجديدة بغية الإحاطة وإثبات الوجود فهو استفهام حقيقي .

٢ — في قصة (موسى وملك الموت) [3] " قال : رَبِّ ثُمَّ مَهْ ؟ [4] " استفهام الغاية منه الاستفسار .

٣ — في قصة (موسى والخضر) [5] " وأنّى بأرضك السَّلَامُ ؟ [6] " استفهام فيه التعجب من سماع كلمة السلام إذ كان الخضر يعيش في مكان لا يعرف فيه مثل هذه التحية ، والاستفهام هنا غير حقيقي .

وكذلك قال له موسى عليه السلام هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ؟ [7] " استفهام الغاية منه المعرفة والعلم .

وقوله " أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ (٨) " استفهام إنكاري .

وكذلك " فَقَالَ مُوسَى : أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ؟ . لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ [9] " الاستفهام هنا إنكاري .

---

(١) انظر نص القصة رقم -١٣- في هذه الرسالة .

(٢) سنن الترمذي ٥ : ٢٦٧ .

(٣) انظر نص القصة رقم (٦) في هذه الرسالة .

(٤) صحيح مسلم ٥ : ٢٢٣ — ٢٢٤

(٥) انظر نص القصة رقم (٢) في هذه الرسالة .

(٦) صحيح البخاري ٦ : ١١٠ — ١١١ — ١١٢ .

(٧) (٨) (٩) صحيح مسلم ٥ : ٢٢١ — ٢٤١ .

٤ — وفي قصة (الرجل الذي كان ينظر المعسر) (١) قوله " فَقَالُوا أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئاً ؟ (٢)" .

٥ — وفي قصة (الرجل الذي طلب أن يحرق) (٣) قوله " لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ (٤) .

٦ — وفي قصة " القاتل مائة نفس (٥) " وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ (٦) " .

٧ — وفي قصة (الأبرص والأقرع والأعمى) (٧)" . أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ . . . أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ " (٨) .

٨ — وفي قصة الرجل والكلب اللاهث " (٩) . قوله " قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرٌ ؟ (١٠)" .

٩ — وفي قصة (الرجل الذي تكلم الكلمة أوبقت دنياه وآخرته (١١)" قوله " أَكُنْتَ بِي عَالِماً ، أَكُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي خَازِناً ؟ " (١٢) استفهام استنكاري .

---

(١) انظر نص القصة رقم (٣٢) فى هذه الرسالة

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٦٩ .

(٣) انظر نص القصة رقم (٣٥) فى هذه الرسالة .

(٤) صحيح مسلم ٥ : ٥٩٨ — ٥٩٩ .

(٥) انظر نص القصة رقم (٣٧) فى هذه الرسالة .

(٦) صحيح مسلم ٥ : ٦٠٩ — ٦١١

(٧) انظر نص القصة رقم (٣١) فى هذه الرسالة .

(٨) صحيح البخارى ٤ : ٢٠٨ — ٢٠٩

(٩) انظر نص القصة رقم (٣٣) فى هذه الرسالة .

(١٠) صحيح البخارى ٨ : ١١

(١١) انظر نص القصة رقم (٢٨) فى هذه الرسالة .

(١٢) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٣٢٣ .

١٠ — وفي (قصة الكفل)[1] " قوله : " ما يبكيك ؟ أأكرهتك ؟ [2] " .
١١ — وفي قصة (العقار وجرة الذهب) [3] " قوله : " ألكما ولد " [4]
١٢ — وفي قصة " (صوت في سحابة)[5] " قوله : " يا عبد الله ما اسمك ؟ " [6]

وقد عني بعض العلماء قديماً وحديثاً بتتبع الألوان البلاغية في الحديث الشريف جملة ، ففي القديم ألف الشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٦ كتاباً سماه " المجازات النبوية " اشتمل كما جاء في مقدمته على بيان ما في الآثار الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " من الاستعارات البديعية ولمع البيان الغريبة وأسرار اللغة اللطيفة"[7] وقد خلط الشريف الرضي في هذا الكتاب بين ألوان البلاغة فأحيانا يطلق المجاز على التشبيه ويجعل التشبيه البليغ استعارة ، ويجعل المجاز العقلي استعارة فقد جعل قوله (صلى الله عليه وسلم) " كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ "[8] . مجازاً والصحيح أنه كناية كما جعل قوله (صلى الله عليه وسلم) " كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ "[9] .
من قبيل الاستعارة العجيبة والصحيح أن فيها تشبيهاً بليغاً .
وغير ذلك من الأحكام البلاغية التي تدل على أن الشريف الرضي لم يكن يضع حدوداً فاصلة بين الوجوه البلاغية ، والذي يعنينا في هذا الكتاب أن موضوع القصة النبوية لم ينل فيه حظاً من العناية فلم أعثر فيه على شاهد من شواهد القصص النبوي إلا خبراً من أخبار بني إسرائيل حين نهاهم علماؤهم عن المعاصي فلم ينتهوا فضرب الله قلوب

(١) انظر نص القصة رقم (٣٦) في هذه الرسالة .
(٢) سنن الترمذي ٤ : ٦٥٧ — ٦٥٨ .
(٣) انظر نص القصة رقم (١٧) في هذه الرسالة .
(٤) صحيح مسلم ٤ : ٢١٥ — ٢١٦ .
(٥) انظر نص القصة رقم (٢٠) في هذه الرسالة .
(٦) صحيح مسلم ٥ : ٨٣٤ .
(٧) " المجازات النبوية " للشريف الرضي ص ٩ .
(٨) (٩) المرجع السابق ، ١٠٨ .

بعضهم ببعض قال : الشريف الرضي تعليقا على هذا الحديث " فَضَرَبَ اللّٰهُ قُلُوبَ بَعْضِهِم بِبَعْضٍ كَأَنَّهُ تَعَالَى خَلَطَهَا بِأَنْ شَهِدَ عَلَى جَمِيعِهَا بِالضَّلَالِ وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ قُلُوبِ العُلَمَاءِ وَالجُهَّالِ إِذْ كَانَ الضَّلَالُ شَامِلاً لَهُمْ وَالغِوَايَةُ ضَارِبَةً سِيَاجَهَا عَلَيْهِمْ " (١) .
وفي هذا الحديث استعارة تبعية حيث شبه خلط القلوب بعضها ببعض وعدم التميز بينها بضربها بعضها ببعض بجامع الاختلاط في كل لأن ضرب الشيء بالشيء يصله به ويخلطه واشتق من الضرب بمعنى الخلط ضرب بمعنى خلط على طريق الاستعارة التبعية .
ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا الكتاب أن الأحاديث التي ذكرت فيه ليست كلها من نوع الصحيح بل أن فيها الضعيف والموضوع ومالم يذكر في كتب السنة المعتمدة . ومن هنا فإن الحاجة ماسة إلى تخريج أحاديث هذا الكتاب وتمييز الصحيح منها عن غيره حتى لا يبنى الحكم البلاغي على نص غير صحيح .
وفي العصر الحديث ألف الدكتور عز الدين على السيد كتابا اسماه " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية . . عني فيه بدراسة فنون البلاغة في الحديث الشريف، وختمه بتأمل نماذج من القصص النبوي ، وقد بينت ملاحظاتي على منهجه في دراسة القصة النبوية في الفصل الخاص بدراسات المعاصرين للقصة النبوية " (٢) .
ولكني أشير هنا إلى أن المؤلف لم يعني بتتبع الوجوه البلاغية في النصوص التي أوردها من القصص النبوي وعددها خمسة نصوص ، واكتفى بالدراسة الأدبية وإبراز جوانب التصوير في هذا القصص ، وكنت أرجو أن يعنى بتأمل الألوان البلاغية في القصص النبوي مادام قد جرى على هذا النهج في بقية كتابه عند تتبعه للألوان البلاغية في الحديث الشريف .
وبهذا يتبين أن الحاجة ماسة إلى النظر البلاغي المفصل للنصوص القصصية إلى جانب الدراسة الأدبية لهذه النصوص .
وحسبي أنني قد أشرت إلى بعض هذه الألوان حسب اجتهادي دون أن أجد مرجعا قديما أو حديثا في هذا الموضوع .

---

(١) المجازات النبوية ص ٣٦٠ .
(٢) انظر ص : ٢٥٩ من هذا البحث .

العلاقة بين القصة النبوية والقصة القرآنية

إن تأثر القصة النبوية بالقصة القرآنية، حقيقة لا شك فيها، وقد ظهر هذا التأثر في المنهج الذي اتخذه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في عرض القصص النبوي، ولا يقتصر هذا التأثر على كيفية التناول فقط بل تعدى ذلك إلى الموضوعات التي تطرق إليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليظهر ألوان القصة النبوية التي تنوّعت حسب النماذج الإنسانية فيها .

وهو في ذلك يحرص أشد الحرص على تحقيق الأهداف الدينية من القصص، ولهذا فقد عني النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يقص على أصحابه ما علّمه الله من القصص بأسلوبه البياني الذي انفرد به إذ خصه الله بجوامع الكلم .

ويمكننا إدراك حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على اتخاذ منهج القصة أسلوباً في دعوته حين نرى الحجم الذى شغله القصص النبوى من بيانه (صلى الله عليه وسلم) إذ نجد كثيراً من القصص النبوي قد ورد في كتب الصحاح والسنن والمسانيد حتى لتبلغ القصص أكثر من أربعين قصة بالمدلول اللغوي للقصة عند العرب والذي يتضمن حكاية أخبار الماضين ، وتتبع أحداثها ومواقفها .

أما إذا ما نظرنا إلى أخبار الرسول (صلى الله عليه وسلم) في سيرته، وأحاديث الفتن وأشراط الساعة، ومشاهد الآخرة ، واعتبرنا أن فيها عنصراً قصصياً ، فإن الأمر يزيد كثيراً ، وإذا كان بعض الباحثين المعاصرين قد ارتضوا ذلك إلاّ أنني قصرت اعتبار القصص النبوي على ما يقتضيه المفهوم اللغوي للقصة فقط ، وقد بلغ هذا اللون أكثر من أربعين قصة في الحديث الشريف فهذا الحجم يدل على عناية النبي (صلى الله عليه وسلم) بالأسلوب القصصي ، ويكشف من مدى تأثره بالمنهج القرآني .

الذي عني بإيراد القصة في كثير من المواقف قال تعالى : " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ . (١) وقال " إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ " (١) وقال (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ (٢) وقال : " إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ " (٤) وقال سبحانه : " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (٥) .

١ - التأثر بالهدف القرآني للقصة :-

حين ننظر إلى المنهج القرآني في القصة نجسد الهدف الأول فيه بيان العبرة والموعظة في قصص الأمم السابقة ، لتكون أساساً لتربية الأجيال المسلمة على المنهج الذي أراده الله سبحانه وتعالى .

ولنأخذ مثلاً قصة أصحاب الكهف : قال تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانو من أياتنا عجبا (٩) إذ آوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا (١٠) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١١) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢) نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنو بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططا (١٤) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١٥) .

---

(١) سورة يوسف / الآية ٣ .

(٢) سورة آل عمران / الآية ٦٢ .

(٣) سورة هود الآية ١٠٠ .

(٤) سورة النمل / الآية ٧٦ .

(٥) سورة يوسف / الآية ١١١ .

وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ
لكم من أمركم مرفقا (١٦) وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت
تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد
ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا (١٧) وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات
اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
ولملئت منهم رعبا (١٨) وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة
فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا (١٩) إنهم
إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا (٢٠) وكذلك أعثرنا عليهم
ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا (٢١)
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا
تستفت فيهم منهم أحدا (٢٢) ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا (٢٣) إلا أن يشاء
الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا (٢٤)
ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا (٢٥) قل الله أعلم بما لبثوا له غيب
السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا[١] (٢٦)

فالمتأمل في عرض القصة ، يجد أن العناية متجهة إلى العبرة من الأحداث دون النظر للشخصيات التي قامت بها ، أو التي حدثت منها هذه المواقف ، فلم تذكر أسماؤهم ولا موقع الكهف الذي احتموا فيه ، ولم تذكر أسماء خصومهم ، ولا الجنس الذي ينتمون إليه ، فلم نعرف من هم ؟ ولا من هو الحاكم ؟

الذي فرض الكفر عليهم . ثم إن ذكر أصحاب الكهف اقتصر على الإشارة إليهم

---

(١) سورة الكهف / الآيات : ٦ — ٢٦ .

والتعريف بهم عن طريق ما حدث لهم أما أسمائهم وأعمارهم وتعيين عددهم ، فالجدل فيه لا طائل تحته لأن القرآن الكريم ليس بكتاب تاريخ حتى يترجم لهذه الشخصيات وإنما هو كتاب تربية وتوجيه ، ولو كان في ذكر عددهم مدخل في العبرة لذكرها عالم الغيب والشهادة .

ولعل في عدم ذكرهم فائدة لأن هذا الإبهام هو لون من ألوان التشويق الذي يجعل المستمع للقصة يفكر ، وينشر الأخيلة في فكره ونفسه في أمر هؤلاء ، والذي عبر عنه القرآن بقول الحق سبحانه :- "سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ" (1) وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن ينهي هذا النزاع الذي لا فائدة منه بتلك الجملة الحاسمة، التي يقف عندها المؤمن مفوضاً العلم إلى عالم الغيب والشهادة قال تعالى "قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم (2)" وقوله "وَمَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ" (3) .

وهذا من الأدب الحكيم لأن قص القصة لا تهدف إلى خلق الجدال والنزاع في أشخاصها ، وإنما المقصود بإيرادها استجلاء العبرة والموعظة .

لذا نهى الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم أن يتورط في مثل هذه المسائل التي لا طائل منها بقوله "فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (٢٤)" (4) .

ومن هنا نظر النبي (صلى الله عليه وسلم) في قصصه إلى هذا النموذج القرآني ، وأدرك أن القصص الحق لا يقصد به المتعة ، أو إشباع الخيال أو معرفة التواريخ والأنساب والأيام وغير ذلك مما تهدف إليه القصة في التراث الإنساني ، وإنما ينبغي أن يتميز هذا القصص الديني بالوقوف عند جوانب العبرة

---

(١) سورة الكهف / الآيات ٩ — ٢٦ .

(٢) سورة الكهف / الآية ٢٢ .

(٣) سورة الكهف / الآية : ٢٢ .

(٤) سورة الكهف / الآيات ٢٢ — ٢٤ .

والموعظة . ولهذا نرى القصص النبوي متأثراً بمنهج القصص القرآني في الإعراض عن ذكر التفاصيل والأيام والتواريخ والأماكن واسماء الأشخاص إلا ما كان معروفاً عن الأنبياء والمرسلين .

ولندرك هذه الحقيقة فإن علينا أن نتأمل بعض الشواهد من القصص النبوي . ولنأخذ على سبيل المثال : قصة " الأبرص والأقرع والأعمى "(1) فنرى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يبدأ القصة بهذه البداية الخبرية القاصدة : " إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً "(2) فنلحظ أنه لم يذكر اسماءهم ، موطن الابتلاء اكتفى بأن أشار إليهم عن طريق صفات تميزوا بها دون غيرهم وذكر هذه الصفات ليس لمزاً وهمزاً بهم وإنما لأن هذه الصفات لها الجانب الأكبر في وقوع الحدث لذا كان لابد من ذكر صفاتهم وإلا لا كتفى بقول ثلاثة من بني إسرائيل كما هي عادته (صلى الله عليه وسلم) في قصصه فمثلاً تجده في قصة " المقترض ألف دينار "(3) يقول " إِنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ "(4) فنرى أن اسم الرجل المقترض غير معروف ، وكذلك المقرض .

فالمتأمل في القصة ، يجد أن الأضواء مسلطة على الحدث فقط دون .. الشخصيات ، فالحدث هو موطن الحكمة والعبرة ، ولعل السبب في عدم ذكر اسماء الشخصيات وتخصيصها هو هذا الأدب النبوي الذي لا يجيز التشهير بشخصية من الشخصيات ، فالحديث عن الشخصية ليس هو الغرض من قص القصص وإنما العبرة تكمن في تجلية الحدث والموقف .

---

(1) انظر نص القصة رقم (31) في هذه الرسالة .

(2) صحيح البخاري " 4 : 208 - 206 .

(3) انظر نص القصة رقم (18) في هذه الرسالة .

(4) مسند أحمد بن حنبل 2 : 339

، وحتى في تناوله (صلى الله عليه وسلم) للمشكلات الاجتماعية التى كانت تقع بين صحابته لم يكن يعين الأسماء ، بل كان يقول : " مابال رجال يواصلون انكم لستم مثلى أما والله لو تماد لى الشهر لواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم " (١) .

وهذه قاعدة مطردة في أكثر القصص النبوي كقصة المقتار وجرة الذهب (٢) وقصة "القاتل مائة نفس" (٣) وقصة " الرجل الذي طلب أن يحرق " (٤) وقصة "الرجل الذي كان ينظر المعسر " (٥) وقصة " الرجل والجمجمة " (٦) وقصة "أصحاب الغار الثلاثة " (٧) .

ولا نلمس اهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بذكر الاسماء في القصص النبوي إلا في القليل من القصص أمثال قصة "جريج العابد" (٨) " وقصة "الكفل" (٩) وقصة "كرسف والمرأة " .

ولعل الأسباب التي دعت إلى ذكر اسماء شخصيات هذه القصص يعود لأن الحديث كان له أعظم الأثر في تحول الشخصية ، وانقلاب اتجاهها من حال الى حال .

---

(١) صحيح مسلم " ٣ : ١٥٧-١٨٥ . " باب النهى عن الوصال "

(٢) انظر نص القصة رقم (١٧) في هذه الرسالة .

(٣) انظر نص القصة رقم (٣٢) في هذه الرسالة .

(٤) انظر نص القصة رقم (٣٨) في هذه الرسالة .

(٥) انظر نص القصة رقم (٣٤) في هذه الرسالة .

(٦) انظر نص القصة رقم (٣٩) في هذه الرسالة .

(٧) انظر نص القصة رقم (١٩) في هذه الرسالة .

(٨) انظر نص القصة رقم (٢٤) في هذه الرسالة .

(٩) أنظر نص القصة رقم (٣٦) في هذه الرسالة .

ففي قصة "جُريج العابد "(1) يتعرض جريج لموقف شديد حيث يتهم في عقيدته التي حرص على سلامتها ونقائها، وذلك حين ادعت عليه المرأة البغي بأنها قد حملت منه، وأن الطفل الذي بين يديها من جريج، فهذا الادعاء الكاذب لا يهز هذه العقيدة بل يزيدها صلابة ومتانة وثقة في الله سبحانه وتعالى، حيث نجده يتجه لمولاه الذي يعلم الحقيقة الخفية كي ينجيه من هذه المكيدة المدبرة، وبالفعل يكون الله عند حسن ظن عبده فتكون نجاته على يديه حيث ينطق الطفل ليعترف بالحقيقة المبهمة ويرد الاتهام المغلط على هذا العبد الصادق.

وكذلك الأمر في قصة (الكفل)(2) حيث نجد أن الحدث كان له أعظم الأثر في تحول هذا النموذج الإنساني من الطريق الذي اعتاده في حياته كلها إلى حياة تجلت فيها أسمى معاني الفضيلة والرحمة والخشية من عذاب الله عز وجل، فكما عرفنا من السياق أن الكفل كان رجلاً لا يتورع عن ذنب عمله، ولكن الحدث الذي تعرض إليه رفعه عن حيوانيته ليسمو به إلى المرتبة العليا من الفضيلة والرفعة عن الدنايا، وهذا الحدث جعل الله يرضى عنه حتى كتب على قبره "إن الله قد غفر للكفل "(3).

وهذا ما نجده أيضاً في قصة "كُرسف والمرأة" (4) هذا العابد الذي قضى ثلثمائة عام يصوم النهار ويقوم الليل ثم انتهى به الحال إلى الكفر بالله العظيم، والسبب في ذلك ضعفه أمام امرأة عشقها أدى به إلى انقلاب الحال من صحة العقيدة والإيمان إلى الكفر والطغيان. ففي هذه القصص الثلاث التي عنيت فيها أسماء أبطالها نجد أن لتعيين الاسم ضرورة في القصة ذلك لأن الحدث

---

(1) انظر نص القصة رقم (٢٤) في هذه القصة.

(2) انظر نص القصة رقم (٣٦) في هذه الرسالة.

(3) سنن الترمذي : ٤ : ٦٥٧ — ٦٥٨.

(4) انظر نص القصة رقم (٣٨) في هذه الرسالة.

بلغ به التطرف إلى تحول عجيب في ذات الشخصية فخرج أصحابها عن النموذج الإنساني العام ، وأصبحت لهم خصوصية تستوجب النص على أسمائهم لذا كان للاسم أهمية بالغة اقتضت ذكره .

٢ — التأثر بالموضوعات :—

ذكرنا فيما سبق ألوان القصة النبوية والموضوعات التي تناولتها، وهي كما بينا أنواع عدة حسب النماذج الإنسانية في القصة فمنها القصص التاريخي الذي تضمن قصص الأنبياء وهذا النوع ينقسم إلى قسمين :—

أ — قصص له أصل في القرآن فهو تفسير وتفصيل لما جاء في القرآن .

ب — وقصص يضيف إلى أخبار الأنبياء جوانب لم ترد في القرآن .

ومن القصص النبوي ما يحوي تصويرًا للنماذج الإنسانية وهي أيضا ذات أنواع فمنها :

أ — النماذج الإنسانية الخيرة .

ب — والنماذج الإنسانية الشريرة .

جـ — والنماذج الإنسانية التي خلطت عملاً صالحًا بآخر سيئًا .

د — نماذج من حياة المرأة .

وإذا تأملنا موضوعات القصص القرآني فإننا نجد أن العلاقة وثيقة بين القصص القرآني والقصص النبوي من هذه الجهة .

حيث نجد القصص النبوي يتناول جميع الألوان التي وجدناها في القصص القرآني ، وهذا جانب هام من جوانب تأثر القصص النبوي بالقصص القرآني ، فقد تناول القرآن قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أقوامهم كما تناول النماذج الإنسانية سواء كانت خيرة أو شريرة أو خلطت عملاً صالحًا بآخر غير صالح وكذلك كان للمرأة مكانتها في القصص القرآني خيرة أو شريرة .

أ ـ قصص الأنبياء :ـ

حرص القرآن الكريم على إيراد قصص الأنبياء تسلية للرسول (صلى الله عليه وسلم) من ناحية ولأخذ العبرة والموعظة من ناحية أخرى وقد احتوى القرآن الكريم على كثير من قصص الأنبياء ليضرب الله بهم المثل الأعلى في الصبر والكفاح لإعلاء كلمة الله وتوحيد عبادته حتى أن القصة ترد في أكثر من موضع ابتغاء التدبر والتفكير فيها ، وأحيانا ترد في سورة تحمل اسم النبي صاحب القصة أمثال سورة إبراهيم وسورة هود ، وسورة يوسف ، وسورة يونس .

وأول من قص الله تعالى علينا قصصهم في القرآن الكريم من الأنبياء " آدم " . عليه السلام وقد ذكرت قصته في سورة الإسراء وفي سورة الأعراف وفي سورة البقرة وفي سورة الحجر ، وفي سورة طه ، وفي سورة ص ، وفي سورة الكهف قال تعالى : وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين " (١).

وقصص الأنبياء معروفة ليس هنا مجال الحديث عنها ، فقد تحدث عنها علماؤنا الأولون بما فيه الكفاية (٢) .

هذه القصص التي امتلأ بها القرآن كان لها أكبر الأثر في القصة النبوية إذ تتجلى فيها العناية بقصص الأنبياء مع أقوامهم ، كقصة عيسى والسارق (٣) وقصة براءة موسى (٤) وقصة التحاكم إلى سليمان (٥) وقصة يحيى والكلمات الخمس (٦) .

---

(١) سورة البقرة / الآية ٣٤.

(٢) انظر البداية والنهاية " لابن كثير ١ : ٦٨ - ٢٣٧ ، ٢ : ٢٠ - ٩٦.
وانظر قصص الأنبياء لابن كثير المجلد الأول والثاني .
وانظر قصص الأنبياء " لعبد الوهاب النجار .
وانظر قصص القرآن " لمحمد أحمد جاد المولى .

(٣) انظر نص القصة رقم (١٠) في هذه الرسالة .

(٤) انظر نص القصة رقم (٣) في هذه الرسالة.

(٥) انظر نص القصة رقم (٨) في هذه الرسالة .

(٦) انظر نص القصة رقم (٧) في هذه الرسالة .

وقد تضمنت بعض القصص النبوية تفسيراً وتفصيلاً للقصص القرآني المجمل كقصة إبراهيم وابنه إسماعيل (1). ففي هذا الخبر تفصيل لنشأة إسماعيل عليه السلام ونبع زمزم ، ووجود العرب في مكة ، وزواج إسماعيل عليه السلام منهم وكيفية بناء الكعبة .

وقصة سليمان والسبعون امرأة (2) وفيها تفسير لقوله تعالى : " وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (3) .

٣ ـ النماذج الإنسانية في القرآن وأثرها في القصة النبوية :ـ

احتوى القرآن ألوانا من القصص الذي يصور أنواعا مختلفة من النماذج الإنسانية فمنها الخيرة ومنها الشريرة ، ومنها التي خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً .

وهذه الألوان كان لها أثر واضح في تكوين ألوان النماذج الإنسانية في القصص النبوي حتى أننا نجدها تطابق ما في القرآن من نماذج ، ولا عجب في ذلك فالسنة أيضا من الوحي وإن كان لم يقصد بها التحدي والإعجاز كما قصد في القرآن .

أ ـ النماذج الخيرة :

زخر القرآن بألوان من النماذج الإنسانية الخيرة لرجال مؤمنين صالحين من غير الأنبياء ، ومن هذه النماذج .

ذو القرنين :ـ قال تعالى : " وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) .

(1) انظر نص القصة رقم (١٠) في هذه الرسالة .
(2) انظر نص القصة رقم (٤) في هذه الرسالة .
(3) سورة ص / الآية ٣٤ .
(4) سورة الكهف / الايات ٨٣ - ٨٩ .

حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا (٩٠) كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (٩١) ثم أتبع سببا (٩٢) حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (٩٣) قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥) آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا (٩٦) فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (٩٧) قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا (٩٨) .

هذه هي شخصية ذو القرنين وهي شخصية مثالية للمؤمن القوي الذي أوتي الإيمان والحكمة والقدرة والسلطان فاتبع منهج الحق وسار في الأرض ينشر العدل ويدعو إلى الإيمان ، حتى بلغ ملكه المشرق والمغرب .

هذه القصة القرآنية تذكرنا في الحديث الشريف بقصة الغلام المؤمن الذي أراد أن ينصر العقيدة التي آمن بها . (١)

وكذلك تصور قصة أصحاب الكهف في القرآن نماذج إنسانية خيرة ، والذين وصفهم القرآن الكريم بأنهم " فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى " (٢) وقد كانت نصرة العقيدة هي الباعث الذي جعلهم يأوون إلى ذلك الكهف ويطلبون رحمة الله ونصره ، وهذه القصة تذكرنا بقصة وردت في القصص النبوي ، وهي قصة أصحاب الغار الثلاثة " (٣) أولئك القوم الأخيار الذين انطبق عليهم الغار بصخرة انحطت على فم الغار " فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعو الله تعالى بها لعل الله يفرج عنكم " (٤) ومن النماذج الإنسانية الخيرة في القرآن الكريم شخصية لقمان قال تعالى :

---

(١) انظر نص القصة رقم (٢٥) في هذه الرسالة .

(٢) سورة الكهف / الآية : ١٢ .

(٣) انظر نص القصة رقم (١٩) في هذه الرسالة .

(٤) " صحيح مسلم " ٥ : ٥٨٣ — ٥٨٦ .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾[1] .

فلو تأملنا هذه الحكم العظيمة التي وردت على لسان لقمان رضي الله عنه لتصور لنا هذا النموذج الحكيم بكل أبعاده ، إن شخصية لقمان عليه السلام تذكرنا بشخصية الخضر رضي الله عنه التي جاءت في القصص النبوي ، تفسيراً لما جاء في القرآن ، وكيف أن الحكمة التي وهبها من الله سبحانه وتعالى كانت الأسباب الأولى في تقرير عظمة علم الله تعالى وتصوير هذا العلم لديه فكما جرت الأحداث في القصة النبوية أن الخضر عليه السلام أوتي من الحكمة ماجعله يذكر موسى عليه الصلاة والسلام بسعة علم الله حينما وقف عصفور "وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر فقال له الخضر : ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر [2]" .

---

(١) سورة لقمان / الآيات ١٢ - ١٩ .

(٢) "صحيح مسلم" ٥ : ٢٣٥ .

من هنا نجد أن القصة القرآنية لها تأثير عظيم في النماذج الإنسانية التي صورتها القصة النبوية ، وكما تضمنت القصة القرآنية ألوانا من النماذج الخيرة فكذلك تضمنت نماذج لشخصيات شريرة كقصة فرعون الذي أدعى الألوهية والربوبية دون الله تعالى ، وقارون الذى اختال بما أعطاه به فخسف به الأرض ، وولد سيدنا نوح عليه السلام الذي أبى واستكبر فغرق في الطوفان مع الغارقين (١)

وقد ورد في القصص النبوي قصة رجل أعجبته جمته وبرداه ، فخسف الله به الأرض قال عليه السلام : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ (٢) . "

وفي رواية أخرى قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَيْنِ وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ خُسِفَتْ بِهِ الْأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا حَتَّى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٣) ".

وقد يكون هذا الرجل الذي تبختر في برديه هو قارون نفسه ولكن مع ذلك فالقصة النبوية ليس الهدف منها التأريخ للشخصية ، وإنما الهدف هو العبرة والعظة للمتقين ليكون درسا عظيما لكل من سولت نفسه أن يكون مثل قارون في خيلائه قال تعالى : " وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) (٤) . "

---

(١) تراجع هذه القصص وما يتعلق بها في كتاب " قصص الأنبياء " لابن كثير ٢ : ٣ - ١٨٢ . وانظر " البداية والنهاية " لابن كثير . ١ : ٢٣٧ - ٣١٢

(٢) " صحيح مسلم " ٤ : ٧٩٧

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده . ٣ : ٤٠ - ٣ : ٣١٥ - ٥٣١ .

(٤) سورة القصص / الآيات ٨٢ - ٨٣ .

وابن نوح عليه السلام يصور لنا في القرآن مثلا للانسان الذي انطوت نفسه على الجحود والمبادرة بنكران الجميل مع تهيؤ أسباب الفلاح لديه ، ولكن استعظام نفسه وعدم صبره ، ومبادرته ربه ، كل ذلك حقق غضب الله عليه فقد اختار الطريق الذي أرضى فيه هواه ، فخسر الدنيا والآخرة .

قال تعالى فيه : " وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ : لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ"(١) (٤٣) .

هذه القصة تذكرنا بقصة الرجل الذي جرح ، فجزع فلم يستطع الصبر ، وجحد نعمة ربه عليه ، فبادره بنفسه . قال عليه الصلاة والسلام : " كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات قال الله تعالى " بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ "(٢) .

من هنا نجد أن القصة النبوية لها علاقة وثيقة بالقصة القرآنية فكما رأينا من الأمثلة السابقة أن النماذج الإنسانية فيها متطابقة ، ففيها النماذج التي صورت الخير بجميع أبعاده ، وأخرى صورت الشر بجميع أبعاده وظهر اثر هذا فى القصة النبوية .

---

(١) سورة هود / الآيات / ٤٢ — ٤٣ .

(٢) " صحيح البخاري " ٤ : ٢٠٨ .

النماذج الإنسانية التي خلطت عملاً صالحاً بآخر سيئاً في القرآن وأثرها في القصة النبوية :

لو تأملنا القصص القرآني لوجدنا أن فيه أيضا نماذج إنسانية خلطت الأعمال الصالحة بأعمال أخرى سيئة ، ومن هذه النماذج سنأخذ قصة " سحرة فرعون" الذين أعماهم الشيطان عن رؤية الحقيقة الواضحة التي كان يعرضها موسى عليه السلام على فرعون ولكن عندما رأو أن ماجاء به الحق المبين صدقوا وآمنوا بما جاء به .

قال تعالى : " وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا : إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ " (١٢٢) (١) .

قصة السحرة هؤلاء تطابق ماجاء في القصة النبوية في قصة الأعمى الذي عصى الله لسنته الملك وأظهر له الحق بأن رد بصيره ، وأعطاه من النعم ماجعله يعيش حياة رغدة فلما عاد إليه الملك على هيئة عابر السبيل وطلبه شيئاً من الزاد لسفره ظهرت حقيقة نفسه التي صدقت بالحق واعترفت به وحفظته .

وتصور القصة هذه الصورة في قول الأعمى : " قد كنت أعمى فرد الله بصري ، وفقيراً فقد أغناني ، فخذ ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله " (٢) .

وقصة إخوة يوسف عليه السلام معروفة (٣) ، فهم يصورون لنا نموذجاً من النماذج الإنسانية التي اختلطت الأمور لديها فظلمت نفسها لأنها استسلمت لنداء الشيطان في نفسها .

---

(١) سورة الأعراف / الآيات ١١٢ — ١٢٢ .

(٢) " صحيح البخاري " ٤ : ٢٠٨ .

(٣) تراجع قصة يوسف في " قصص الأنبياء " لعبد الوهاب النجار : ١٢٠ - ١٣٨ .

ولكن رحمة الله تدركهم فتستيقظ ضمائرهم ويشعرون بالندم على ما قدمت أيديهم ويتوجهون بالتوبة إلى الله فيستجيب لهم ،إن قصة إخوة يوسف تذكرنا بقصة " القاتل مائة نفس[1] " ، حيث نراه وقد امتلأت نفسه بالندم ووخز الضمير بعد أن فعل السوء ، وقتل كل هذا العدد من البشر دون أن يراعي حرمة أو قانون فكان تصحيحه على أن يلتقي بمن ينير له الطريق ويساعده على فهم نفسه ليدرك حياته قبل فواتها ، ولكن عندما يتعرض للراهب — هذا الرجل الذي وهب نفسه لعبادة ربه — دون أن يكلف نفسه مشقة فهم الناس، وفهم حقيقة الحياة ، لم يدرك أن هذا الرجل يمكن أن يقتله فنطق بتلك الإجابة على سؤال الرجل مما جعله يفتك به ليكمل المائة نفس .

ولعل الأمر اختلف لو أنه تصرف بشكل آخر فمن أمامه يريد التوبة النصوح ، وقد تجلّت حقيقة نفس الرجل بفرحه بالنصيحة التي قدمها له العالم حيث رفع عنه الشعور باليأس والقنوط ووجه التوجيه السليم ،كما فعل يعقوب عليه السلام في نهاية أمره ، وبعد أن أعلمه الله بأن يوسف وأخاه بخير وأنهما حيان يرزقان رفع اليأس عن قلب بنيه . قال تعالى : " يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) (٢) .

هذا الموقف نجده في قول العالم لهذا القاتل عندما سأله هل من توبة ؟ فقال : "نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء[3] " .

من هنا تتجلى أمامنا حقيقة واضحة أن القصة النبوية تطابق القصة القرآنية في نماذجها الإنسانية بجميع ألوانها سواء كانت خيّرة أو شرّيرة أو نماذج خلطت أعمالاً صالحة وأخرى سيئة .

---

(١) انظر نص القصة رقم (٣٧) في هذه الرسالة .

(٢) سورة يوسف/ الآية : ٨٧ .

(٣) صحيح مسلم . ٥ : ٦٠٩ - ٦١١ .

. المرأة في قصص القرآن وأثرها في القصة النبوية :

وقد اهتمت القصة القرآنية بالمرأة كنموذج إنساني وعرضتها لنا في ألوان مختلفة فمنها ... مثلت لنا الخير بجميع أبعاده، ومثال ذلك السيدة مريم ابنه عمران ووالدتها امرأة عمران ـ رضى الله عنهما ـ .

قال تعالى : " إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم (٣٥) فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (٣٦) فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب (٣٧)[1] . وقوله تعالى : "وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين (٤٢) يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين (٤٣)[2]

ومن النماذج الخيرة أيضا امرأة فرعون التي ضرب الله بها المثل في الإيمان " إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين "[3] .

وفي القصة النبوية وجدنا نماذج للمرأة الخيرة في قصة "سارة والجبار"[4] . وكيف استطاعت السيدة سارة أن تجعل الملك الجبار يعترف بأن هناك قوة عظيمة لا يمكن له تجاوزها أو يتحداها فيداه قد قبضتا عندما دعت عليه السيدة سارة .

---

(١) سورة آل عمران ٣٥ - ٣٧ .

(٢) == ====== ٤٢ - ٤٣ .

(٣) سورة التحريم / الآية : ١١

(٤) انظر نص القصة رقم (١٤) في هذه الرسالة .

وأيضا هناك نموذج الخير الذي تصوره لنا السيدة هاجر التي صبرت على حكم ربها ورضيت بما قدره عليها بقولها "إن الله لن يضيعنا "(١).

ومن النماذج الشريرة التي ضرب الله بها المثل من النساء امرأة نوح وامرأة لوط قال تعالى " ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين "(٢).

والقصة النبوية صورت لنا هذا النموذج في قصة " المرأة والراهب " (٣). حيث تتجلى أمامنا صورة من صور الضلال والضعف الإنساني فهي لم تكتف بالعبث بنفسها وإنما سولت لها نفسها الغوية إغواء ذلك الراهب وإخراجه من صومعته ليستقي معها تلك الخمر المعتقة ويشرب من كأس الغواية .

ومن النماذج النسائية في القرآن التي يمكن أن نقول عنها خلطت عملاً صالحاً بآخر غير صالح نموذج " امرأة العزيز " التي ضعفت أمام نفسها في لحظة من اللحظات ولكنها تابت بعد ذلك واستغفرت ربها ، وصورة الضعف هذه نلمسها في صاحبة الكفل التي ضعفت أمام فقرها ، فرضيت أن تبيع جسدها لقاء مبلغ من المال يسد حاجتها ولكنها في اللحظة الأخيرة أدركت خطأها ، وتذكرت ربها ، وارتعدت وخافت وبكت على ما آلت إليه من حال وتابت عن فعلتها توبة نصوحا ، كان من نتائجها أن رجع الكفل إلى صوابه وأدرك هو الآخر خطأه فتاب إلى الله فقبل توبته .

من هنا نجد أن العلاقة بين القصة القرآنية والقصة النبوية علاقة وثيقة في جانب الموضوعات ، فكما أن القصة القرآنية تناولت قصص الأنبياء فكذلك القصة النبوية . وكما أن القصة القرآنية احتوت على ألوان من النماذج الإنسانية المختلفة فكذلك القصة النبوية احتوت على ألوان تطابقها .

---

(١) صحيح البخاري " ٤ : ١٧٣ - ١٧٥

(٢) سورة التحريم / الآية : ١٠

(٣) انظر نص القصة رقم (٤٠) في هذه الرسالة .

وكما صورت القصة القرآنية النماذج الشريرة ، والنماذج الخيرة ، والنماذج التي خلطت الأعمال الصالحة بالسيئة احتوت أيضًا على نماذج متنوعة لحياة المرأة فكذلك كانت القصة النبوية .

من هنا يمكن لنا أن نقول أن القصة النبوية تطابق القصة القرآنيه في موضوعاتها وألوانها

أثر أسلوب القصة القرآنية في أسلوب القصة النبوية :

إن التصوير هو الأداة الغالبة في القرآن ، وكذلك يتصف الأسلوب القرآني بالإيجاز ، وقد اتضحت هاتان الخاصتان في القصص القرآني كله ، وقد تأثر القصص النبوي بهاتين الخاصتين وتوضيح ذلك فيما يلي :

التصوير القرآني وأثره في القصة النبوية :

إن التصوير القرآني قد صور نماذجه تصويرًا حيًّا مؤثرا فجاء التصوير النبوي محاكيًا مقتديًا بالنهج القرآني في عرض المواقف عرضًا حيًا فكأنما يشاهدها الإنسان وقد تمثلت أمامه وكأن الحياة دبت فيها من جديد .

ولو أردنا أن نستعرض جوانب التصوير في القصص القرآني فسنجده يتضح في عرض الأحداث وبث الحياة فيها ، وتصوير العواطف والانفعالات النفسية ، وأيضا عند تصوير النموذج الإنساني نفسه لبيان مواطن العبرة أو الاقتداء .

تصوير الأحداث :

تزخر القصة القرآنية بألوان من الأحداث جاءت كلها واضحة المعالم زاخرة بالحركة والحياة ، فكأنما يراها السامع أو يحس معها لحظة حدوثها ، وقد كان لهذا العرض القرآني للأحداث أثر بالغ في بيان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونلمس هذا الأثر في الأسلوب الذي انتهجه في القصة .

ومن أمثلة التصوير القرآني للأحداث ماجاء في حادثة الطوفان إذ قال تعالى مبيناً نهاية هذا الحدث : " وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "(1) .

فلنتأمل هذا التصوير المعجز فقد أمر الله الأرض أن تبلع ماءها ، ولنتأمل هذه اللفظة المعبرة " ابلعي " فكأن الأرض لفظت شيئاً من فمها فأمرها ببلعه وكأنها إنسان يشخص أمامنا يبتلع ما لفظه قبل وقت قصير ثم قال " وياسماء اقلعي " أي اقلعي عن إنزال المطر ، " وغيض الماء " أي فشرع الماء في النقصان بعد ان نفذت الأرض والسماء أمر الله تعالى ثم قال " وقضي الأمر " أي فرغ الكون من أمر الكفرة الفجرة فلم يبق منهم د يار .

فياله من منظر عجيب فالأرض قد أصبحت جرداء من كل ألوان الحياة ، والطوفان الذي كان يفيض ماؤه انتهى فلا وجود له وكأنه قطرات ماء سالت ثم جفت ثم قال " واستوت على الجودي " أي استوت السفينة على جبل بالجزيرة لتكون عبرة وآية لكل من رآها وانتهى عرض الحدث بالدعاء على الكافرين بالابعاد عن رحمة الله فقد هلكوا على الكفر ومالهم في الآخرة من نصيب .

هذا التصوير لهذا الحدث الجلل بأمرين وثلاثة أخبار ودعاء . . .كان هو المثل الاعلى لما جاء فى القصة النبوية من تصوير موجز . . ولكنه يجمع اللمحات ويحتوى على المشاهد

تصوير العواطف الإنسانية :

وفي قصة مريم عليها السلام تتجلى ألوان العواطف الإنسانية والانفعالات النفسية ، وقد صور القرآن الحالة النفسية التي آلت إليها مريم عليها السلام من هذا الأمر العجيب فإن هي أقنعت نفسها بهذا الأمر المقدور ، ورضيت به فكيف يمكن

---

(1) سورة هود / الآية : ٤٤ .

لأهلها ولذويها قبوله ، كل هذه الهموم تراكمت عليها ، تصور القرآن هذه الحالة التي وصلت إليها بقوله سبحانه : " فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) [1] " وبينما هي في أوج همومها وقمة حزنها تأتي المفاجأة الكبرى ، فهذا وليدها ينطق ويناديها ويسري عنها حزنها، ويكشف عنها ماران على قلبها من هم وحزن ، ويرشدها إلى أن تهز النخلة ليسقط عليها رطب جني ، ومن الأرض ينبع لها الماء لتشرب وتأكل ولا تهتم لتلك المخاوف التي تساورها فالله معها ، وأوصاها بأن تنذر للرحمن صوماً فلا تكلم أحداً وهو سبحانه حسب من توكل عليه .

كما صور القرآن موقف السيدة مريم وهي تواجه قومها ، وقد حملت بين يديها وليدها قال تعالى : " فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) [2] " فلم ترد على هذه التساؤلات بل اكتفت بالإشارة إلى وليدها ولكنهم وقفوا حائرين كيف يمكن لهم أن يكلموا صبيا في مهده لا يمكن له أن ينطق .. ؟ ! .

وهنا كانت المفاجأة الكبرى التي بهت لها القوم ، وفغرت أفواههم . قال تعالى " قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) [3] . وبعد هذه الخطبة الطويلة كان تقرير الحقيقة التي يجب أن يعترف بها كل مستمع قال تعالى : " ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) [4] " كل هذه العواطف والانفعالات تجلت في قصة مريم ومثل هذا اللون من تصوير العواطف نجده في القصة النبويه في قصة

---

(١) سورة مريم / الآيات ٢٢ — ٢٣ .
(٢) سورة مريم / الآيات ٢٧ — ٢٨ .
(٣) سورة مريم / الآيات ٣٠ — ٣٣ .
(٤) سورة مريم / الآية : ٣٤ .

التحاكم إلى سليمان " (1) حيث نجد كلا من المرأتين تدعي أن هذا الطفل ابنهما فيحتكمان إلى سليمان عليه السلام فعندما تجد الصغرى أن سليمان حكم بأن يشق الطفل شقين فتأخذ كل منهما شقاً منه تنازلت عن نصيبها للأخرى فهي لا يمكن أن ترضى بأن يشق الطفل وهو وليدها فليعش بعيداً عنها ولكنها لا ترضى بأن يمسه سوء وهنا يدرك سليمان عليه السلام صدق عواطفها، ويعرف أن هذه مشاعر الأم حقاً ولهذا قضى لها به .

تصوير النموذج الإنساني :

وقد صورت القصة القرآنية النماذج الانسانية وقد تجلى هذا التصوير أكثر ماتجلى في قصص الأنبياء الذين هم قدوة للبشرية تحتذى بهم .

وتصوير النموذج الإنساني لا نستطيع إدراكه إلا من خلال المواقف التي تعرض للشخصية كموقف إبراهيم الخليل عليه السلام مع أبيه ، فمنه نستطيع أن نستشف ملامح شخصية إبراهيم عليه السلام .

شخصية الإنسان الحليم الحكيم الذي تفيض من نفسه ألوان المحبة والخوف والخشية علي أبيه من عذاب الله تعالى فنراه مشفقاً لطيفاً باراً يحاول اقناع والده بمنهج الإيمان ، ولكن أباه أصر علي كفره . قال تعالى : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) " (2) . وأمام هذه التوسلات وهذا الحب العميق يصور لنا القرآن موقف الأب الطاغية الذي ينهر ابنه ويدعوه لما يعبد ويهدده بالرجم إن لم ينته عن الحاجة ونداءه له .

---

(1) انظر نص القصة رقم (٨) في هذه الرسالة .

(2) سورة مريم / الآية : ٤٢ — ٤٥ .

حتى أنه قال له : الأفضل لك أن تبتعد عني فترة من الزمن كي ينسى ماأبداه إبراهيم عليه السلام له من دعوى .

قال تعالى : " قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) [1] ولكن بالرغم من الإهانات التي وجهها أبوه لسنّه تقبل كل ماقاله بصدر رحيب ونفس لا تبتغي إلا الخير والحب قال تعالى : " قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) [2] وهذا جزاء الصابرين المتقين وقد شهد القرآن بصدقه وعلو منزلته عند الله تعالى فكان عندما يقدمه يقول : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) [3] .

كذلك في القصة النبوية يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) شخصية موسى عليه السلام قال : " كان موسى عليه السلام يغتسل وحده [4] وهذه إشارة لمدى حيائه وعفة نفسه فقد كان القوم من بني إسرائيل يغتسلون مع بعضهم البعض يرى كل منهم سوأة أخيه . ومن خلال موقف موسى عليه السلام من المفاجأة التي حدثت وخروجه من الماء منطلقاً وراء ثيابه التي أخذها الحجر وجريه وراءه بتلك الصورة نستطيع أن نتبين مدى حيائه الشديد من نفسه وما جرى له لدرجة جعلته يفقد السيطرة على نفسه فقام بضرب الحجر حتى غدت فيه ندبات كثيرة .

---

(١) سورة مريم / الآية : ٤٦ .

(٢) سورة مريم / الآيات : ٤٧ - ٤٩ .

(٣) سورة مريم / الآية : ٤١ .

(٤) صحيح مسلم " ٥ : ٢٢١ .

الايجـــاز :

يتميز أسلوب القصص القرآني بالايجــاز فيمكن أن تأتي القصــة في عدة سطــور لتحكي الأحداث التي عرضت للنبي (صلى الله عليه وسلم) وهذا من الاعجــاز القرآني فالقصــة تأتي بصورة مطوله في سورة وتأتي القصة نفسهــا وتحكي أحداثها في سورة أخرى لا تتجاوز العدة سطور ومن أمثلة الايجــاز في القصص القرآني ماجاء في سورة المزمل "عن قصــة موسى وفرعون قال تعالى : " إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعـون رسولاً (١٥) فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً (١٦) (١)".

وكذلك الأمر في قصتي عاد وثمــود فقد وردت في سورة " الذاريات " موجزة قــال تعالى : " وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقــيم (٤١) ما تذر من شيء أتــت عليه إلا جعلته كالرمــيم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقــة وهم ينظــرون (٤٤) فما استطاعوا مــن قيام ومـا كانوا منتصرين (٤٥) " (٢)

والقصتــان كلمات معدودات ولكن على أي حال ليس هناك قصة اكتملت إلا قصــــة يوســف عليه السلام باعتبار أن جانب المعجزة فيهــا متمثــل .

هذا الإيجاز الذي نلمسه في القصص القرآني كان له أكبر التأثير في بلاغــــة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فنجــد أن القصة النبوية تتم لديه في عدة سطــــور قلائل قال عليه السلام في قصة بائع الخمر والقرد " إن رجلا كان يبيع الخمر في سفينــة وكان يشــوبه بالماء وكان معه في السفينه قرد قال : فأخذ الكيس وفيه الدنانير قــال فصعد الذرو يعني الدقــل ففتح الكيس فجعل يلقي في البحــر ديناراً وفــي السفينة ديناراً حتى لم يبق فيه شيء . (٣)

---

(١) سورة المزمــل / الآيــات ١٥ - ١٦

(٢) سورة الذاريات / الآيات ٤١- ٤٥ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل : ٢ : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

الأهداف في القصة القرآنية وأثرها في القصة النبوية :

إن القصة النبوية تطابق القصة القرآنية في جميع أهدافها سواء كانت تهدف إلى تعميق حقائق الإيمان أو تأكيد حقائق التربية الإسلامية أو تبرز جانب العبرة والموعظة في أحداث التاريخ فكل هذه الأهداف نجدها تتمثل في القصة النبوية .

ولنأخذ قصة نوح عليه السلام مع قومه كمثال لاستخراج الأهداف منها قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥)﴾ (١)

والقصة تهدف إلى توضيح حقائق الإيمان وأسس العقيدة الصحيحة كما قال تعالى : مبينا مضمون دعوة نوح عليه السلام : " أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) (٢) "

كما تهدف القصة إلى بيان أن النبي لا يسعى لغرض شخصي في نفسه وإنما هو نذير مبين فمن صدق به فقد زكى نفسه وطهرها ومن كفر فقد ظلمها قال تعالى : ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (٣)﴾

ومن أهداف القصة الإيمانية أن يدرك الإنسان أن القدر غالب والنصيحة لا تنفع من آثر الكفر والطغيان قال تعالى :

" وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) " (٤)

---

(١) سورة هود / الآية : ٢٥ .

(٢) سورة هود / الآية ٢٦ .

(٣) سورة هود / الآية ٣١ .

(٤) سورة هود / الآية ٣٤- ٣٦ .

وتبين القصة أن وعد الله حق فإن حكم حُكْمًا فإنه سينفذ بإرادته ومشيئته قال تعالى : "وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)" (١).

الهدف التربوي :

وفي القصة درس تربوي فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يتسلى بهذه القصة من أمر نوح مع قومه فبالرغم من اعتداء قومه عليه بالصد والتكذيب والإهانة صمد وأبلغ رسالة ربه إليهم وهو ليس مكلفاً بأن يجعلهم يؤمنون به فما عليه الا البلاغ .

وهو درس للمؤمنين في مكة يذكرون به أن وعد الله حق ، وأن الله مع واتباعه ورسله وهو بعيد عن القوم الكافرين قال تعالى : "قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨)" (٢)

العبرة والموعظة :

والعبرة التي يمكن أن نستنبطها من قصة نوح تتمثل في أن الإنسان معرض للابتلاء في حياته وأنه لابد أن يقف أمام كل مايعترض سبيل عقيدته بالقوة التي تمكنه من رفعها وانتصارها .

هذه الأهداف يمكن أن نستجليها من القصص النبوي كله وقد قمت بتحليل نماذج لهذا القصص واستخرجت الأهداف منها . فهي عادة ماتهدف إلى تثبيت العقيدة الإيمانية في قلوب المسلمين وعقولهم وتربيتهم التربية السليمة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لمجتمعه الرباني المبنيه على التأمل والتدبر في المواقف التي نشاهدها في القصص النبوي لنأخذ العبرة والموعظة .

---

(١) سورة هود الآية / ٤٥ .

(٢) سورة هود الآية / ٤٨ .

قبل البدء في دراسة الحديث لابد من إثبات صحته ، حتى يمكن دراسته دراسة صحيحة ، لنتنتج نتائج صحيحة ، فمثل حديث خُرافة لا يجوز نسبته إلى القصص النبوي ولا يجوز أن يدرس على أنه لون من ألوان القصة النبوية ، فالواقع أنه ينتمي إلى الأساطير التي كانت العرب تتحدث بها ، وليس له هدف خلقي ولا مدخل له في العبرة أو العظة لأن نهاية الحديث في رواية أنس أن خرافة قد انتهى إلى أن دعا على إحدى نسائه فطلقت دارها سباعاً ، فأصبحت قد أكلتها (١) .

وإذا كان الأستاذ أنيس المقدسي قد حاول أن يلقي الشك في بعض الأحاديث الصحيحة ، كما سننبه إلى ذلك (٢) ـ فإن الباحث في مجال القصة النبوية طالب بالتنبيه إلى بعض الأحاديث الواهية المنسوبة للنبي (صلى الله عليه وسلم) والتي تحوي موضوعات قصصية ، فإنه ليس من المنهج العلمي الصحيح أن تدرس هذه القصص الواهية على أنها لون من ألوان القصة النبوية .

إذ أنها تفقد شرط الصحة ، فلا يجوز أن تبنى على دراستها أحكام ، ونمثل لذلك اللون بحديث خرافة وله روايتان :

إحداهما : عن أنس (رضى الله عنه) قال : اجتمع عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) نساؤه فجعل يقول الكلمة . فقالت إحداهن : كأنه حديث خرافة قال : أتدرين ما حديث خرافة ؟ إن خرافة كان من بني عذرة فأصابته الجن ، فكانت منهم جنية أحبها ، ثم رجع إلى الإنس ، فكان يحدث بأشياء تكون في الجن وعجائب لا تكون في الإنس (٣) .

والأخرى عن أبي ثنا أبو النضر ثنا أبو عقيل يعني الثقفي ثنا مجالد بن سعد عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت : حدث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نساءه ذات ليلة حديثاً ، فقالت امرأة منهن : يارسول الله كان الحديث حديث خرافة .

---

(١) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية " لابن الجوزي " ١ : ٥٢ .

(٢) انظر ص ٢٩٦ من هذه الرسالة .

(٣) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية " لابن الجوزي ١ : ٥١ - ٥٢

فقال : أتدرون ما خُرافة ؟ إن خُرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهن دهراً طويلاً ، ثم ردوه إلى الإنس ، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب . فقال الناس : حديث خُرافة " (١) .

قال ابن الجوزي "هذا حديث لا يصح . قال أبو حاتم بن حبان عثمان بن معاوية يروي عن ثابت الأشياء الموضوعة التي لم يحدث بها ثابت قط ، لا تحل الرواية عنه إلا على سبيل القدح فيه . وأما رواية عائشة : فقد قال أحمد بن حنبل عن مجالد ، ومجالد ليس بشيء ، قال ابن حبان : كان مجالد يقل الأسانيد، ويرفع المراسيل لا يجوز الاحتجاج به " (٢) .

والمتأمل في هذه القصة يقطع بأنها قصة موضوعة ، ذلك لأن القصة تصور لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وهو يحدث نساءه ، أحاديثاً خرافية بل أساطير من أساطير الجاهلية بدليل قول إحدى نسائه كان الحديث حديث خرافة ، وهذا مالا يمكن أن نتصوره من الرسول (صلى الله عليه وسلم) فتاريخه يشهد بأنه الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى " (٣) فلسانه لسان صدق ، وقد شهد القرآن بصدقه . كما قال سبحانه " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ " (٤) . ونحن نعلم مارد به القرآن على من زعموا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحدثهم بأساطير الأولين وأنه يكتتبها فهي تملى عليه . قال تعالى : " وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " (٥) .
وقال سبحانه : " وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا " (٦) وهذا كذب منهم ، ودعوى باطلة بلا دليل ولا برهان ليس هنا مجال مناقشتها .

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل " ٦ : ١٥٧ .

(٢) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية " لابن الجوزي ١ : ٥٣ .
وأخرجه أبو يعلى في الزوائد . ص ٣١٥ .

(٣) سورة النجم / الآية ٣ .

(٤) سورة الحاقة / الآيات ٤٤ ـ ٤٧ .

(٥) سورة الأنفال / الآية ٣٦ .

(٦) سورة الفرقان / الآية ٥ .

ومن هنا فإننا لن نستطيع قبول مثل هذه القصة على أنها قصة نبوية ، فهي تخالف نهج القصة النبوية الذي يجعل منها وسيلة للدعوة والهداية والتربية .

وفي بعض الروايات المنسوبة إلى الحديث الشريف ، قصص تحوي أنباء القدماء كأنها الأحاديث الواهية التي لا يمكن اثبات صحتها عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونمثل لذلك مما أخرجه ؛ ابن أبي الدنيا في كتاب " الأخوان والخطيب في تاريخه " بسنده عن تميم الداري قال : سُئِل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن معانقة الرجلُ الرجلَ إذا لقيه فقال ؛ إنَّ أولَ مَنْ عانقَ خليلُ اللهِ إبراهيم عليه السلام وذلك أنَّه خرجَ مرةَ يرتادُ لماشيته بجبل من جبال بيت المقدس ، فسمع مقدساً يقدس الله عز وجل ، فلها عمّا كان يطلب وقصدَ الصوتَ ، فإذا به برجل طوله ثمانيةَ عشر ذراعاً ، يقدس اللهَ عزّ وجلّ . فقالَ إبراهيم ياشيخ مَنْ رَبّكَ ؟ قالَ : الذي في السماءِ . قال : من ربُ الأرض ؟ قالَ : الذي في السماءِ .

قالَ إبراهيم : مالهما ربٌ غيره ؟ قال : لا .

فقال : هَلْ بَقِي أحدٌ مِن قومِكَ ؟ . قالَ : ماأحد مِنْ قومي بَقِي غيري . قالَ : مَاقبلتكَ قالَ : قبلتي الكعبةُ قبلةُ إبراهيم . قَالَ ماطعامك ؟ قالَ : أجْمعُ مِنْ ثمر هذا الشجر فآكله في الشتاءِ قالَ : مابيتك ؟ قالَ : تلكَ المغارة قالَ : انطلق بِنا إليهِ . قال إنّ بيني وبينها وادياً لا يخاض قالَ إبراهيم : فكيف تعبره ؟ قالَ : امشي إلى الماءِ جائياً وامشِ إلى الماءِ ذاهباً . قالَ إبراهيم : انطلق بنا فلعلَ الذي ذلك عليه سيذللنا فانطلقا مشياً على الماءِ ، وكلُ واحد منهما يتعجّبُ مما أرى صاحبه . فلما دخل المغارة نظر إبراهيم فإذا قبلته قبلةُ إبراهيم . فقالَ إبراهيم : أي يوم أعظم ؟ قال اليوم الذي يوضع كرسيه للحساب يومَ تنفر جهنمَ نفرةً لايبقى ملكٌ مقربٌ ، ولا نبي مرسل إلا خرّ بوجهه لهول ذلك اليومَ . قالَ إبراهيم : ادعُ اللهَ ياشيخ أن يؤمنني وإياك من هول ذلك اليوم .

قَالَ : مَاتَصنعُ بدُعَائي إنَّ لِي دَعْوةً مَحْبُوسَةً فِي السَّمَاءِ ، مُنْذُ ثَلَاث سِنِين لَمْ أرَهَا . قَالَ لَهُ إبراهيم : ألا أُخْبِرُكَ بِمَا حَبَسَ دُعَاءَكَ . قَالَ بلَى . قَالَ إبراهيم : إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إذَا أحَبَّ عَبْدًا أخرَ مَسْأَلَتَه . وَجَعَلَ لَهُ في كُل مَسْأَلَةٍ مَالَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وإذا أبْغَضَ عَبْدًا عَجَلَ مَسْأَلَتَه أوْ ألْقَى الإياس في صَدْرِه ليقبض صَوْتَه فمَا مَسْأَلَتُكَ المَحْبُوسَة في السَّمَاء مِنْ ثَلَاث سنين ؟ قَالَ : رَأيْتُ شَابًا في رأسِه ذُؤابة وَمعَه بَقَر كأنه الذَهب ، وَغَنَم كأنه فِضَةٌ . فَقُلْتُ : يافتى لِمنْ هَذِه قَالَ : لِخَليلِ اللّهِ إبراهيم فقُلْتُ : اللَّهم إنْ كَانَ لَكَ في الأرْضِ خَليلٌ فأرِنيه قَبْلَ خُرُوج رُوحي مِن الدُنْيَا فاعتنقه إبراهيم . وَقَالَ لَهُ : قَدْ رُدَتْ مَسْأَلَتَكَ (١) " .

قَالَ ابن الجوزي في حُكْمِه عَلى هَذَا الحَديث : " هَذَا حَديثٌ لا يَصِحُ وَفيه مَجَاهيل " (٢)

وَنحنُ نَرَى أنَّ هَذِه القِصَة الَّتي يَتَضَمَنُهَا هَذَا الخَبَر ، إنَما صيغت لِبيان أصْل مَشْرُوعية مُعَانَقَة الرَّجُل لأَخِيه إذَا لَقِيَهُ ، وَهِي تَجْعَل الخَليل إبراهيم عَلَيه السلام هُو الأصْل في هَذه المشروعية ، وكأن مثل هَذا السُلوك الفطري ، الذي تَعَارَفَ النَّاس عَلَيْه في لقاء الأب بابنه ، والأخ بأخيه ، والصَديق بصديقه ، حينَ يَؤوبُ مِنْ سفر يحتاج إلى مشروعية ، وأصْل يقَاسُ عَلَيْه ، وَالأمر أيْسَر مِن ذَلِكَ ، وإلا فَمَن الذي ابتدأ المُصَافَحَة أو السَلَام أوْ مَظَاهِرَ التَحِيَة المُخْتَلِفَة ؟ .

وهل تحتاج كل واحدة من هذه العادات إلى أصل وقصة في مشروعيتها ؟ وإذا كان الحديث معتلاً من جهة سنده كما بين الإمام ابن الجوزي ، فها نحن نرى أن متنه معتل أيضاً ، فالقصة مصنوعة لغرض سياق مافيها من حوار على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ولسان ذلك الرجل العابد الذي وصفته القصة بأوصاف غريبة ، فطوله ثمانية عشر ذراعاً ويسكن مغارة بينه وبينها واد مستوحش لا يخاض ، فيضطر للمشي الى الماء جائياً وذاهباً

---

(١) "الاخوان " لابن ابى الدنيا . ١ : ٤٠ - ٤٢

(٢) " العلل المتناهيه فى الاحاديث الواهيه " لابن الجوزى ١ : ٤٨

ولـه دعوة محبوسة في السماء من ثلاث سنين !

هذه الأوصاف أضفت على القصة جواً من الغموض والرهبة الأسطورية بما اقترب بهذه القصة من الإسرائيليات والغرائب التي كان القصاص يصفونها للترغيب والترهيب، وواجب البحث العلمي، ومسئولية الأمانة تجاه القصة النبوية، يحتم علينا ألا ننسب إليها ما صحت نسبته من جهة السند، ووافق الحقائق الإسلامية في الكتاب والسنة من جهة المتن .

كما نجد في بعض كتب " قصص الأنبياء " وكتب التفسير قصصاً وأخباراً عجيبة، لا يمكن تصديقها لما فيها من نسبة مالا يليق بمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

من هذا القبيل قصة افتتان داود عليه السلام بامرأة الجندي أوريا المشهورة، وكيف عمل سيدنا داود على التخلص من الزوج بتعريضه للقتل كي يحظى بالمرأة .

فعن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً :- " أن داود النبي عليه السلام، حين نظر إلى المرأة فهم بها، قطع على بني إسرائيل بعثاً، وأوحى إلى صاحب البعث . فقال : إذا حضر العدو فقرب فلاناً وسماه، قال : فقربه بين يدي التابوت، قال : وكان ذلك التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، فمن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل، أو ينهزم عنه الجيش الذي يقاتله . فقتل زوج المرأة، ونزل الملكان على داود فقصا عليه القصة " (١)

قال ابن كثير : " رواه ابن أبي حاتم، ولا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة " . (٢)

ولعل القصة من الإسرائيليات التي عمل على نقلها بعض أهل الكتاب ممن لا يؤمنون بعصمة الأنبياء، فأخطأ يزيد الرقاشي ورفعها إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ومما يؤيد هذا القول مانقله الإمام القرطبي عن ابن العربي المالكي أنه قال : " وأما قولهم : إنها أعجبته

---

(١) " تفسير القرطبي " للقرطبي ، ١٥ : ١٦٧
وأخرجه بن كثير في كتابه " التفسير " ، ٤ : ٣١

(٢) التفسير " لابن كثير " ، ٣ : ٣١ .

فأمر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله، فهذا باطل قطعاً فإن داود (صلى الله عليه وسلم) لم يكن ليريق دماً في غرض نفسه . وهذا هو الظن الذي ينبغي أن يظن بداود عليه السلام ، فلا يمكن تصور أن يعمد هذا النبي الكريم إلى إرسال هذا الجندي ليلاقي حتفه كي يحظى هو بزوجه التي أعجب بها ، فكيف يمكن أن يوجه هذا الاتهام الشنيع للرسول الكريم الذي أنزل الحق بين يديه لينشر العدل ، والتقوى بين الناس ؟ وخاطبه الله بقوله : "يَادَاودَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ" (1) .
ومثل هذا المسلك لا يجوز من إنسان من عامة الناس ، فكيف ينسب لنبي كريم ؟ ! .

ومن الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة في التوسل : ماروي عن أبي الحارث عبد الله بن مسلم الفهري ، حدثنا إسماعيل بن مسلمة ، أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده ، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً :- "لما اقترف آدم الخطيئة ، قال : يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله : ياآدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال يارب لما خلقتني بيدك ، ونفخت في من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت ياآدم إنه لأحب الخلق إلي ، ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ماخلقتك (2)" .
ومع أن الحاكم قد قال في تخريجه لهذا الحديث أنه " صحيح الإسناد ، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب" (3) .

إلا أن الذهبي تعقبه بقوله : "بل موضوع ، وعبد الرحمن واهٍ ، وعبد الله بن مسلم الفهري لا أدري من هو" (4) .
قال البيهقي : "تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف" (5) .
قال شيخ الاسلام ابن تيمية : "ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه ، فإنه نفسه

---

(1) سورة ص / الآية : 26 .
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك " 2 : 615 .
وأخرجه الطبراني في " المعجم الصغير " 207 .
(3) (4) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة " للألباني 1 : 26
(5) دلائل النبوة " للبيهقي ، ص 15 .

قد قال في كتاب " المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم " : " عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه" وتدل الأقوال السالفة للذهبي والبيهقي وشيخ الإسلام ابن تيمية، على أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم جميعاً .

ولعل هذا الحديث من الأحاديث التي أصلها موقوف مأخوذ من الإسرائيليات ، فأخذها عبد الرحمن بن زيد فرفعها إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) .

ومما يؤيد هذا القول ما أخرجه أبو بكر الآجري في كتابه " الشريعة " (٢) من طريق أبي مروان العثماني قال : حدثني أبي عثمان بن خالد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : " من الكلمات التي تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام أنه قال " اللهم إني أسألك بحق محمد عليك ... الحديث " . (٣)

وهذا موقوف لأن عثمان وابنه أبو مروان ضعيفان لا يحتج بهما لورويا حديثاً مرفوعاً فكيف وقد رويا قولاً موقوفاً على بعض أتباع التابعين .

ولو تأملنا هذه القصة ، نجد أن القصة تحمل بين ثناياها تناقضاً واضحاً مع الحقيقة التي عرفناها من القرآن ، ففي القصة نرى آدم عليه السلام يطلب التوبة والمغفرة ، ويتوسل إلى الله بمحمد (صلى الله عليه وسلم) والحقيقة التي أخبرنا بها القرآن أن الله تاب على آدم ، وغفر له خطيئته . قال تعالى : " فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ " (٤) ثم إن قول آدم عليه السلام لربه في هذه القصة الغريبة " رأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمداً رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك (٥) "

---

(١) القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة " لابن تيمية ص ٦٦ .
(٢) " الشريعة " لأبي بكر الآجري ، ٤٢٧ .
(٣) الشريعة " لأبي بكر الآجري ، ٤٢٧ .
(٤) سورة البقرة / الآية : ٣٧ .
(٥) " المستدرك " للحاكم ٢ ـ ٤ . ٦١٥ .

يفتح أبواباً من التســـاؤلات :

فهل كان حينئذ قارئاً كاتباً ؟ وإن كان قارئاً فبأي لغة قرأ،ومن علمه القراءة ؟ ! وهي تساؤلات لا يمكن معرفة جوانبها إلا عن طريق خبر صحيح .

ثم هذه القولة التي تنسبها الرواية إلى الله سبحانه "لولا محمد ماخلقتك" (١) . تناقض ماجاء في القرآن . كقوله سبحانه : "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"(٢)

ومما يؤكد وضع هذا الحديث ماجاء في حديث آخر يتضمن عدم معرفة سيدنا آدم عليه السلام لمحمد (صلى الله عليه وسلم) .

فعن علي بن بهرام بن يزيد مرفوعاً "نزل آدم بالهند واستوحش ، فنزل جبريل فنادى بالآذان الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، مرتين ، أشهد أن محمداً رسول الله مرتين.قال آدم : من محمد ؟ قال : آخر ولدك من الأنبياء" (صلى الله عليه وسلم)(٣)

فهذا الحديث يصرح بعدم معرفة آدم عليه السلام باسم محمد ، على حين الحديث الاول يثبت معرفة آدم له ، بدليل طلبه المغفرة من ربه إكراماً له .

وليس معنى هذا أن الحديث الثاني صحيح ، فقد اجتمع العلماء على ضعفه "وهذا إسناد ضعيف وعلي بن بهرام لم أعرفه (٤) . ولكن التحقيق العلمي يسمح برد الحديث الواهي بالحديث الضعيف . فالنحذر نحن المسلمون من الاغترار بأمثال هذه الروايات الواهية .

ويقتضينا المقام أن ننبه هنا إلى ماعثرنا عليه من هذا القصص الواهي ، ومنه مارواه جبرون بن عيسى المقرى" الذي لم نجد له ترجمة في كتب التراجم فقد روى بسنده عن ابن عباس مرفوعاً حكاية عن موسى بن عمران عليه السلام فيها الكثير مما لا يصدق ، ففيها أن الله سبحانه وتعالى يطلب من عبد من عباده أن يؤذي نفسه بتجويعها ، ومنع الحلال عنها لدرجة تجعله يضطرب،ويتقض آلماً من شدة الجوع ، لينظر إليه ويعجب من طاعته فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يقر هذا الجوع المعذب للإنسان .

---

(١) نفس المرجع ٢ : ٦١٥
(٢) سورة البقرة / ٣ .
(٣) "تاريخ بغداد ١١ : ٣٥٣ .
(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة" للألباني ، ١ : ٣٩٦ .

وحين بلغه عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه كان يصوم الدهر ويقرأ القرآن كل ليلة . أمره بصوم ثلاثة أيام لأن الإنسان مطالب بحقوق أخرى غير العبادة وقال له : " فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام . قلت : يانبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال : فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً . قال فصم صوم داود نبي الله (صلى الله عليه وسلم) . فإنه كان أعبد الناس قال : قلت يانبي الله وماصوم داود قال كان يصوم يوماً ويفطر يوماً . . . (١)

وهذا يبين أن الشريعة الاسلامية شريعة سمحاء ، لا يمكن أن تأتي بما يناقض الفطرة .

ومن هنا فإن رواية جبرون هذه تناقض ماصح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في هديه وقصصه .

وهذا نص الرواية الواهية :

حدثنا جبرون بن عيسى المقرى عن يحيى بن سليمان الجفري عن فضيل بن عياض عن منصور عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً : أن موسى بن عمران مر برجل وهو يضطرب ، فقام يدعو الله له أن يعافيه ، فقيل له : ياموسى إنه ليس الذى يصيبه خبط من إبليس ، ولكنه جوع نفسه لي فهو الذي ترى ، إني انظر إليه كل يوم مرات أتعجب من طاعته لي ، فمره فليدع لك فإن له عندى كل يوم دعوة " (٢)

قال أبو نعيم : " هذا حديث غريب ، لم يروه عن فضيل إلا يحيى بن سليمان ، وفيه مقال (٣) . وقد تضمنت هذه القصة الغريبة أن هذا العبد المعذب بالجوع كان أفضل من موسى عليه السلام ، حتى ليحتاج موسى أن يسأله الدعاء ، فهل يعطى هذا العبد دعوته مستجابة في كل يوم ، ويحرم موسى وهو كليم الله ؟ .

---

(١) صحيح مسلم : ٣ : ٢١٨ .
(٢) حلية الأولياء . . لأبي نعيم ، ٣ : ٣٤٥ - ٣٤٦ .
(٣) نفس المرجع ٣ : ٣٤٥ - ٣٤٦ .

وقد بين القرآن أن موسى كان مستجاب الدعوة كما يفهم من قوله تعالى : "قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (١) . فمثل هذا اللون من القصص من صنع جهلة القصاص الذين لا يعرفون فضائل الأنبياء ، ولا يميزون بين مراتبهم وكل ما يعنيهم في الخبر هو جانب الغرابة والإثارة .

ومن القصص الواهي أيضاً مارواه الحسن عن سمرة بن جندب مرفوعاً : "لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ ، وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ ، فَقَالَ : سَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ ، فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الْحَارِثِ فَعَاشَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ" (٢) .

قال الألباني : "إن الحسن في سماعه من سمرة خلاف مشهور ، ثم هو مدلس ولم يصرح بسماعه من سمرة" (٣) .

وقال الذهبي في ترجمته "كان الحسن كثير التدليس ، فإذا قال في حديث عن فلان ضعف احتجاجه ولا سيما عمن قيل إنه لم يسمع منهم كأبي هريرة ونحوه ، فعدوا ما كان له عن أبي هريرة في جملة المنقطع" (٤) .

ونرى في هذه القصة ، وإن كان الترمذي قد رواها في صحيحه مخالفة للموقف الذي يتصور من حواء وهي التي عرفت كيد الشيطان ، وذاقت وباله في الخروج من الجنة بسبب الاغترار بوسوسته ،

وقد بين القرآن أنها استغفرت ربها ، وتابت إليه مع زوجها آدم من هذه الزلة كما يفهم من قوله تعالى : "فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ" (٥) . وقد كان آدم عليه السلام نبياً فكيف يمكن أن تقع حواء في خداع إبليس مرة أخرى ؟ .

---

(١) سورة يونس / الآية : ٨٩

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه : ٢ : ١٨١ .
وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده : ٥ : ١١
والحاكم في المستدرك : ٢ : ٥٤٥

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١ : ٣٤٨ .

(٤) أنظر ترجمة الحسن البصري في ميزان الاعتدال "للذهبي .

(٥) سورة البقرة / الآية : ٣٧ .

بل كيف تقع في كبيرة الإشراك بأن تسمى ولدها عبداً لمخلوق لرغبتها في بقائه

ولئن كان بعض المجتهدين في تحقيق أسانيد الأحاديث قد وجدوا في إسناد هذا الحديث علة قادحة تسلكه في عداد الأحاديث الضعيفة ـ كما حقق ذلك الشيخ ناصر الدين الألباني ـ فإننا نجد العلة في متنه أكبر من العلة في سنده ، مما يجعلنا ننزه القصة النبوية من أن تتضمن مثل هذا الخبر الذي يوقع حواء (رضى الله عنها) وزوجها آدم عليه السلام في الإشراك .

ثم هل يفهم من هذا الحديث على فرض صحته أن تسمية الولد كانت مرهونة بمشيئة أمه، فأين الأب هنا ؟ وهو نبي كريم لا يعقل أن يسكت عن مثل هذا الخطأ الجسيم، ولا أن يرضى بصنيع زوجه حين تستجيب لأمر الشيطان ووحيه كما جاء في هذا الخبر .

ثم إن القصة تتعارض مع ما جاء في قوله تعالى : " إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً (1) . فكيف يكون هناك خليفة والقصة تخبرنا أن حواء لم يكن يعيش لها ولد ؟

ومن القصص الباطلة التي رفعت للرسول (صلى الله عليه وسلم) على أنها من القصص النبوي ما روي من طريق زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر أنه سمع نبي الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " إِنَّ آدَمَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) لَمَّا أَهْبَطَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الأَرْضِ قَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ : أَيْ رَبِّ " أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟ "، قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ " قَالُوا : رَبَّنَا نَحْنُ أَطْوَعُ لَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلاَئِكَةِ : هَلُمُّوا مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ، حَتَّى يُهْبَطَ بِهِمَا الأَرْضَ ، فَنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلاَنِ ؟ قَالُوا : رَبَّنَا هَارُوتَ وَمَارُوتَ فَأُهْبِطَا إِلَى الأَرْضِ ، وَمُثِّلَتْ لَهُمَا الزَّهْرَةُ امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ فَجَاءَتْهُمَا فَسَأَلاَهَا نَفْسَهَا فَقَالَتْ : لاَ وَاللَّهِ حَتَّى تَكَلَّمَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ الإِشْرَاكِ ، فَقَالاَ : وَاللَّهِ لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ فَذَهَبَتْ عَنْهُمَا ثُمَّ رَجَعَتْ بِصَبِيٍّ تَحْمِلُهُ فَسَأَلاَهَا نَفْسَهَا قَالَتْ لاَ وَاللَّهِ حَتَّى تَقْتُلاَ هَذَا الصَّبِيَّ فَقَالاَ : وَاللَّهِ لاَ نَقْتُلُهُ أَبَداً ، فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ بِقَدَحِ خَمْرٍ فَسَأَلاَهَا نَفْسَهَا ، قَالَتْ لاَ وَاللَّهِ حَتَّى تَشْرَبَا هَذَا الْخَمْرَ ، فَشَرِبَا فَسَكِرَا ، فَوَقَعَا عَلَيْهَا ،

---

(1) سورة البقرة / الآية : ٣٠

(2) أخرجه أحمد بن حنبل : ٢ : ١٣٤ .

وَقتلا الصبي ، فلما أفاقا ، قالت المرأة : والله ماتركتما شيئاً مما أبيتما عليّ إلا قد فعلتما حين سكرتما ، فخيّرا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا" (١)

قال الشيخ الألباني : "إن الراوي عنه زهير بن محمد وإن كان من رجال "الصحيحين" ففي حفظه كلام كثير ضعفه من أجله جماعة" (٢)

واستند في قوله هذا على ماقاله أبو حاتم عنه : "محله الصدق ، وفي حفظه سوء وكان حديثه بالشام أنكر من حديثه بالعراق لسوء حفظه ، فما حدث من كتبه فهو صالح وماحدث من حفظه ففيه أغاليط" (٣)

وقال ابن كثير : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير هذا هو الأنصاري . . . فهو مستور الحال وتفرد به عن نافع" (٤)

ومما يفهم من هذه الأقوال أن زهير بن محمد ممن يكثر الغلط والسوء في حفظه ونحن أمام نص لانعلم هل هو مما حدث به من كتبه أم من حفظه ، ففي هذه الحالة الواجب التوقف عن قبول حديثه ، ثم أن شيخه الذي أخذ الحديث عنه شيخ مستور الحال كما جاء في كلام ابن كثير الذى رأى أن الحديث غريب .

وقد استنكر الحديث جماعة من الأئمة المتقدمين ، فقد روى الحديث الإمام أحمد بن حنبل وقال "هذا منكر ، وإنما يروى عن كعب ." (٥) .

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل . ٢ : ١٣٤ رقم - ٦١٧٨ .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة " ١ : ٢٠٥ .

(٣) الجرح والتعديل " لأبى حاتم (١/٢/٥١٠) .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ : ١٣٨ .

(٥) أحمد بن حنبل ٢ : ١٣٤ .

وذكره ابن أبي حاتم في " العلل " وقال : " سألت أبي عن هذا الحديث ؟ فقال : هـذا حديث منكـر " (١)

وما يؤيد بطـلان رفع الحديث إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن الحديث روى عن طريق ابن عمـر أن سعيد بن جبير ومجاهداً روياه عن ابن عمر موقوفاً عليه " (٢) .

والمتأمل في متن الحديث يجد أن قول الملائكة : " أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (٣)

لم يكن عندما أهبط الله آدم إلى الأرض كما جاء في هذه الرواية ـ بل قالوا ذلك حين أخبرهم سبحانه : بأنه سيجعل في الأرض خليفة . قال تعالى : وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا . (٤)

فقوله سبحانه " وَإِذْ قَالَ " معناه أي اذكر يامحمد إذ قال ربك للملائكة واقصص على قومك ذلك " (٥) .

ولعل هذه القصة من كلام بعض الأحبار الذين فسروا الآية على أن قول الملائكة جاء على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم ، والحسد لهم كما توهموه لا على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه ، فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة في خلقه ، كأنه تعجب من كمال علم الله تعالى وإحاطة حكمته بما خفي على كل العقلاء . (٦)

---

(١) " العلل " لابن حاتم ، : ١ : ٦١ - ٧٠ .
(٢) انظر " الدر المنثور " للسيوطي ، ١ : ٩٧ - ٩٨
(٣) سورة البقرة / الآية ٣٠ .
(٤) سورة البقرة / الآية ٣٠ .
(٥) انظر تفسير القرآن العظيم " ١ : ٦١ .
(٦) انظر " البداية والنهاية " لابن كثير ١ : ٧٠ وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي ٢ : ١٦٨ .

ثم هذا السؤال الذي طرحه الملائكة على سبيل الاستعلام والاستكشاف انتهى بإجابة الله سبحانه "إني أعلم مالا تعلمون" (١). أي أعلم أني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون، والشهداء، والصالحون، والزهاد، والعباد، والأولياء، والأبرار، والمقربون، والعلماء العاملون، والخاشعون ... (٢)

فكيف يجادل الملائكة بعد هذا البيان، ويطلبون الدليل والبرهان على أنهم أطوع من بني آدم ؟!

إن من فهم هذا الفهم العقيم فقد وقع في الحرام ثم إن القرآن قد شهد بعصمة الملائكة أجمعين. قال تعالى: "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (٣) وقال أيضا: "يَخَافُونَ رَبَّهُمْ من فوقهم ويفعلون مايؤمرون" (٤) وقال فيهم: "بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ" (٥).

فهذه الشهادة من القرآن صريحة ببراءتهم من المعاصي، وكونهم متوقفين في كل الأمور إلا بمقتضى الأمر والوحي " (٦).

ثم قصة الابتلاء التي تعرض لها هاروت وماروت هي أشبه بقصة "المرأة والراهب" (٧) فقد تعرضت المرأة الغوية إلى راهب أعجبها فأرسلت جاريتها إليه فعرضت عليه أن يغشاها أو يقتل الطفل أو يشرب الخمر. فاختار شرب الخمر، فسكر فقتل الغلام، وقارف الخطيئة والعجيب في القصة هو ذاك الاختيار الذي انتهى إليه هاروت وماروت فقد اختارا عذاب الدنيا.

---

(١) سورة البقرة / الآية: ٣٠.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٦١.

(٣) التحريم / الآية ٦.

(٤) النحل / الآية: ٥٠.

(٥) الأنبياء / الآية ٢٧.

(٦) انظر التفسير الكبير "للإمام الفخر الرازي ٢: ١٦٦.

(٧) انظر نص القصة رقم (٤٠) من هذه الرسالة.

وكان الأولى أن يكون التخيير بين التوبة والعذاب ،لأن الله تعالى خير بينهما من أشرك به في قوله سبحانه : " قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ " (١) . فكيف يبخل به عمن أذنب في حق نفسه ؟ .

ومن القصص الغريب مارواه أبو خيثمة حدثنا وكيع حدثنا ربيع بن سعد الجعفي عن عبد الرحمن ابن سابط عن جابر قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " حَدِّثُوا عن بني إسرائيل فإنه قد كان فيهم الأعاجيب ثم أنشأ يحدث (صلى الله عليه وسلم) قال " خَرَجَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسرائِيلَ حَتَّى أَتَوا مَقبرةً مِنْ مَقَابِرِهِمْ فَقَالُوا : لَوْ صَلَّيْنَا رَكْعَتَيْنِ وَدَعَوْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَيُخْرِجَ لَنَا رَجُلاً قَدْ مَاتَ نُسَائِلُهُ يُحَدِّثُنَا عَنِ الْمَوْتِ . فَفَعَلُوا فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَجُلٌ رَأْسَهُ مِنْ قَبْرٍ تِلْكَ الْقُبُورِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ فَقَالَ : يَاهَؤُلاَءِ مَا أَرَدْتُمْ إِلَيَّ فَقَدْ مِتُّ مُنْذُ مِائَةِ عَامٍ فَمَا سَكَنَتْ عَنِّي حَرَارَةُ الْمَوْتِ حَتَّى الآنَ فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يُعِيدَنِي كَمَا كُنْتُ .... (٢) .

قال ابن كثير : " وهذا حديث غريب . وإذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على مايمكن أن يكون صحيحاً ، فأما ما يعلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذي بأيدينا عن المعصوم فذاك متروك لا يعرج عليه ثم مع هذا كله لا يلتزم من جواز روايته أن تعتقد صحته " (٣) .

ومضمون هذه القصة مخالف لما في الكتاب الكريم من آيات بينات تحكم بأن الإنسان يموت موتة واحدة ثم يبعث يوم القيامة . قال تعالى : " ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ " (٤) فكيف لهذا الميت أن يتحرك من قبره ويعالج نفسه في قبره ، حتى يتمكن من إخراج رأسه من قبره ، ويتحدث إلى تلك الطائفة ليخبرهم أنه توفي منذ مائة سنة ،وأنه بُعث الآن ثم يطالب القوم بأن يعاد للحياة مرة أخرى لأن حرارة الموت لم تسكن عنه .

---

(١) سورة الأنفال / الآية : ٣٨ .
(٢) البداية والنهاية " لابن كثير ٢ : ١٣٣ .
(٣) المرجع السابق ٢ : ١٣٣ .
(٤) سورة المؤمنون / الآيات ١٥ - ١٦ .

وإذا قيل أن إحياء مثل هذا الميت كان على سبيل المعجزة فالمعجزات لا تقع إلا للأنبياء ليكون فيها تأييد للدعوة ، وإثبات لصدقهم فيما يبلغون عن ربهم ، ولا يجوز أن تقع المعجزة لغير الأنبياء ، كما في هذه القصة التي جرت لطائفة من بني إسرائيل .

ومن هنا فإننا نرى نفي هذه القصة من ساحة القصص النبوي الحق الصادق في أحداثه ، الجميل في أساليبه .

ومن القصص الواهي أيضاً ما جاء في رواية محمد بن أيوب بن سويد حدثنا أبي إبراهيم بن أبي علة عن أبي الزاهرية عن رافع ابن عمير مرفوعاً قال : قَالَ اللهُ لداود يا داود ابن لي في الأرض بيتاً ، فبنى داود بيتاً لنفسه قبل البيت الذي أمر به ، فأوحى الله إليه : يا داود بنيت بيتك قبل بيتي ؟ قال : أي رب هكذا قلت فيما قضيت " من ملك استأثر " ثم أخذ في بناء المسجد ، فلما تم سور الحائط سقط ، فشكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه أنه لا يصح أن تبني لي بيتاً .. قال : أي رب ولم ؟ قال : لما جرى على يديك من الدماء ، قال أي رب أو لم يكن ذلك في هواك ؟ قال : بلى ولكنهم عبادي وإمائي وأنا أرحمهم ، فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه ألا تحزن فإني سأقضي على يد ابنك سليمان ... (١) .

وهذا الحديث " باطل موضوع " أورده ابن الجوزي في الموضوعات من رواية ابن حبان عن محمد بن أيوب بن سويد حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن أبي علة عن أبي الزاهرية عن رافع ابن عمير مرفوعاً ، وأخرجه الطبراني وابن مردوية في " التفسير " وقد وافق صاحب الميزان " على أنه موضوع ، قال أبو زرعة : " محمد بن أيوب رأيته قد أدخل في كتب أبيه أشياء موضوعة وقال : ابن حبان : كان يضع الحديث . والموضوع منه قصة داود " (٢) .

والمتأمل في نص هذه القصة يرى دليل بطلانها ووضعها ، إذا عرف مكانة داود عليه السلام عند ربه ، وحرص داود على المحافظة على هذه المكانة العلية ، فقد شهد الحق سبحانه وتعالى بشدة إيمان داود عليه السلام حتى أنه سخر له الجبال والطير لتسبح معه في العشي والإشراق ، وآتاه الله الملك والحكمة ، وفصل الخطاب كما وعده بالزلفى

---

(١) أورده الهيثمي (٤ : ٧ - ٨) وقال :- رواه الطبراني في " الكبير " وفيه محمد بن أيوب بن سويد الرملي وهو متهم بالوضع .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١ : ٢٠٨ - ٢٠١) .

وحسن المآب ، ذلك لأن داود عليه السلام من عباد الله الشاكرين لفضله ونعمائه ، فقد كان صوامًا قوامًا شجاعًا لا يفر إذا لاقى العدو ، وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا ، وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه ، ويبكي ببكائه كل شيء ويصرف بصوته الهموم والحموم (١)

قال تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " (٢) . واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ، إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب " (٣) . وآتينا داود زبورا " (٤) . " وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب " (٥) . يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " (٦) . اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور " (٧) .

فكيف يمكن أن يعمد داود عليه السلام إلى إيثار نفسه على تنفيذ أمر ربه ، ويبني بيتا له قبل بيت ربه الذي أمره ببنائه ، وعندما يسأل عن سبب ما صنع يقول " من ملك استأثر " إن هذا التعليل لا يمكن قبوله من آحاد الناس ، فكيف نتصوره من نبي كريم تلقى كلمات ربه لينشر الإيمان والعدل والمحبة . إن سيرة النبي داود عليه السلام سيرة عطرة شهدت بحرصه على شكر ربه والمحافظة على رضاه فكيف يؤثر نفسه ويعصى أمر ربه ؟! .

---

(١) انظر قصة داود عليه السلام في البداية والنهاية " ٢ : ٩ - ١٦ . وانظر قصص الأنبياء " لابن كثير ٢ : ٢٦٥ - ٢٨٠ .

(٢) سورة سبأ / الآية : ١٠ ، ١١

(٣) سورة ص / الآية : ٢٠

(٤) سورة النساء / الآية : ١٦٣ .

(٥) سورة ص / الآية ٢٥ .

(٦) سورة ص / الآية ٢٦ .

(٧) سورة سبأ / الآية : ١٣ .

وقد روى صالح المزني عن أبي عمران الجوني عن أبي الجلد قال : " قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال : يارب كيف لي أن أشكرك ، وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك قال : فأتاه الوحي " ياداود ألست تعلم أن الذي بك من النعم مني ؟ قال بلى يارب قال : فإني أرضى بذلك منك " (١) .

وروى البيهقي بسنده عن ابن شهاب قال : قال داود " الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله . فأوحى الله إليه إنك أتعبت الحفظة ياداود " . (٢)

فمن كان هذا شأنه في طاعة وعبادته فلا يجوز أن يصدر منه هذا الفعل الذي لا يقبل من آحاد الناس ، فما بالنا بنبي كريم !

إن هذه القصة باطلة وموضوعة لأن فيها انتقاصاً من قدر نبي كريم ، وصفه ربه بأنه أوتي الحكمة ، وفصل الخطاب .

وهذه القصص الضعيفة أو الموضوعة بعيدة عن المنهج النبوي في عرض حياة الأنبياء كما بينته الأحاديث الصحيحة ، أما هذه القصص الواهية تنتقص من قدر الأنبياء كخبر داود عليه السلام في إعجابه بامرأة جندي حتى تدفعه رغبته الحسية إلى بعث هذا الجندي إلى ميدان الحرب ليقتل حتى يتزوج داود عليه السلام بامرأته ، أو الخبر الذي ينسب إلى داود إيثار نفسه على أمر ربه حين أمره أن يبنى له بيتاً ، واحتج بتلك القولة الغريبة " من ملك استأثر " يعني بذلك أن الإنسان إذا ملك شيئاً من أمر الدنيا فلا بد أن يرى أمور نفسه أولا ثم يفكر في غيره وهذه أمور يجب تنزيه الأنبياء عنها لأنهم معصمون من سقطات الشهوة ودناءات الطبع وهم متصفون بصفة الكمال البشري .

ومثل هذا المسلك لا ينبغى لرجل من عامة الناس فكيف ينسب لنبي كريم أنزل عليه الزبور وكان مثلاً للناس فى الطاعة والعبادة والتقوى .

كما رأينا في هذا القصص الموضوع تفضيل رجل من عامة الناس على موسى الكليم ، حتى يجعل موسى يسأل الرجل الدعاء له .

---

(١) (٢) انظر البداية والنهاية " لابن كثير " ٢ : ١٤ - ١٥

بل إن القصص ليمضي في انتقاص الأنبياء حتى يصل إلى أم الأنبياء أجمعين ، وأم البشرية جمعاء "حواء" (رضى الله عنها) فتتهم في عقيدتها وتوصف بأنها إمرأة تفتح أذنها للشيطان وتستسلم له ، فتسمي ابنها اسما يجعله عبداً لمخلوق وهو "عبد الحارث" ضعفاً منها أمام إغراء الشيطان الذي أوحى لها بهذا الاسم.

بل أن بعض هذا القصص المخترع ينسب إلى نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام في التحدث بالخرافة أمام نسائه .

وقد تضمن هذا القصص الواهي جانباً أسطورياً كما رأينا في قصة معانقة سيدنا إبراهيم لذلك العابد العجيب وقصة هاروت وماروت اللذين أغوتهما الزهرة التي تمثلت لهما في صورة امرأة وضيئة ، حتى انتهى أمرهما إلى ارتكاب الخطيئة وسفك الدماء فاختارا عذاب الدنيا ، أو كقصة الرجل الذي أخرج رأسه من قبره ليطلب القوم أن يدعو أن يعيده كما كان .

فأمثال هذه القصص إنما هي من صنع القصاصين المولعين بالغرائب وواجبنا التنبيه إليها وإخراجها من مجال القصة النبوية ، حتى لا يختلط الحق بالباطل ، والصحيح بالزائف ، وحتى تتضح ملامح القصة النبوية الصحيحة في بيانها المشرق ، وأساليبها المشوقة ، ومضمونها الصحيح البعيد عن الخرافات والأساطير.

الباب الثالث

القصة النبوية فى دراسات المعاصرين

الفصل الأول : مناقشة لما جاء عن القصة النبوية في كتابي الحديث النبوي من الوجهة البلاغية

القصص في الحديث النبوي

الفصل الثاني : من شبهات المعاصرين حول القصص النبوي.

" القصة النبوية في دراسات المعاصرين "

مناقشة لما جاء عن القصة النبوية في كتابي " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، والقصص في الحديث النبوي

خطأ تطبيق المقاييس الأدبية للقصة الحديثة على القصص النبوي :

أولع بعض الباحثين المعاصرين في موضوع القصة النبوية بتطبيق المقاييس الأدبية الحديثة في فن القصة على القصص في الحديث الشريف ، فتراهم يتحدثون عن المقدمة والعرض ، والعقدة والحل ، والشخصيات وألوانها ، والحبكة القصصية .

وهذه المقاييس الأدبية الحديثة لا يمكن تطبيقها على القصة النبوية إذ لم يكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعالج القصة بمثل هذا المنظور الأدبي المعاصر الذي يقوم على فلسفة أدبية معينة ، والذى يراد منه التأثير الجمالي دون التفات إلى الصدق ، في الموضوع أو إلى الأثر الذي تتركه القصة في النفس ، لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يضع أمامه النموذج القرآني ويسير على نهجه ، وعلى ذلك لا يمكن بحال من الأحوال تطبيق هذه المناهج على القصص القرآني الذى هو المثل الأعلى للنبي عليه الصلاة والسلام ، وما دام الأمر كذلك فإنه لا يجوز أن نطبق على القصة النبوية مالا يسوغ تطبيقه على القصة القرآنية إذ أن الارتباط وثيق بين المنهجين هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى نجد أن من يحاول أن يحكم على التراث الأدبي الماضي بهذه المقاييس المعاصرة إنما يخرج عن قواعد النقد الأدبي حيث لا يسوغ لنا أن نحكم على أثر أدبي بغير المقاييس التي كانت متبعة في عصره ، وإن هذا الخطأ يقع فيه كثير من الباحثين المعاصرين فمثلاً نجد هناك من يحاول تطبيق مقاييس النقد الأدبي المعاصر على قصائد " امرىء القيس " ، أو يعتبر شاعراً قديماً منتمياً إلى مدرسة أدبية معاصرة بدعوى التشابه بين سمات أدبه وسمات هذه المدرسة ، ولكن الشرط في تحقيق ذلك أن يكون لدى الأديب معرفة

بسهولة المقاييس التي يراد الحكم على أدبه من خلالها ..

وقد وقع في هذا الخطأ كتاب "الحديث النبوي من الوجهة البلاغية" في الفصل القصير الذي جاء فيه عن القصة النبوية، إذ استخدم اصطلاح المقدمة والعرض، والعقدة والحل، والشخصيات وأدوارها، فكان في تحليله لقصة النبوية كالناقد الفني الذي يتناول القصة الفنية ويحللها تحليلاً فنيًا فنجده يفعل هذا الأمر في القصة النبوية إذ يحيلها لقطعة فنية هي أشبه بالرواية المسرحية التي تتمثل فيها الفصول والمشاهد الدراميـة، والأبطال المشخصة للأدوار الإنسانية على ساحة المسرح فيتحدث عن فكرة القصة ثم يتناول عرضها بالتحليل يتبعها ببيان أبطال القصة ليسند دور كل واحد منهم ليبين منزلة كل بطل، ومدى تشخيصه لدوره، ومن خلال تحليله يكشف عن البعد النفسي للشخصيات، فيرينا نهاية الدراما التي وصلت إليها الشخصية وأخيراً ينتقل لتصوير سير القصة فيتناول المقدمة وكيفية عرضها، ومظاهر التشويق فيها، ويتناول أحداثها فيحللها بطريقة بيان العقدة والحل التي أدّت إلى التنقل السريع في تسلسل الأحداث وامتلاء المسـرح بالنشاط والحركة والمشاهد يكاد يحيلها إلى تمثيلية رائعـة (١)".

وهذه النظرة الفنية للقصة النبوية تطابق ما يذكره نقّاد القصة في بنائها الفنّي إذ يرون أنه "لابد من ترتيب الأحداث ترتيباً تصير به ذات وحدة عضوية، فهي كالمسرحية ذات مبدأ تتكون به أسس الحكاية، ثم تبلغ الحوادث قمة تأزمها، ثم تصير إلى نهايتها في الخاتمـة . . . فمركزها يدور حول وحدة الحدث، ويقصد بها تركيز الحقائق حـول حقيقة جوهرية، أو فكرية عامة، أو شخصية أساسية، تتعلق بها الحقائق والأفكار والشخصيات الأخـرى . وينتج عن ذلك وحدة الاهتمام، ووحدة الشعور بالموضوع أو الشخصيـة، ثم تتقدم القصة في الحركة، لتضاعف الشعور والاهتمام بالموضوع بعرض الحوادث، أو بوصف صداها في الأبعـاد النفسـية للشخصيـات (٢)".

---

(١) "الحديث النبوي من الوجهة البلاغية" ص ٤٤٨ .

(٢) "النقد الأدبي الحديث" تأليف د. محمد غنيمي هلال. ص ٥٤٤ .

ولنضرب مثلاً بحديث هذا الباحث عن المقدمة والعرض عند تحليله لقصة " أصحاب الأخدود (١) ".

المقدّمة والعرض:

يقول مصوراً المقدمة على أنها حكاية من تاريخ قديم "مقدمة في سطور . . . قصيرة شائقة . . . مقدمة حكاية من تاريخ قديم، تبدأ بملك وساحر، وتصور ما كان الملوك يعتمدون عليه من خرافات وشعوذات، وما كان للسحرة من استغلال لهذا الجهل (٢) ".

ويتحدث عنها على أنها حديث عن خوارق قصيرة " والمقدمة شائقة لأنها حديث عن خوارق قصيرة لا تتجاوز جملة واحدة (٣) ".

وتارة تكون لبيان الهدف " المقدمة تبين الهدف وهو ابتلاء الله عباده (٤) ".

وتارة يجد أنها العقدة " والمقدمة هي العقدة بدأت بها القصة، ولذلك تهمها العرض يصعّد العقدة تصعيداً رفيقاً، حتى بدأ الحل وتحولت العقدة به من جهة المقترض إلى جهة المقرض (٥) ".

وهكذا أتعب الباحث نفسه في إطلاق التسميات المختلفة على هذه المقدمة، وهذا من قبيل التكلف الذي جعله يرى أن لكل قصة نبوية مقدمة تحمل اسماً من مصطلحات القصة الحديثة فأحيانا تكون عقدة، وأحيانا تكون هدفاً، وأحيانا تكون عرضاً للتاريخ .

والذي نراه أن القصة النبوية تجري مع مقتضى الحكمة، وتراعي مطابقة الحال وفق خصائصها المميزة من الإيجاز والتشويق والوضوح والتصوير الذي لا يماثلها فيه فن أدبي مهما كان.

---

(١) " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " ص ٤٤٨ .

(٢) " " " " " " " " " ص ٤٤٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٥١ .

(٤) " " ص ٤٥٧ .

(٥) " " ص ٤٦١ .

ويتحدث الدكتور عزالدين السيد عن العرض في القصة النبوية فيقسمه إلى فصول تحتوى على مشاهد يحمل أبطالها أدواراً ينطوي كل دور على مدى الصراع النفسي الـذي تحمله إلى أن تنتهي "آخر الدراما أو مأساة الخير والشر (١)" فيقول مثلا "أما الفصل الأول فيمثل جريج العابد في تصوير ساذج لكنه محقق للجانب المراد إبرازه من صورته ... ووسط هذا الضجيج الذي يملأ مسرح القصة والحركة الهائجة المضطربة، والموقف العاصف بالتُّهم المري، يلهم البطل الحل فما الحـل ؟ (٢)".

ويذكر الدكتور الفاضل عند تحليله لقصة أصحاب الأخدود أن القصة انتهت "بدراما أو مأساة الخير والشر تمثل القمة التي تترك الناظر مبهوراً والقلب واجفاً (٣)" وهذا كله يكشف عن تعلق الكاتب بالمقاييس الأدبية المعاصرة، ومحاولته تطبيقها على القصص النبوي، وإن كان محذوراً في تطبيقها، إذ قد يفهم من ذلك أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أديب متمكن يهدف إلى مجاراة الأسس الفنية في قصصه، وهذا أمر لا يرتضيه أحد لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس أديباً يجري على القواعد التي يحرص عليها الأدباء عند تأليف الأعمال الأدبية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فمن المعروف أن "الدراما كل قصة تمثيلية سواء أكانت مأساة أم مهزلة ... فتخطط لفرض العرض بواسطة الممثلين الذين يشخصون أشخاص قصتها، والذين تتوزع بينهم الحكاية والمحاورة ... وتقلد بالحركة والكلام (٤)".

فهل هذا التعريف ينطبق على القصص النبوي ... ؟! وهل يمكن لنا أن نقول إن القصة النبوية جاءت لتعرض قصة تمثيلية فيها مجموعة من الممثلين كل واحد منهم كلف

---

(١) "الحديث النبوي من الوجهة البلاغية" ص ٤٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥١ .

(٣) " " ص ٤٤٧ .

(٤) "النقد الأدبي موسوعة أحمد أمين الأدبية" ١ : ١٤٨ .

ليشخص شخصية أعلى دورها من قبل مخرج وزع أدوارها عليهم ؟ !.

إن محاولة تقسيم القصة النبوية إلى مشاهد وفصول لا يمكن أن يصح في القصص النبوي كله ومثال هذه القصص :-

١ - قصة الرجل الذي خسف به الأرض لاعجابه بنفسه "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ (١)".

٢ - وقصة الرجل الذى حزّ يده عندما جرح حتى مات "كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ (٢)".

وهل يمكن أن نطبق قاعدة الفصول والمشاهد هذه على قصة المرأة التي دخلت النار في هرة ربطتها ؟ "دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً (٣)".

أو على قصة البغي التي سقت الكلب في موقها فغفر لها "بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ يَكَادُ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ (٤)".

من هنا ندرك أن التمسك بالمقاييس الأدبية، وأصول المسرحية في النظر إلى القصة النبوية يؤدي إلى الوقوع في الخطأ، فوجود الفصول المتعددة لا يتضح في الكثير من القصص النبوي فالرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس كغيره من البلغاء يأخذ من الطبيعة ويستملي منها، ولكنه نبي مرسل متصل بالمصدر الأزلي ليزيد في الطبيعة ويعطيها .

---

(١) "صحيح مسلم" ٤ : ٧٦٧ .

(٢) "صحيح البخاري" ٤ : ٢٠٨ .

(٣) "صحيح مسلم" ٥ : ٥١٦ .

(٤) "صحيح البخاري" ٤ : ٢١١ .

فلا موضع للخيال في أمره إلا ما كان تمثيلاً يراد به تقوية الشعور الإنساني بحقيقة ما في بعض ما يعرض من باب الارشاد والموعظة(١) كقوله (صلى الله عليه وسلم) "إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ"(٢).

وكذلك نلاحظ في كتاب "الحديث النبوي من الوجهة البلاغية" أن مؤلفه يحاول اثبات وجود البطل والابطال أوضحنا وجه الخطأ في تطلب البطولة في القصة النبوية، وبينا أن قضية البطل في القصة الفنية قد فقدت قيمتها "ومنذ ظهور الواقعين والطبيعين قد ظهر على القصة فى الآداب الغربية اتجاه آخر يتضح فيه اهمال البطل في معناه السابق إذ اصبح يقصد القاص إلى تصوير عدة أشخاص لا يخص بعنايته واحداً منهم بوصفه البطل وإنما يوليهم جميعاً عناية وقد يتفاوتون فيها بعض التفاوت فيكون من بينهم شخصية رئيسية تفوق من سواها في القصة، ولكنهم يتقاربون جميعاً في هذه العناية"(٣).

ومعنى ذلك أن كلمة بطل قد ضاعت قيمتها من الناحية الفنية المعاصرة وأيضا هي مرفوضة من الناحية الدينية(٤)، وسياتى تفصيل ذلك.

---

(١) "وحي القلم" تأليف مصطفى صادق الرافعي ٣ ٢٣.

(٢) "مسند الإمام أحمد بن حنبل" ١ ٣٨٣.

(٣) "النقد الأدبي الحديث" ٥٧٠.

(٤) يراجع ص ٢٩١ من هذا البحث.

العقدة والحل :-

نشأ عن تعلق بعض الباحثين المعاصرين بتطبيق المقاييس الأدبية في القصة الفنية المعاصرة على القصة النبوية أن جعلوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) قصاصاً أو أديبًا يتكلف الأسباب ويحيكها لينشيء ما يسمى في عالم القصة بالعقد ثم يتدرج بعد ذلك لخلق الأحداث التي تؤدي في النهاية إلى الحل السليم لهذه العقدة، ولا يكتفي هؤلاء بافتعال عقدة واحدة وحل واحد ،وإنما يرون أن القصة النبوية تعمد إلى خلق أكثر من عقدة وأكثر من حل في القصة الواحدة . كأنها رواية مسرحية تتضمن العديد من الفصول والمشاهد والأحداث المتعددة التي تشكل في كل حدث منها صورة من صور العقدة أو الأزمة التي تحتاج إلى حل .

ومن المعروف أن تعدد الحدث في المسرحية يعتبر عيباً فنياً،وذلك لأنه يوزع شاعر الجمهور ويضعف قضية المؤلف " أما تعدد الحدث أو تعدد الحلول في رتابة ،ومع وحدة الخطر أو بدونه ،فلا يزال عيبًا فنياً يوزع مشاعر الجمهور ،أو يضعف قضية المؤلف في تصويره (١)" فكيف نصف الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهذه الصفات المقلة للكاتب أو الأديب ؟ بل والأمر الأعظم كيف ننظر للرسول (صلى الله عليه وسلم) كنظرنا لبليغ من البلغاء أو أديب من الأدباء ،ونطبق مقاييسنا الأدبية على بيانه النبوي الذي اصطفاه الله به ونزهه عما بلغ فيه البلغاء قمة فنهم المثالي وهو الشعر . قال تعالى : "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ (٢) " بمعنى أنه ليس بحاجة للشعر في استكمال بيانه،وهو أعظم ما يسعى إليه بلغاء العرب من فن .

من هنا يتضح لنا مدى خطأ إدخال البيان النبوي في دائرة الفن ففيها انتقاص لقدر هذا البيان وصرفه عن غاياته ،ولهذا فلا بدلنا أن نناقش هنا ماجاء في كتاب" الحديث النبوي " من الوجهة البلاغية" متعلقاً بالقصص النبوي الذي قام بتحليله في الفصل

---

(١) " النقد الأدبي الحديث " ص ٥٨٨ - ٥٨٩ .

(٢) سورة يس / الآية : ٦٩ .

الأخير من كتابه ، وقد عرض لنا خمس قصص من البيان النبوي ، قصة " أصحاب الأخدود "[1] وقصة " المتكلمين في المهد "[2] وقصة " النخل "[3] وقصة " الأقرع والأبرص والأعمى "[4] وقصة " المقترض ألف دينار "[5] .

وقد اتخذ منهجاً خاصاً في تحليله للقصص النبوي اتبعه في القصص التي تناولها ، فبدأ بتوضيح فكرة القصة ، ثم عرضها ثم تصوير أبطالها إلى أن ينتهي بتحليل سير القصة ، وسير أحداثها وبيان ما فيها من عقد وحلول وأسباب ونتائج تضمنتها كل قصة أوردها بعد تقسيم القصة إلى فصول ومشاهد يتحرك فيها الأبطال على مسرح الأحداث .

ولنأخذ على سبيل المثال قصة " أصحاب الأخدود "[6] لنرى الخطة التي انتهجها الباحث في التحليل فنجده يرى في هذه القصة سبع عقد انتهت إلى حلول متنوعة ، قال : " أول التعقيد عند ضرب الساحر للغلام يتلوها أول الحل بما أشار به الراهب على الغلام ، ثم يعود التعقيد في صورة أدق وأحس بالفكرة يتمثل في الصراع النفسي بين الراهب والساحر لدى الغلام ، ويتلوه الحل باختبار الطرفين في مشكلة الدابة الحابسة للناس ، فيعود التعقيد بإخبار الراهب الغلام أنه سيبتلى ، ويخف أثر العقدة بما يظهر على يد الغلام من كرامات إلى أن شفى الله على يده جليس الملك ،

---

(١) انظر نص القصة رقم (٢٥) في هذه الرسالة ، وهي بعنوان (الملك والساحر والغلام) .
(٢) " " " " (٢٤) " " " " " " "
(٣) " " " " (٣٦) " " " " " " "
(٤) " " " " (٣١) " " " " " " "
(٥) " " " " (١٨) " " " " " " "
(٦) " " " " (٢٥) " " " " " " "

فطلب الغلام أن يكافئه بالإيمان بربه فآمن . . . وهنا نفاجأ بالعقدة تلوح على شكل آكد في حوار الملك مع جليسه حول شفائه ومن شفاه ،فيمتد إلى الغلام ثم إلى الراهب ويبلغ مشهد الراهب قمة الإثارة في الانتصار على الباطل ،وتتوالى عقد الابتلاء للغلام ،وتتوالى معها الحلول في مناظر شائقة خاطفة تؤيد فكرة الحق والخير ،وتقهر فكرة الشر والباطل ،وفي ذلك كله نهاية التعقيد في جانب الملك . . وهنا يظهر جانب الحل الشكلي من جهة الغلام ،فينفذ الملك ما أشار به ،وما تكاد الفرحة بقتل الغلام تسعده حتى تطغى عقدة العقد في قصته ذ من الشعب برب الغلام ،ويكون الأخدود هو الحل من جانب الشر والباطل ،ولكن صوت الحق والخير يختم القصة هاتفاً : إنه الحل الزائف والقدرة الحمقى، وإن حياة مستعارة لا تساوي الحفاظ عليها رغبة عن الحق وانصرافاً عن الشهادة في سبيل العقيدة ،والصبر في طريق الجهاد[1].

والمتأمل في عملية التحليل هذه بهذه الطريقة يجد الكثير من الأحداث والعقد التي احتاجت إلى حلول ،وبما أن الباحث اعتبر هذه القصة قصة فنية أشبه بالرواية المسرحية فهو بهذا يذهب إلى جعلها في مصاف المسرحيات ذات الوحدات الضعيفة لأن" تعدد الأحداث والحلول . . . يضعف الوحدة التي تتركز فيها الأحداث والمشاعر ، ومن شأنه أن يوهن الأثر العام للمسرحية "[2] ومثال هذا اللون مسرحية " مصرع كليوباترا" لأحمد شوقي حيث نجد في المسرحية حدثين هما : حب كليوباترا لأنطونيوس ، ثم حب حابي لهيلانة .

وكذلك مسرحية شوقي الأخرى " أميرة الأندلس " حيث تختتم المأساة بخاتمتين مختلفتين فمن ناحية تنهار دولة المعتمد بن عباد في إشبيلية . ويسجن الملك الشاعر وأسرته في شمال إفريقية عند ملك المرابطين " يوسف بن تاشفين " . ومن ناحية ثانية ينعقد زواج حسون ببثينة ابنة ذلك الملك العاثر .

---

(١) " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .

(٢) " النقد الأدبي الحديث" ص ٥٩٠ .

من هنا يتبين مدى خطأ تطبيق هذه المقاييس الفنية المصطنعة على الأدب النبوي فأين الثرى من الثريا تلك مقاييس مصنوعة متكلفة جعلت لتكون الأسس التي يقاس بها العمل الأدبي الذى يصنعه الكاتب أو الأديب ويوجهه حيث يريد . . وهذه قصص نبوية ارتبطت بالحق لتكون المنار الذي يهدف لإخراج البشرية من غياهب الظلمات إلى نور اليقين . فالقصة النبوية أعظم قدرًا من أن تقاس بهذه المقاييس المصطنعة، أو توضع ضمن الأعمال الأدبية المتواضعة التي تقوم أساسًا على التخيل في أحداثها وترتيبها وشخصياتها وأسبابها ونتائجها، وبقدر تحليقها في الخيال وابتعادها عن الحق والواقع يكون ارتقاؤها في عالم الفن . لذا نرى أن من المنهج القويم إخراج هذه القصص العظيمة عما لحق بها، ورفض إصرار أولئك الباحثين على تطبيق تلك القواعد والقياسات المفتعلة على القصص النبوي لتكون في المنزلة التي أرادها الحق سبحانه وتعالى .

وقد تناول الأستاذ محمد حسن الزير في كتاب " القصص في الحديث النبوي" موضوع العقدة والحل في شرحه للحديث النبوي : " إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا وَرُبَمَا قَالَ : أَذْنَبَ ، فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ ، وَرُبَمَا قَالَ أَصَبْتُ فَاغْفِرْ لِي ، فَقَالَ رَبُّهُ : أعلم عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا . فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ فَقَالَ : أعلم عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثم أَذْنَبَ ذنبًا وَرُبَمَا قَالَ : أَصَابَ ذنبًا قَالَ : رَبِّ أَصَبْتُ أَوْ أَذْنَبْتُ آخر فَاغْفِرْهُ لِي ، فَقَالَ : أعلم عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ (1)" .

وعلق على هذا الحديث بقوله " فنحن هنا لا نلحظ العقدة التي تجعل من الحدث محورًا أساسيًا في خلق مشكلة ما ، إلا أننا أمام نوع آخر من " التأزيم" في الموقف الذي نتابعه ، يبدو في تكرار الحدث نفسه " الذنب والمغفرة " فالحدث " الذنب" حين يحصل يثير في نفس السامع هذا السؤال " هل سيعاقب المذنب أم سيغفر له ؟ " .

---

(1) " صحيح البخارى" 9 : 187 .

والنوع الثاني للمشكلة " يبدو في تعقيد الأحداث، وتأزيم المواقف بحيث نحس أن عنصر المشكلة في القصة موجود، وبشكل واضح، له آثاره البعيدة في كيان القصة ".
وهكذا نلمس إصرار الكاتب على تطبيق منهج القصة الفنية المعاصرة على القصة النبوية ذلك لأن " التأزيم " معناه أن يعمد القاص إلى افتعال أزمة فيها لتكوين العقدة ثم وضع الحل لها مع أننا نجد أن القصة لا تمثل لنا أي أزمة عند روايتها حيث أنها تصور لنا أن العبد مهما أذنب فإنه سيجد باب التوبة مفتوحاً حينما يستغفر مولاه، فالحديث يدل على سعة رحمة الله سبحانه.

وعندما نعيد النظر في هذا الحديث الذي رأى فيه الباحث تأزيماً للأحداث نجده بعيداً كل البعد عن مثل هذا التصور فالإنسان بطبيعته خطّاء، وكلما أذنب ذنباً فإن باب التوبة لا يوصد في وجهه وهو معنى عبّر عنه القرآن في آيات كثيرة كقوله تعالى: " قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ". (١)
وقال تعالى: " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ". (٢)
فأي تأزيم في ذكر التوبة بعد الذنب، وهو أمر يحدث في الحياة ويعرفه كل إنسان في سلوكه وعلاقته بربه.

إن هذه المحاولة للبحث عن العقدة والأزمة في الحديث النبوي إنما هي ابتغاء للشيء في غير مظانه وتعسف ظاهر في تطبيق مقاييس لم تكن مرعية في النثر الأدبي في ذلك العصر، ولو فرضنا أنها كانت مرعية لما اتبعها النبي (صلى الله عليه وسلم) فهو متّبع لمنهج القصة القرآنية في أهدافها، وتناولها للحقائق وابتعادها عن التصنّع والتكلّف.

---

(١) سورة الزمر / الآية : ٥٣ .
(٢) سورة آل عمران / الآية : ١٣٥ .

الحبكـــــة القصصيـــة

كان مصطلح الحبكة القصصية من المصطلحات الفنية التي ابتغى صاحب كتاب " القصص في الحديث النبوي " البحث عنها عند تحليله للقصص النبوي إذ يقول " . الغالب في أحداث القصة النبوية ، أنها تجري في نطاق الأسباب والنتائج .. من غير أن تبدو لنا الأسباب التي وقعت بالحدث في هذا الطريق ، ولكنه اتجاه في واقع الأمر يخدم الحبكة القصصية ، ويحقق الغرض القصصي في النهاية " (١) .

ولنأخذ على سبيل المثال قصة " شق الصدر " ثم يذكر نص الحديث عن عتبة بن عبد السلمي أنه حدثهم وكان من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ لَهُ رَجُل : كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ شَأْنِكَ يارَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بن بَكْر ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْن لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا ، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا ، فَقُلْتُ : يَاأَخِي اذْهَبْ فَأْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنَا ، فَانْطَلَقَ أَخِي وَمَكَثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ ، فَأَقْبَلَ طَائِرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ الْآخَر نَعَمْ ، فَأَقْبَلَا يَبْتَدِرَانِي فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي لِلْقَفَا ، فَشَقَّا بَطْنِي .... الحديث (٢) .

ثم يحلل الكاتب مايراه في هذا الحديث من حبكة قصصية فيقول : " فتعرف من هذه البداية أن الانطلاق في البهم لرعيها تم دون أن يتزودوا بأي زاد ، ثم إنهما تذاكرا فيما بعد أنه لابد لهما من زاد .

والرسول (صلى الله عليه وسلم) في البداية لايغفل هذه النقطة ، لتكون المبرر الذي من أجله - أمر أخاه بأن يذهب ليأتي لهما بالزاد ، وهو عامل أدى لأن يبقى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحيدًا ماهيأ للخطوة التالية في الأحداث حين أقبل الطائران الأبيضان ليؤديا مهمتهما في غيبة الأخ الذي ذهب يتزود (٣) .

---

(١) " القصص في الحديث النبوي " ص ١٠٠ .

(٢) سنن الدارمي : ١ : ١٦ - ١٧ .

(٣) " القصص في الحديث النبوي " ص ١٠٠ .

هذا ماجاء في تحليل الباحث لهذه القصة كما سماها حيث تجده يجعل الرسول عليه الصلاة والسلام مرتباً لأحداث القصة يسعى لحبك أحداثها ، وهذا مانرده عليه ، ذلك لأننا نجد أن أحداث هذا الخبر الذي سماه قصة إنما هي من صنع القدر وليست من عمل القاص ، فالقدر هو الذي جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يفارق أخاه من الرضاعة ليقع شق الصدر دون تدبير أوتخطيط من أحد هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فنحن نرفض ادخال هذا الخبر التاريخي في مفهوم القصة الأدبية لأن المقصود من هذا الخبر تسجيل الحدث لا التأثير والموعظة والعبرة .

وقد أوضحنا من قبل أن الخبر التاريخي ليس بقصة لأن القصة تروى بطريق معين ولهدف معين دون القصد لسرد حقائق تاريخية .

ومع ذلك فإننا نناقشه في هذا المنهج الذي اتخذه على فرض اعتبار ما استشهد به قصة ، فطريقته في تحليل هذه المقدمات تؤدي به إلى خطأ شنيع أخرج به هذا الحديث عن أن يكون رواية لخبر من الأخبار التي وقعت للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، فالأخبار لا يزاد فيها ولا ينقص ، إنما تحكي كما وقعت ، فادعاؤه " أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في البداية لا يغفل هذه النقطة لتكون المبرر الذي من أجله أمر أخاه بأن يذهب ليأتي لهما بالزاد ، وهو عامل أدى لأن يبقى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحيداً مهيأ للخطوة التالية في الأحداث ".(١)

إنما يعني أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد تدخل في ترتيب الأحداث ليفسح المجال لحدث معين وهذا عنصر الترتيب والتدبير الذي يجعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكأنه يسوق الأحداث كما يسوقها كاتب الرواية .

---

(١) " القصص في الحديث النبوي " ص ١٠٠ .

وهذا ما يؤكد لنا من جديد خطأ محاولة تطبيق هذه المقاييس القصصية التي تتحدث عن القصة باعتبارها عملاً أدبياً يصنعه الكاتب ، ويوجهه الوجهة التي يريد . على القصة النبوية التي هي أداة للدعوة والتربية الراشدة ، فإن القصة الفنية تقوم على التخييل في أحداثها وترتيبها وشخصياتها ، وبقدر ابتعادها عن حكاية الواقع بحذافيره يكون ارتقاؤها في درجات الفن .

وفي موقف آخر نجد الباحث المذكور يطبق مقياس الحبكة القصصية عند تحليله للقصص النبوي في موضوع البناء القصصي العام للقصة النبوية فيقول : " ومن الملاحظ في تشييد البناء القصصي العام في القصة النبوية أن الحبكة تتدخل في توجيه المسار القصصي ودفعه إلى النمو ، حين تحرص على الاستفادة من الشخصيات وتوظيفها . بحيث تدفعها إلى الحركة الدائمة بوضعها أمام مواقف جديدة ، تصنعها الحبكة أساساً لهذا الغرض ، مما يجعل الشخصية تتخذ سلوكاً معيناً ، أو تتجه اتجاهاً خاصاً يمليه عليها الموقف نفسه أحياناً ، وأحياناً أخرى يكون هذا الاتجاه نابعاً من ذاتيتها ، وما تلتزم في نفسها أساساً من قيم . . . ففي قصة " أصحاب الأخدود (1) " مثلاً نجد الحبكة تضع في طريق الغلام إلى الساحر راهباً ، ووجود هذا الراهب في طريق الغلام لم يكن مصادفة ، ولا شيئاً عابراً ، وإنما كان مقصوداً تطلبته الحبكة القصصية (2) "

وهذا المقياس أيضاً لا يجوز تطبيقه على القصة النبوية ، ذلك لأن عماد البراعة الفنية في القصة يتمثل في مدى قدرة القاص على التخييل والسبك والحبك في ترتيب الأحداث ترتيباً مقنعاً فنياً وصولاً إلى مغزى يريد القاص الإيحاء به وليس كذلك الأمر في القصة النبوية التي تتخذ الصدق بمعناه الحق ، ولا يمكن فيها تجاوز الحقائق .

---

(1) انظر نص القصة رقم (25) بعنوان الملك والساحر والغلام .

(2) " القصص في الحديث النبوي " ص 154 .

أما في القصة الأدبية بأن الأمر فيها مختلف : "على أن الصدق ـ حتى عند الواقعيين ـ ليس معناه حكاية الواقع كما هو ، أو سرد رواية التاريخ كما حدث ، إذ الفن يستلزم ـ بطبعه ـ الاختيار بين الأحداث وترتيبها على نحو خاص مقنع فنياً . بحيث توحي في عالمها المصور في القصة بالقضايا التي يؤمن بها القاص ويدعو إليها . وفي هذا يتجاوز القاص الواقعي نفسه عالم الواقع كما هو . فهذا الصدق ليس مرده وقوع حوادثه التي ساقها كما هي ، ولكن مرجعه إلى سياقها على طريقته المقنعة واقعياً وفنياً .

والقاص من أجل ذلك في حاجة إلى مهارة فنية يتجاوز بها مجرد سرد ما يقع . وبهذا نستطيع أن نفهم نصيحة "جورج دوهامل" لأديب قصصي ناشئ": أو أنت صادق النية فيما تريد ؟ إذن تعلم كيف تكذب "(1)

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : "يقصد بالكذب براعته في سبك الأحداث المختارة من الواقع وتبريرها فنياً . ويصرح "زولا" بأن الحيدة في الفن مستحيلة . وعلى القاص أن يستقي حوادث قصته من الواقع ـ ولكن لابد له من التدخل بترتيبها لتبريرها فنياً ، وهو ما تظهر فيه أصالته ، بحيث يقصد من وراء عرضها إلى تغيير الواقع في المجتمع"(2)

وهكذا نرى أن نقاد القصة في هذا العصر يوصون الكاتب بالكذب ، والكذب في نظرهم سبك الأحداث وحبكها فكيف يرتضي هؤلاء تطبيق هذا المقياس على القصص النبوي ، وكيف يحاولون الربط بينه وبين هذه الدائرة الفنية التي عمادها الكذب والتي تجعله مقياساً فنياً لبراعة القاص، والعمل الفني يكون بترتيب الأحداث بحيث تصل بالقارئ إلى النتيجة التي يريدها القاص وعند نقاد القصة أن الذي يسجل الأحداث كما وقعت إنما هو كالشرطي الذي يكتب محضر الحادثة .

---

(1) (2) "النقد الأدبي الحديث" ص ٥٢٩

والقواعد الفنية للقصة لا تتقيد بالواقع في ترتيب بعض أحداثها وإن كان فيها بعض الواقع بل تطلق المجال للخيال في سبك الأحداث وصولاً إلى الغاية المتغياة منها .

إن اتباع هذا الأسلوب المتعسف في دراسة القصة النبوية يؤدي إلى التكلف والمبالغة . ولنأخذ مثلاً : الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي ، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّيْهِ مَاءً ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ " (١)

فهذا الحديث تصوير لموقف بشري استيقظت فيه مشاعر الرحمة بالحيوان في نفس الإنسان ، ولا يتصور أن يكون في هذا السياق السهل القريب ما يراه صاحب كتاب " القصص في الحديث النبوي" من أن القصة تحتوي على مشكلة معقدة تتأزم حتى تصل إلى حد الصراع الذاتي " ومن قبيل الصراع الذاتي ، الذي يحدث بين البطل نفسه ما تصور جانباً منه قصة الكلب اللاهث من العطش حيث نجد البطل بعد أن خرج من البئر مرويًا ظمأه يفاجأ بكلب عند حافة البئر في حالة يرثى لها من العطش الشديد ، فقد بلغ الأمر به إلى حد أنه يأكل الثرى من العطش " (٢)

---

(١) صحيح البخاري : ٨ + ١١ .

(٢) " القصص في الحديث النبوي ص ١٧٨ .

وهنا بداية الأزمة في نظره فيدور صراع ذاتي بينه وبين نفسه لحل هذه الأزمة إنه أمام كلب عطشان ولكن الماء ليس في متناول اليد ، فهو يتطلب من الرجل نزولاً وصعوداً ،فلابد من أجل إرواء هذا الكلب من بذل جهد ليس بالهين ،إنه أمام موقف يثير في نفسه الشفقة والعطف ويدور في نفسه صراع ،أيذهب إلى حال سبيله ،أم ينزل ويسقي هذا الكلب، ويكون حل الأزمة بانتصار الخير في نفسه ، وهكذا ينتصر في نفسه جانب الخير ، ومشاعر العطف .(١)

---

(١) " القصص في الحديث النبوي " ص ١٧٨ .

الشخصيّات وألوانها :

عندما قص الرسول (صلى الله عليه وسلم) القصص النبوي على أصحابه خاصة وعلى المؤمنين عامة تلقّاها الجميع بعقول وعت حقيقة الإيمان ففهمت ما يلقى إليها من حكمة، ولمست ببصيرتها الناقدة المعاني التي أرادها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ففهمت تلك المعاني بفطرتها السليمة التي فطرت عليها .

ومن هنا فلا حاجة بنا إلى النظر إلى القصص النبوي من طريق المقاييس المصطنعة، أو تطبيق المعايير الأدبية الحديثة بحجة الكشف عن الإبداع في البيان النبوي .

ومن أخطاء المعاصرين كما بينا ، النظر إلى شخصيات القصة النبوية على أنها شخصيات بطولية تنوّعت درجات أدوارها، وأهميتها في القصة، وممن اتجه إلى هذا النوع من المعالجة ؛ الدكتور عزالدين السيد في كتاب " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " حيث نجده يستخرج الشخصيات الإنسانية أو أبطال القصة كما سماها ويصف الدور الذى تمثله الشخصية فنجده عند تحليله لقصة " أصحاب الأخدود " على سبيل المثال . . . نجده يخرج الشخصيات الإنسانية ويقول : " أبطال القصة ؛ ملك - ساحر - جليس الملك - راهب - غلام - جمهور - صانعو الأخدود - امرأة وطفل [1] " ثم يحاول أن يرسم صورة الشخصية التي مثلت في مسرح أحداث القصة فيقول عن شخصية الملك : " ظاهر مسيطر في بطولة الشر ، يستمر ظاهراً في العرض حتى النهاية، فيختفي مصيره ويبهم [2] " ويقول عن شخصية الساحر " بطل يؤدي دوراً تمهيدياً ثم يختفي ، لأن استمرار وجوده غير مقصود ولا مهم ، وهو عنصر مساعد في تقرير بطولة الشر والباطل [3] " ويقول عن شخصية الراهب " البطل الممهد لتصوير فكرة الحق والخير [4] " .

---

(1) " الحديث النبوي من الوجهة البلاغية " ص ٤٤٥ .
(2) المرجع السابق . ٤٤٥ .
(3) (4) " " ٤٤٦ .

ويقول عن شخصية الغلام : "بطل الأبطال ولد في القصة بعد الملك والساحر صاحبي فكرة الشر ، يظل مسيطراً ظاهراً إلى أن يسلم القصة لأبطال مثله آخرين (١) ".
وقال عن جليس الملك : "بطل من أبطال الخير يظهر ثم يختفي بعد الدلالة على الغلام (٢) " ، وقال عن جمهور المعذبين للغلام : "جند مغلوب مسخّر كفكرة الشر والباطل ـ تجارب تصيرة دالة لمن يعتبر ـ يظهرون ويختفون (٣) ".
وقال عن جمهور الشعب في الموقف الحاسم : "يظهرون نظارة ثم يتحولون أبطالاً فدائيين لفكرة الخير والحق (٤) ".
وقال عن صانعي الأخدود زبانية النار : "يظهرون في الفصل النهائي ثم يختفون (٥) ".
وقال الأم وابنها "آخر الدراما أو مأساة الخير والشر تمثل القمة التي تترك الناظر مبهوراً والقلب واجفاً . . . وفيها خارقة إلهية هي نطق الغلام (٦) ".

إن استعراض أدوار الشخصيات على هذا النحو يقع تحت تأثير العرض المسرحي لكل شخصية وجودها المحدود أو الممتد، وهذا أيضا مخالف للتصور الصحيح للقصة النبوية فهي إخبار بما وقع على وجه الذي وقع، وليس فيها قصد إلى إبراز بعض الشخصيات وإغفال البعض الآخر، بل إن لكل شخصية فيها وجودها الواقعي الصحيح . ثم إن فكرة البطولة في حد ذاتها مخالفة للتصور الإسلامي فلكل إنسان قيمته مهما كان ضعيفاً أو قليل الموهبة، ومقياس البطولة إنما يرجع إلى التقوى كما قال الحق سبحانه وتعالى : "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (٧) ".

لـذا فالنظر لشخصيات القصة على أنها تظهر وتختفي، وأخرى تؤدي دوراً تمهيدياً وثانية تمثل بطل الأبطال ، كل هذا يدل على أن هناك معالجة فنية وليس

---

(١) (٢) (٣) (٤) المرجع السابق ص ٤٤٧ .

(٥) (٦) "الحديث النبوي من الوجهة البلاغية" ص ٤٤٧ .

(٧) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

إخباراً للحقيقة . من هنا ندرك تمام الإدراك أن تقليد الصياغة الأدبية الخيالية على القصة النبوية يؤدي إلى محاذير دينية وأدبية ، وهو نوع من التكلف لا مبرر له .
وقد تناول صاحب كتاب " القصص في الحديث النبوي " موضوع الشخصيات في كتابه في فصل سماه " العناصر الفنية في القصة " وقد تناول الشخصية بقوله " إن الشخصية لا تثبت وجودها إلا من خلال ما تقوم به من أحداث ، أو ما تؤديه من أقوال (١) " .
وسبق حديثه عن الشخصيات التي اعتبرها شخصيات من وجه نظره بفصلين خاصين : الفصل الأول سماه " الله جل جلاله في القصة " والفصل الثاني " الراوي في القصة " وفي الفصل الأول يعرض الباحث حديثه عن الله جل جلاله في القصة ويقول : منزهاً الله تعالى عن التشخيص أو التجسيم " أجد من المناسب أ أعرض لما تحاول القصة النبوية أن تمدنا به من تصور عن " الله " جل جلاله ، أعرض لذلك في صورة مستقلة عن أي عنوان يوحي بالتشخيص أو التجسيم ، ذلك أن دواعي التأدب مع الذات الإلهية ، وواجب التنزيه لله من الشبيه والمثيل تقتضينا أن نفرد الحديث عن الله في القصة بعيداً عن مجال الحديث عن الشخصيات في القصة (٢) " .
ولكن بعد دراسة ما كتب في هذا الفصل نجد أن هذا المعنى الذي أراده الباحث من تنزيه الله سبحانه عن التشخيص والتجسيم لا يتضح وذلك لأننا نجده يقول : " والقصة النبوية قد اشتملت في كثير من نصوصها على أفعال وأقوال صادرة عن الله تبارك وتعالى ، وهي أقوال وأفعال ذات أثر بارز في سياق القصة ، ولها مكانها الأصيل في البناء الروائي (٣) " .
فكيف يكون الاتفاق بين الحرص على تنزيه الله عن التشخيص والتجسيم بينما يقول : " إن الأفعال والأقوال في كثير من نصوص القصة النبوية صادرة عن الله تبارك وتعالى ، وقد قرر الباحث أن الشخصية لا يثبت وجودها إلا من خلال ما تقوم به من أحداث أو ما تؤديه

---

(١) " القصص في الحديث النبوي " ص ١٨٥ .
(٢) المرجع السابق ١٨٦ .
(٣) " القصص في الحديث النبوي " ص ١٨٦ .

من أقـوال ؟! بعـد ذلك يعرض الكاتب نماذج من الأمثلـة لسين أفعال اللـــــه وأقواله التي جاءت في القصص النبوي " والرياح يرسلها الله إلى حيث يشـاء ، ولتؤدي ما يريـده سـبحانه [1] " ، " والملائكة جند الله الذين لا يعصون ما أمرهم ويفعلـون ما يؤمرون ، يوجههم بوحيه وأمره [2] " ، " وكذلك الحيوانات والطيور خاضعة لأمر الله محققة لإرادته شأنها شأن غيرها من خلق الله [3] " ، " وكذلك المطر يرسله تعالى لتحقيق ما يريد ، فحين ينفخ في الصور، ويصعق الناس ، يرسل الله المطر حيث تنبت منه أجسـاد النـاس [4] " .

وقد تعرض الباحث في بحثه هذا للتصور الإغريقي في الأساطير اليونانية ، ونـشـأة دينها وآلهتها، وعقد مقارنة بين الصورة الإسلامية والصورة الإغريقية " ونجد في إحـدى الأساطير اليونانية فكرة عن نشأة دينهم وآلهتهم ، وهي تصور لنا أن الكون بدأ بظهـور ثلاث مخلوقات : الفوضى ، والأرض ، والحب ، وبعد هذه المخلوقات نشأت السماء ، وجماعات من الشياطين والعمالقـة ... الخ [5] " .

وتعرض أيضا لكائن الأسطوري بروميثيـوس " فبروميثيوس كائن أسطوري كان الإله زيوس يستخدمه في خلق الناس من الماء والطين ، وقد أحس بالعطف نحو البشر ، فسرق لهم النار المقدسة من السماء، وأعطاها لهم ، فعاقبه زيوس على ذلك بأن قيّده بالسلاسل في جبال القوقاز حيث وكل به نسرًا يرعى كبده طول اليوم، وتتجدد الكبد في أثنـاء الليل ، ليتجدد عذابه في النهار ... [6] "

---

(١) " القصص في الحديث النبوي " ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٠ .

(٣) " " " " ص ١٩١ .

(٤) " " " " ص ١٩١ .

(٥) " " " " ص ١٨٧ .

(٦) " " " " ص ١٨٨ .

وقال معلقاً لما ذكره من تصور الإغريق للآلهة " إنه تصور متيت لحقيقة الألوهية في خيال الإغريق ،فأي آلهة هذه التي تنظر للبشر نظرة كره وعداء ،وتحاول أن تحرمهم من الإنتفاع بالنار المقدسة ،ثم هي متصفة بالعجز ،وحب الشر ،فحين تسرق منها النار لا تقدر على استردادها منهم ،ولكنها تلجأ إلى الانتقام . . . (١)" .

والذي نراه أن الحديث عن الذات الإلهية في القصة النبوية كان ينبغي أن يكون في إطار تناول موضوعاتها لا شخصياتها لأن تعريف الباحث للشخصية بأنها لا تكون إلا بإثبات أفعالها وأقوالها ثم تصريحه بأن القصة النبوية تتضمن أفعالاً وأقوالاً لله تعالى يربط بين تعريف الشخصية في القصة،وبين حديث القصة عن الله سبحانه ،وهذا ما ينبغي التنزه عنه أو تجنبه حتى لا يتبادر إلى الأذهان أن الله سبحانه وتعالى شخصية من شخصيات القصة في الحديث النبوي،والحقيقة أن الحديث عن الله سبحانه ذاتاً وصفات هو الموضوع الأساسي في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ومن هنا فإن على الباحث في الكتاب والسنة أن ينتبه إلى هذه الحقيقة حتى لا تزل قدمه في محاولة اتباع المناهج المعاصرة في القصة،ولا يحتاج الأمر هنا الإشارة إلى أن للأفعال والأقوال المنسوبة لله سبحانه وتعالى في القصة،أثرها البارز مادمنا نعتقد أن القصة النبوية مسوقة لتقريب العباد بربهم،وتبصيرهم بصفاته وآلائه،ولا ندري ما الذى جعل هذا الباحث يتكلف الحديث عن صورة الآلهة في أساطير الإغريق في صدد حديثه عن الذات الإلهية كما يتضح في الحديث عن القصص النبوي إلا إذا كان متأثراً بفكرة الشخصية في القصة،وهو الأمر الذي نفاه في إعلانه للتنزيه والتأدب أمام الذات الإلهية ! .

أما الفصل الثاني والذى اتخذ له عنوان " الراوي في القصة " فهو يرى أن الراوي في القصة وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد يكون شخصية من الشخصيات المشاركة في

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٨ .

القصة تارة، وتارة يراه قاصاً يتحدث عن نفسه في القصة : " أما علاقة الراوي بأحداث العمل القصصي وشخصياته، فتأتي من أنه قد يكون أحد هذه الشخصيات المشاركة في صنع أحداثها، فيكون الراوي متحدثاً عن نفسه في القصة، وكأنما هو يكتب مذكرات، ويقص بعض تجاربه التي مرت به كما تجد مثل ذلك في القصص الواقعة للرسول (صلى الله عليه وسلم) (١) ".

والخطأ في هذا التصور من وجهين :

أولهما : اعتبار أحاديث السيرة النبوية، وأخبار الدعوة قصصاً وقد بينّا خطأ هذا الاعتبار .

وثانيهما : اعتبار الرسول (صلى الله عليه وسلم) شخصية من شخصيات القصة المشاركة في صنع أحداثها .

ونحن وإن كنّا نحسن الظن بهذا الباحث من الناحية الدينية، لكننا نود أن يكون مرهف الحس في استخدام الألفاظ المنسوبة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) والمتعلقة بجانب من جوانب بيانه وهو القصص .

وحتى إذا سلمنا للباحث ما يراه من اعتبار النبي (صلى الله عليه وسلم) شخصية مشاركة في صنع أحداث القصة، فإننا نحاكمه إلى المنهج الفني الحديث في نقد القصة الذي طالما رجع الباحث إليه، فإن هذه المشاركة من جانبه لا تعد فضيلة من الناحية الفنية بل عيباً فنياً .

كما يقول الدكتور محمد غنيمي هلال " ومن العيب في القصص الحديث أن يتدخل المؤلف تدخلاً سافراً بالشرح أو التعليل، مستقلاً في ذلك عن الحوار والحديث النفسي فينبغي أن يكون تدخله مستوراً، وفي أضيق الحدود (٢) ".

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) " النقد الأدبي الحديث " ص ٥٥٠ .

وكذلك يقول د. محمد غنيمي هلال " والكاتب يخلق أشخاصه، مستوحياً في خلقهم الواقع، مستعيناً بالتجارب التي عاناها أو لحظها، وهو يعرف كل شيء عنهم ولكنه لا يفضي بكل شيء، فلا يصح أن يذكر تفصيلات الحياة اليومية إذا كانت لا تمت بصلة إلى فكرة القصة (1)".

ومما يرد به على هذا القول من الناحية الفنية أن كتابة المذكرات والأحداث الخاصة بكاتب القصة لا يعتبر من القصص في شيء وإنما يعد من قبيل السيرة الذاتية، ومن هنا لا يهتم لهذا الباحث شيء مما أراد في هذا الجانب في صدد حديثه عن موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قصصه.

وقد قسم صاحب كتاب " القصص في الحديث النبوي " شخصيات القصة النبوية إلى قسمين: (2)

1 - شخصيات بشرية وتتضمن:

أ - الأنبياء.

ب - رجالاً ونساء عاديين:

2 - شخصيات بشرية وتتضمن:

أ - الملائكة.

ب - حيوانات وطيور وجمادات.

جـ - الجن.

د - الشيطان.

هـ - شخصيات معنوية.

وهذا التقسيم العجيب يأباه المفهوم الفني للقصة، فالمقاييس الفنية للقصة لا تعرف إلا الشخصيات الإنسانية التي تمثل المعاني الإنسانية، وتكون محور الأفكار

---

(1) المرجع السابق ص ٥٦٤.

(2) راجع " القصص في الحديث النبوي " ص ٢٠٢ - ٢٢٧.

والآراء العامة ،فتحركها وتفاعلها يكون متمثلاً في وعيها الفردي متفاعلاً مع الوعي العام وسط مجموعة من القيم الإنسانية .

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : " الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية ، ومحور الأفكار والآراء العامة ،ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة ... إذ لا يسوق الناس أفكاره وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوي ،بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما ،وإلا كانت مجرد دعاية ،وفقدت بذلك أثرها الاجتماعي وقيمتها الفنية معاً ،فلا مناص من أن تحيا الأفكار في الأشخاص،أو تحيا بها الأشخاص،وسط مجموعة من القيم الإنسانية يظهر فيها الوعي الفردي متفاعلاً مع الوعي العام [1] ".

ومعنى ذلك أن مقاييس القصة الفنية تطالب باختيار الشخصيات الإنسانية الواعية التي تتحرك ضمن منطق المجتمع والبيئة،وما عدا ذلك يخرج خارج هذه الدائرة إذ لا وجود لوعي فردي معزول عن الضمير الإنساني العام . ومع أن صاحب كتاب " القصص في الحديث النبوي " قد حاول الرجوع إلى المقاييس الفنية في دراسته للقصة النبوية إلا أنه في مجال دراسته للشخصيات قد خرج عن كل مقياس إذ نراه يدخل الملائكة والحيوانات والطيور والجمادات والجن والشياطين والمعاني ضمن دائرة الشخصيات .

أ - فعن الملائكة يقول : (من شخصيات القصة البارزة شخصيات الملائكة ،ولهم وجود واضح على مسرح الأحداث بصورة إيجابية ،والغالب أنهم لا يردون في القصة معينين بأسمائهم ،فلم يذكر منهم باسمه إلا ثلاثة ،" جبريل (عليه السلام) وذكر "١١" مرة ،و "ميكائيل" وذكر مرتين ،و " مالك " وذكر مرتين أيضا ... بينما نجد شخصيات ملائكية غير مسماه في "٥٤" موضعاً ،منهم "٣٧" أشير إليه بأنه " ملك " صراحة أو ضمناً ،و "٧" منهم أشير إليه بلفظ "مناد") [2] .

---

(١) " النقد الأدبي الحديث " ص ٥٦٢ .

(٢) " القصص في الحديث النبوي " ص ٢٢٢ .

وقد عرض الباحث الكثير من الأمثلة عن الملائكة بناء على القاعدة التي رسمها لنفسه ،فيذكر حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين رأى جبريل عليه السلام لأول مرة معلقاً في الهواء بين السماء والأرض على كرسي على أنه قصة وأعطى للحديث عنوان " جبريل " (1) .

كما استشهد بحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما جاءه الملكان فشقا صدره قبل البعثة على أنه قصة سماها " شق الصدر ، وقال معلقا " كما أنهم يظهرون في صور أخرى غير بشرية ،كأن يأتوا على هيئة طيور مثلاً " (2) .

ثم تحدث طويلاً عن وظائف الملائكة وقال " ومن وظائفهم تنفيذ جميع الأوامر الإلهية وهم " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (3) " دائماً وأبداً ،فقد يطلب الله عز وجل منهم أن يقوموا بمهمات في الأرض مع البشر كإيصال الوحي إلى الأنبياء (4)".

" وأحياناً يكلفون باختيار بعض الناس في الدنيا بنوع الابتلاء يكشف مدى صلاحهم من فسادهم ، كما نجد في قصة الثلاثة " الأبرص والأقرع والأعمى " حين أراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً ،أدى مهمته معهم خير أداء (5) ".

ويقول أيضاً : " ومن المهمات التي أوكلت إلى واحد من الملائكة ،مهمة قبض الأرواح ،وقد كلف بها عزرائيل ملك الموت (6) ".

وقد أتعب الباحث نفسه بإدخاله الملائكة ضمن دائرة الشخصيات المدركة وهذا ما لا يصح طبقاً لما تقرر في سمات الشخصية الفنية القصصية التي تستوجب أن تكون إنسانية ،ومحورها يدور حول الأفكار العامة غير المنفصلة عن المحيط الحيوي للمجتمع

---

(1) " القصص في الحديث النبوي " ص ٢٢٢ .
(2) " " " " " " " ص ٢٢٣ .
(3) سورة التحريم / الآية : ٦ .
(4) " القصص في الحديث النبوي " ص ٢٢٣ .
(5) المرجع السابق ص ٢٢٤ .
(6) " " " ص ٢٢٤ .

الإنساني ، وإلاّ كانت في نظر نقاد القصة مجرد دعاية تفقد أثرها الاجتماعي الذي لا يحيا إلاّ وسط مجموعة من القيم الإنسانية المتفاعلة مع الوعي العام .

ب - وقد ذكر هذا الباحث الحيوانات والطيور والجمادات على أنها النوع الثاني من الشخصيات غير البشرية ، بعد الملائكة وفيها يقول : " وهذه الشخصيات قد تكون ذات أدوار بارزة في القصة ، وتعامل كأنها شخصيات بشرية ، فهي تخاطب مثلاً كالطير في قصة " داود وملك الموت " حين قال سليمان عليه السلام للطير : " أظلّي داود فاظلته ، ثم طلب منها أن تقبض جناحا جناحا ففعلت[1] أو تتكلم كالقبر في قصة " روضة أو حفرة " وقد ذكرت لنا القصة أنه لم يأت يوم على القبر إلاّ وتكلم فيه [2] ، وكالشجر والحجر في أكثر من قصة حين يقول للمسلم ; يامسلم إن تحتي كافراً ، فتعال فاقتله [3] ، والجنة والنار في افتخارهما وكلامهما في ذلك [4] .

وأحياناً تكون الأدوار عادية ؛ بحيث تعرض القصة أمثال هذه الشخصيات في صورة عادية كأن يكون لها دور تكميلي للحدث ، أو لها أدنى صلة به في قصة الخضر وموسى [5] ،

---

(1) مسند أحمد بن حنبل ٢ : ٤١٩ .

(2) مسند الترمذي ٤ : ٦٣٩ - ٦٤٠ .

(3) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ١٨٩ - ١٩٠ .

(4) مسند أحمد بن حنبل ٣ : ١٣ .

(5) انظر نص القصة (٢) في هذه الرسالة .

وكذلك العصفور الذي وقع على حرف السفينة [1]، وكالدابة التي ظهرت في طريق الناس وسدتها في قصة "أصحاب الأخدود" [2]. وكالطائر العائف الذي دل الجرهميين على الماء في قصة "إبراهيم وإسماعيل" [3] أو تكون سبباً للحدث كالكلب العطشان في قصتي (المومسة والكلب) [4] و"الكلب اللاهث من العطش [5]".
وكالذئب في قصة المرأتين" [6] أو النملة التي لدغت النبي [7] و[8].

---

(١) انظر نص القصة رقم -٢- في هذه الرسالة.

(٢) " " " -٥٢- وهي بعنوان الملك والساحر والغلام.

(٣) " " " - ١ - في هذه الرسالة.

(٤) " " " - ٤١ - في هذه الرسالة.

(٥) " " " -٢٣- في هذه الرسالة .

(٦) " " " - ٨ - " " .

(٧) " " " -١٥- " " "

(٨) راجع القصص في الحديث النبوي " ص ٢٢٦ .

ونرى أنه من الممكن تسمية هذه الأشياء التي اعتبرها هذا الباحث شخصيات بالموجودات في القصة ، أما تسميتها بالشخصيات فإنه مخالفة للأصول الفنية للقصة التي يحرص الباحث على اتباعها ، كما أنه يناقض المفهوم اللغوي لكلمة شخصية إذ هي نسبة إلى شخص والشخص لا يطلق إلا على العاقل فلا يمكن تسمية الشجر والحجر شخصاً، ولا الطائر والحوت والكلب والدابة والذئب والنملة شخصاً ، وكذلك الأمر في الأمكنة فلا يمكن تسمية القبر والجنة والنار شخصيات ، بل هي جمادات لا تحس ولا تتحرك .

جـ - وقد اعتبر هذا الباحث الجن والشياطين من الشخصيات فقال عن الجن : "ولم يذكر الجن في القصة النبوية إلا مرة واحدة في قصة "الشهب المرمية" في بيان سبب الشهب التي يراها الناس في بعض الأحيان حيث بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنها شهب ترمى بأمر الله تبارك وتعالى على الجن يقومون باستراق السمع"(١)

وقال عن الشياطين : "وقد وردت شخصية "الشيطان" كشخصية لها دور في بعض الأحداث في قصتين فقط ، مرة في قصة "النفخ في الصور" حيث يتمثل الشيطان للناس فيدعوهم إلى عبادة الأوثان ... ومرة أخرى في قصة "نزول عيسى "عليه السلام" فقد جاء الشيطان إلى المسلمين، وهم يقتسمون الغنائم بعد أن فرغوا من قتال الروم ، وصاح فيهم بأن الدجال قد خرج ، وأنه قد خلفهم في أهليهم وهو في ذلك كاذب في الواقع ، وإنما يريد إرباكهم وإرهابهم ، وهي أدوار شيطانية كما هي واضحة تتسم مع هدف الشيطان العدو المبين للإنسان ... الحريص على إغوائه وإهلاكه "(٢)

ونرد على هذا التصور الخاطيء في فهم حقيقة الشخصيات من عدة وجوه .

---

(١) القصص في الحديث النبوي " ص ٢٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٧

أولاً : إن اعتبار الجن والشياطين من الشخصيات خطأ فادح في مفهوم الشخصية في القصة ، وذلك لأن الشيطان لا يرى ولا يسمع فلا يجوز أن يعتبر من الشخصيات في القصة ، إذ ليس له فيها حركة ظاهرة .

ثانياً : إن الحديث الذي سماه قصة " الشهب المرمية " لا يصح اعتباره قصة ، وإنما هو خبر عن مصير الجن الذين يقومون باستراق السمع حيث يأمر الله تبارك وتعالى بقذف الشهب عليهم، وهذا الأمر لا يقتصر على الماضي ، وإنما هو واقع في الحاضر وإلى آخر الزمان فكيف يكون هذا الحديث قصة ، وهي تقتضي حكاية ما وقع في الماضي على وجه العبرة .

ثالثاً : إن تقريره أن الجن لم تذكر في القصة النبوية إلا مرة واحدة " تقرير غير صحيح فقد جاء ذكر الجن في قوله عليه الصلاة والسلام : " إِنَّ عِفْرِيتاً مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ فَأَمكنني اللَّهُ مِنْهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي قَالَ رَوْحٌ فَرَدَّهُ خَاسِئاً ".(١)

ولكنا لا نعتبر هذا الخبر قصة ، جرياً على المنهج القويم في تحديد معنى القصة ، كما سبق إيضاحه ، بل هو حدث من أحداث السيرة النبوية .

وأما اعتباره حديث " النفخ في الصور " قصة فهو قول يجانب الصواب ، لأن الحديث من أشراط الساعة التي لم تقع بعد ، وقد أوضحنا فيما سلف إن أحداث المستقبل لا يمكن اعتبارها من جنس القصة النبوية .

وكذلك ذكر الباحث أمر الشيطان في حديث " نزول عيسى " وهو لا يعد من القصة في شيء ، ولا يجعل للشيطان شخصية من شخصيات القصة النبوية .

---

(١) " صحيح البخاري " ١ - ١٢٤ .
وانظر مسند أحمد بن حنبل ٢ - ٢٩٨ .

وقد قرر الباحث أن الشيطان لم يرد في القصص النبوي إلا في قصتين فقط ، والحق أن الحديث النبوي قد تعرض لذكر الشيطان، والتحذير من كيده في مواطن كثيرة في حكاية آدم وحواء في الجنة وأثر الشيطان في إخراجهما منها تفسيراً لما جاء في القرآن، وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ ثم يَبْعَثُ سَرَايَاهُ في النَّاسِ فَأَقْرَبُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ فِتْنَةً ، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَازِلْتُ بِفُلَان حَتَى تَرَكْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا . فَيَقُولُ إِبْلِيسُ لا وَاللهِ مَاصَنَعْتَ شَيْئاً وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَاتَرَكْتُهُ حَتَى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ . قَالَ فَيُقَرِّبُهُ وَيُدْنِيهِ وَيَقُولُ نَعَمْ أَنْتَ يُرْوَى بِفَتْحِ النُونِ بِمَعْنَى نِعْمَ أَنْتَ ذَاكَ الذي تَسْتَحِقُّ الإِكْرَامَ . ويكسرها أي نِعْمَ مِنْكَ ".(١)

الشخصيات المعنوية :

وذكر الباحث في شخصيات القصص النبوي ما اسماه "بالشخصيات المعنوية" كالعمل الصالح " والعمل الطالح حين أسند لهما أدوار يقومون بها كأنهم أشخاص من البشر في قصة "الأسئلة الثلاثة" حيث نجد الميت يأتي إليه عمله وهو "آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ ، طَيِّبُ الرِيحِ حَسَنُ الثِّيَابِ فَيَقُولُ : ابْشِرْ بِكَرَامَةٍ مِنَ اللَّهِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ ، فَيَقُولُ : وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَالِحُ ... الخ(٢)

وهكذا ينشأ بينهما حوار وكلام !!

ومثل ذلك العمل الطالح يأتى إلى الميت ويقوم بينهما حوار وكلام !!

ومن هذه الشخصيات المعنوية التي تبرز في القصة، وكأن لها كياناً مادياً جسداً "الموت" يوم القيامة حيث يؤتى بالموت على هيئة كبش أملح ... ويوقف على السور بين الجنة والنار ... ويذبح ذبحاً بعد أن يطلع عليه كل من أهل الجنة ".(٣)

---

(١) صحيح مسلم ٤: ٢١٦٧ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

وأنظر سنن النسائي ٤ : ٧٩ ـ ٨٠ .

(٣) القصص في الحديث النبوى ص ٢٢٧ .

وهذا التصور أيضاً من التصورات الخاطئة التي وقع فيها صاحب كتاب " القصص في الحديث النبوي . فليست هذه الأخبار المتعلقة بالمستقبل قصة ، كما أنه لا يجوز بحال من الأحوال اعتبار المعاني المجردة من قبيل الشخصيات حتى وإن جاء تصويرها في هيئة محسوسة، فكيف نعتبر العمل الصالح أو العمل الطالح شخصية ؟ وهو في الحقيقة نتاج الشخصية وأثر من آثارها، فالإنسان هو الذي يكسب العمل الصالح أو الطالح ... فإذا رأى في قبره العمل الصالح في صورة حسنه ... أو رأى العمل السيء في صورة قبيحة ، فإن ذلك لا يجعل هذا التصوير مبرراً لخلع صفة الشخصية الفنية في القصة على صورة العمل الصالح أو الطالح .

ولعله قد اختلط عليه الأمر ، بين الحقيقة والمجاز ، فإذا قلنا مثلا " هذا رجل صامت ولكن عمله يتحدث عنه " فإن إطلاق لفظ الحديث على العمل لا يعني أن العمل أصبح شخصية له حركتها وملامحها وحديثها ، وإنما هو إطلاق على سبيل المجاز .

وقد عرف العرب لسان الحال ، كما عرفوا لسان المقال وأشعارهم في مخاطبة الرسوم واستنطاق الديار الصامتة شاهد على ذلك :

قال أبو نواس في تصوير الدار التي وقف عليها :

أَسَائِلَ الدَّارَ هَلْ تَنْطِقُ .·. أَنَا مَكَانُ الدَّارِ لَا أَنْطِقُ
كَأَنَّهَا إِذْ خَرِسَتْ جَارِمُ .·. بَيْنَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ (١)

لكن هذا التصوير لا يبرر اعتبار الجماد شخصية فكيف بمن يجعل المعاني المجردة شخصيات ، أو يعتبر الموت والعدم شخصية ، مع أن العدم لا يقبل الوجود في ذاته فالزوال فناء فكيف يسمى شخصية ؟ !

---

(١) " كتاب الصناعتين الكتابة والشعر " لأبي هلال العسكري ص ٧٧ .

حكايـة الأبطـال في القصـة :

أخطأ بعض الباحثين المعاصرين في فهم معنى البطولة والبطل في القصة الفنية ، فكيف بمن يطبق هذا الفهم الخاطئ على القصة النبوية إصرارًا على اتباع المقاييس الفنيـة في دراسة القصة النبوية ، فقد الصق صاحب كتاب " القصص في الحديث النبوي " مفهومًا خاصًا في فهم دور البطل عند تحليله لقصة " الكلب اللاهث من العطش "(١) حيث قال : نجد البطل بعد أن خرج من البئر مرويًا ظمأه ، يفاجأ بكلب عند حافة البئر في حالة يرثى لها من العطش الشديد ، فقد بلغ الأمر به إلى حد أنه يأكل الثرى من العطش "(٢)

ونرى أن اطلاق لفظ البطل في القصة الفنية ، يستوجب وجود شخصيات أخرى يتفوق عليها هذا البطل ، ويستأثر باهتمام كاتب القصة : " إن في كل قصة شخصًا أو أشخاصًا يقومون بدور رئيسي فيها إلى جانب شخصيات أخرى ذات دور أو أدوار ثانوية ولا بد أن يقوم بينهم جميعًا رباط يوحد اتجاه القصة ويتضافر على ثار حركتها(٣)

ولكن ذلك المقياس بعد قديمًا فإن المدرسة الفنية الحديثة تجعل الشخصيات جميعًا أبطالاً وكل واحد منهم له كيان كامل " وقد كان من المألوف في القصة أن يقوم شخص من أشخاصها بدور البطولة في أحداثها وينال تصويره من الكاتب العناية الكبرى ويكون محور القصة ، والرابطة بين مختلف أشخاصها الآخرين ، وقد يكون مع ذلك معبرًا عن سلوك كثير من أهل طبقته الاجتماعية(٤) ولكن منذ ظهور الواقعين والطبيعيين " قد غلب على القصة في الآداب الغربية اتجاه آخر ، يتضح فيه إهمال البطل في معناه السابق ، إذ أصبح يقصد القاص إلى تصوير عدة أشخاص ، لا يختص بعنايته واحدًا منهم بوصفه " البطل "

---

(١) انظر نص القصة رقم (٣٢) في هذه الرسالة .

(٢) "القصص في الحديث النبوي" ص ١٧٨ .

(٣) "النقد الأدبي الحديث" ص ٥٦٩

(٤) المرجع السابق ص ٥٧٠ .

وإنما يوليهم جميعاً عنايته. وقد يتفاوتون فيها بعض التفاوت ، فيكون من بينهم شخصية رئيسية تفوق من سواها في القصة ولكنهم يتقاربون جميعاً في هذه العناية " (١) .

ومن هنا فلا يسوغ اعتبار الرجل الذي سقى الكلب بطلاً فإن البطل يستدعي وجود شخصيات أخرى لها حركتها ، والحديث النبوي في الجانب القصصي لا يوجه الاهتمام إلى الشخصية بقدر ما يوجهه إلى الحدث ، لأن العبرة المقصودة تكمن في الحدث لا في الشخصية باعتبارها شخصيات معتادة ، أو ذات بطولة.

إن القصة النبوية غالباً لا تعني باسم الشخصية أو مكانها أو زمانها ، ولهذا نرى أن كلمة بطل مرفوضة من الناحية الفنية ، وأيضاً مرفوضة من الناحية الدينية ، لأن القصة النبوية لا تمنح اهتماماً لشخصية دون أخرى إلا في القصص التي تكون الشخصية فيها موطن العبرة والعظة كقصص الأنبياء .

ومع ذلك فهذه الشخصيات لا توصف بالبطولة حتى لا يسبق إلى الخاطر أنها بطولة قصصية صنعها التأليف ، شأن القصص الأدبية بألوانها المعروفة وإنما تكتسب شخصيات القصة النبوية العناية ، من الحدث الذي تنهض به والمواقف التي تنسب إليها .

---

(١) المرجع السابق ص : ٥٧٠ .

القصة النبوية ليست طوراً من أطوار القصة العربية "

ومن أخطاء صاحب كتاب " القصص في الحديث النبوي " أنه جعل القصة النبوية امتداداً للقصص في العصر الجاهلي، وطوراً من أطوار تطور مراحل القصة الفنية العربية .

ومرد الخطأ في هذا التصور إلى اعتبار البيان النبوي أدباً كسائر الأدب واعتبار النبي (صلى الله عليه وسلم) أديباً كسائر الأدباء ، ولكن الحقيقة هي أن البيان النبوي جنس قائم بذاته يقوم على أساس النبوة ويستمد معانيه وأهدافه من الوحي الإلهي ، ومن هنا يمكن الربط بين أي لون أدبي من ألوان البيان النبوي وما يماثله في الاسم عند سائر الادباء ، فليست الخطابة في بيان النبي (صلى الله عليه وسلم) ارتقاء بالخطب الجاهلية ، وكذلك الأمر في المثل والرسالة والقصة فكلها من نبع واحد هو نبع النبوة التي ميزت البلاغة النبوية بميزة تنقطع دونها آمال البشر كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في بيان خصائصه " وأوتيت جوامع الكلم " (١) . فهي منحة إلهية وليست عمل خيال ولا صنعة لسان ولا جهد بشر كما قال الرافعي :

" فهذا ونحوه من الفن البديع النادر ، وهو مع ذلك لا يأتي في كلامه (صلى الله عليه وسلم) إلا في مثل مارأيت ، فلا يراد منه استجلاب العبارة ، ولا صناعة الخيال، فيظن من لا يميز ولا يحقق أن خلو البلاغة النبوية من فن وصف الطبيعة والجمال والحب ، دليل على ماينكره أو يستجفيه، ويقول : بداوة وسذاجة ونحو ذلك . . . . فعله أن يهدي الإنسانية لا أن يزين لها وأن يدلها على مايجب في العمل ، لا مايحسن في صناعة الكلام ، وأن يهديها إلى ماتفعله لتسمو به ، لا إلى ماتتخيله لتلهو به . والخيال

---

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٢ : ٢٥٠ - ٤١٢ - ٤٤٢ - ٥٠١ .
وانظر تيسير الوصول إلى جامع الأصول " ٤ : ١٢٢ .

هو الشيء الحقيقي عند النفس في ساعة الإنفعال والتأثر به فقط ، ومعنى هذا أنه لا يكون أبدا حقيقة ثابتة ، فلا يكون إلا كذباً على الحقيقة .

ثم هو (صلى الله عليه وسلم) ليس كغيره من بلغاء الناس : يتصل بالطبيعة ليستلي منها ، بل هو نبي مرسل متصل بمصدرها الأزلي ليملي فيها (١) .

ولكن صاحب كتاب " القصص في الحديث النبوي " يقول : " ولا شك أن القصة في البيان النبوي مظهر كبير لبروز الجانب القصصي في العهد الإسلامي ، لما تحمله تلك القصة في بنائها من نسج فني وعناصر قصصية تؤكد للدارسين إلى أي مدى كان العنصر القصصي متغلغلا في الجو العربي القديم (٢) . وفي حديثه عن بناء القصة النبوية يقول :

" الواقع أن القصة النبوية تمثل عصرها ، وتعكس الفترة التي وجدت فيها ، وتدور في إطارها من حيث الشكل الفني ، وهي بذلك تمثل مرحلة من مراحل تطور القصة التي تدرجت فيها حتى وصلت إلى الطور الذي هي عليه الآن (٣) .

ويتجلى خطأ هذا القول للاعتبارات الآتية :-

أولا :

إن القصة النبوية منقطعة الصلة عما عرفه العرب من ألوان قصصية في العصر الجاهلي التي كانت تعتمد على الخرافة والأساطير وتدور في مجال ضيق ليس له مغزى إنساني عام .

ثانيا :

إن القصة النبوية - كما سبق أن أوضحنا - استمداد من القصص القرآني في أغراضها ومعانيها وقد تكون تفسيراً وتفصيلاً لما جاء في القصص القرآني ، وهي مختلفة تماما عن القصة الجاهلية من حيث المصدر والهدف فمصدر القصة النبوية الوحي . لا مصدر لها

---

(١) " وحي القلم " مصطفى صادق الرافعي ٢٢ .

(٢) " القصص في الحديث النبوي " ص ٦١ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٤ .

غيره في حين كان العرب يتوارثون أقاصيصهم وأسمارهم المستمدة من بيئتهم المحصورة في نطاقها الضيق، وكانت القصة العربية في الجاهلية تعكس العقلية الأسطورية التي كانت تسود بينهم ، أما القصة النبوية فهي قصة خلقية ذات هدف تعليمي وتربوي واضح لا علاقة لها بالأسمار أو الخيالات .

فهي بهذا نوع متميز من أنواع القصة في الأدب العربي ، وليست مرحلة متطورة عما قبلها بل هي لون من ألوان البيان النبوي الذي اختص به الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

ثالثاً :

إن القصة النبوية إنسانية عامة ليست مقصورة على عصرها وليست محصورة في بيئتها ، بل هي تحوي نماذج إنسانية عامة توجد في كل زمان ومكان ، ولو جعلناها وليدة البيئة، وثمرة العصر الذي وجدت فيه لما كان لها هذا الأثر الهائل الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان بل كانت تظل خاصة بزمانها ومكانها وتدور في إطارها ، لأن المرحلة دائماً مسبوقة وإذا كانت هذه مرحلة من مراحل التطور فلا بد من وجود من أكمل البناء بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

إن الدعوى التي يدعيها هذا الباحث منقوضة بكون البيان النبوي خصيصة من خصائص الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا يدخل في نطاق التجارب التي تقبل التطور لأن بيانه (صلى الله عليه وسلم) في جميع ألوانه نهج متميز ونمط مستقل ومن آثار النبوة كما أشار النبي (صلى الله عليه وسلم)" أوتيت جوامع الكلم"[1] . فمن الخطأ الديني والفني أن يقال: إن القصة النبوية مرحلة من مراحل تطور القصة العربية بل هي نمط مستقل من ألوان بلاغته (صلى الله عليه وسلم) وجوامع كلمه لم يكن مسبوقاً بسابق ولم يلحقه فيه لاحق .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٢ : ٢٥٠ - ٤١٢ - ٤٤٢ - ٥٠١
وانظر تيسير الوصول إلى جامع الأصول " ٤ : ١٣٢ .

بالرغم من الجهود العلمية المخلصة التي بذلها العلماء في نقد الأحاديث من جهة أسانيدها وثبوتها، وشهادة التاريخ بذلك المجهود الذى بذلوه في تصنيفها إلى صحيح وحسن وضعيف وموضوع فإن بعض الباحثين المعاصرين قد تعرض لبعـــض الأحاديث الصحيحة الإسناد بالرفض والشك والإنكار مادامت لا ترضى أهواءهم النفسية واحتمالاتهم العقلية ، دون استناد لأدلة أو براهين مقنعة ، فالأحاديث لا ترفض لمجرد الأهواء والاحتمالات العقلية بل هي ثابتة مادامت قد استوفت شروط الصحة ولم تناقض أصلاً من أصول الإسلام، ومما يتصل بالقصص النبوي في هذه القضية أن الأستاذ أنيس المقدسي في كتابه "تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى" (١) قد تعـــرض لبعض الأحاديث النبوية الصحيحة التي تعد من القصص النبوي وادعى أنها أحاديث موضوعة من قبل زمرة من الوضاعين لم يتحدث عنهم بشيء من التفصيل ، وكل الذى ذكره عنهم أنهم ينتسبون إلى تلك الفرق المتصارعة من جبرية وقدرية ومعتزلة ومرجئة ، كمـا أنه رفض بعضها لأنها لا توافق الذوق الأدبى والمقاييس التى يراها سبباً لرفض الحديث أو قبوله بالرغم من اعترافه بصحتها والاعتماد عليها بعد القرآن من جهة السند ومعرفته بأنها مروية في الصحيحين ، اللذين يقول عنهما :

" أجمع العلماء على أن أصح الاحاديث ما اتفق عليه البخاري ومسلم ثم انفرد به البخاري ثم مسلم ويلي الصحيحين الموطأ لمالك "١٨٩هـ" وسنن أبي داود "٢٧٥هـ" - فجامع الترمذي "٢٧٩هـ" فسنن ابن ماجة "٣٠٣" وسنن النسائي "٢٨٣هـ" (١) ولكنه يسمي هذا الرفض تحرجاً ، لا يؤدي إلى تضعيف ما في الصحيحين فيقول : "إننا لا نقصد بهذا التحرج الزائد تضعيف ما ورد في الصحيحين فهو بإجماع العلماء كما ذكرنا آنفاً أصح ما يعتمد عليه بعد القرآن في درس السنة " (٢) .

ومع ذلك فقد استبعد بعض الأحاديث والقصص والأمثال وكان جريئاً فى نقده واستبعاده لها دون استناد إلى دليل واضح أو برهان يناقض الأصول الإسلامية ذلك

---

(١) لمؤلفه الأستاذ أنيس المقدسي ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين - بيروت .
(١) تطور الأساليب النثرية في الأدب العربى " تأليف : أنيس المقدسى ، ص ٧٣ .
(٢) المرجع السابق : ٧٥ .

لأن توثيق الأحاديث لم يكن في يوم من الأيام أخذا بالأهواء والتذوق الأدبي وإنما بثقة الإسناد والنظر إلى المتن وعرضه على المقاييس الإسلامية الصحيحة .

فمن القصص التي استبعدها الأستاذ المقدسي قصة " احتجاج آدم وموسى "، احتج آدَمَ وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى : أَنْتَ آدَمَ الذي خلقك الله بيده وَنفخ فيك مِنْ رُوحِه وأسجد لَكَ مَلائكته وأسكنك جنته ، أخرجت الناس من الجنة بذنبهم وأشقيتهم ، فَقَالَ آدم : ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وأنزل عليك التوراة ، أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني ؟ فحج آدم موسى " (١) .

فيرى " أن هذا الحديث مروي لنصرة الجبرية التي كانت تقول بأن كل شيء مقدر على الإنسان وقد تغالوا في ذلك وراحوا يدعمون قولهم بأحاديث يرفعونها إلى النبي " (٢)

ولكن التأمل في هذا الحديث يدل على أنه ليس فيه انتصار للقدرية بل يقرر الحقيقة التي هي من أسس العقيدة الإسلامية أن الله سبحانه علم ماكان وما سيكون من خلقه قبل أن يخلقهم، وليس من العدل أن يتحمل آدم عليه السلام تبعة حياة البشرية في الأرض ، فقد أخبر الله سبحانه أنه قال للملائكة قبل أن يخلق آدم " إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً (٣) " فمغزى الحديث إنما هو تقرير هذه الحقيقة وبيان أن حياة الناس في الأرض إنما هي أمر مقدر قبل أن يخلق الله آدم ومسئولية آدم عليه السلام إنما تقتصر على مخالفة أمر ربه بالأكل من الشجرة بعد أن نهاه عنها ، وقد بين القرآن أن الله تاب عليه واجتباه فقال سبحانه : " فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ (٤) " .

وقد جاء في شرح النووي لصحيح مسلم عند تفسير قوله " أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة (٥) " .

---

(١) صحيح مسلم ٥ : ٥٠٦ - ٥٠٧ . وانظر صحيح البخاري ٦ : ١٢٠ . وأخرج النص من زاد المسلم ١ : ٩ .

(٢) " تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي " ص ٧٦ .

(٣) سورة البقرة / الآية : ٣٠ .

(٤) المرجع السابق الآية : ٣٧ .   (٥) صحيح مسلم ٥ : ٥٠٦ .

قال المراد بالتقدير هنا الكتابة في اللوح المحفوظ، وفي صحف التوراة وألواحها، أي كتبه عليّ قبل خلقي بأربعين سنة، وقد صرح بهذا في الرواية التي رواها أبو هريرة فقال: "بِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوراةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَق؟ قَالَ مُوسَى بِأَرْبَعِينَ سنة، قَالَ: أَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلاً كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟"(١) فهذه الرواية مصرحة ببيان المراد بالتقدير، ولا يجوز أن يراد به حقيقة القدر، فإن علم الله تعالى وما قدره على عباده، وأراد من خلقه أزلي لا أول له، ولم يزل سبحانه مريداً لما أراده من خلقه من طاعة ومعصية وخير وشر ... فإن قيل: فالعاصي منا لو قال هذه المعصية قدَّرها الله علي لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك، وإن كان صادقاً فيما قاله، فالجواب أن هذا العاصي باق في دار التكليف، جار عليه أحكام المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها، وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره من مثل هذا الفعل وهو محتاج إلى زجر مالم يمت، فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف، وعن حاجة إلى الزجر، فلم يكن في القول المذكور له فائدة، بل فيه إيذاء وتخجيل، والله أعلم(٢)".

فهذا رد واضح على مذهب الجبرية من ناحية، ومن ناحية أخرى هو رد على مذهب المعتزلة الذين ينكرون القدر، ودليلنا في ذلك هو قول الرسول صلى الله عليه وسلّم: "فَحَجَّ آدمُ مُوسَى ... فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، ثلاثاً(٣)" دليلاً على أن ظهة آدم على موسى أساسه أن هذا الأمر كان مقدوراً عليه من قبل أن يخلق فكيف يمكنه رد علم الله فيه، وإنما خُلق ليكون خليفة الله على الأرض من قبل أن يُخلق قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً(٤).

كما أن هذا الحديث فيه رد على القدرية الذين ينكرون سبق القدر فدفع اعتقادهم بما جاء في الحديث مايوهم ظاهره من تقوية مذهب الجبرية ودحض كل اعتقاد باطل في شأن القــــدر.

---

(١) المرجع السابق ٥ : ٥٠٧ .

(٢) "شرح النووي في صحيح مسلم" ٥ : ٥٠٦ - ٥٠٨ .

(٣) صحيح مسلم ٥ : ٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٤) سورة البقرة / الآية : ٣٠ .

وقال ابن كثير

" ومن كذب بهذا الحديث فمعاند لأنه متواتر عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وناهيك به عدالة وحفظاً وإتقانا ثم هو مروى عن غيره من الصحابة كما ذكرنا . ومن تأوله بتلك التأويلات المذكوره آنفا فهو بعيد عن اللفظ والمعنى . وما فيهم من هو أقوى مسلكا من الجبرية . وفيما قالوه نظر من وجوه

إحدهما : إن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد تاب منه فاعله .

الثاني إنه قد قتل نفساً لم يؤمر بقتلها وقد سأل الله في ذلك بقوله " رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ " الآية .

الثالث إنه لو كان الجواب عن اللوم على الذنب بالقدر المتقدم كتابته على العبد لا تفتح هذا لكل من ليم على أمر قد فعله فيحتج بالقدر السابق فينسد باب القصاص والحدود ولو كان القدر حجة لا حتج به كل أحد على الأمر الذي ارتكبه في الأمور الكبار والصغار وهذا يفضي إلى لوازم فظيعه . فلهذا قال من قال من العلماء بأن جواب آدم إنما كان احتجاجاً بالقدر على المصيبة لا المعصية والله تعالى أعلم ". (١)

---

(١) يراجع فصل " ذكر احتجاج آدم وموسى عليهما السلام " في البدايه والنهاية ص ٨١ - ٨٥ .

ثم شك صاحب الكتاب المذكور في صحة قصة "موسى وملك الموت (١)" والتي نصها

"أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوتِ إِلَى مُوسَى فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ ففقأ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوتَ. فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيهِ وَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُه، بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوتُ قَالَ: فَالآنَ. فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ. فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ (٢)".

وقال الباحث على هذه القصة: "ويلوح في هذا الحديث خيال القصة. فهو شبيه بأقوال بعض القصاصين الذين كانوا يحدثون الناس بأمور الدين ويقصون لهم القصص المنزلة وسواها، وإلى خيال القصاصين يستطيع المشككون المتحرجون أن يرجعوا كثيرا من الأحاديث، كالذي رواه الإمامان (٣).

وهنا نرى أن الأستاذ المقدسي يصدر في إنكاره لهذه القصة التي وردت في الصحيحين من نزعة عقلية تستغرب وقوع مثل هذا الحدث من نبي كريم وهو موسى عليه السلام وهو مسبوق في هذا الاستبعاد، فقد شك بعض الملاحدة في هذا الحديث، ولكن علماء السنّة المحققين نهضوا بالرد عليهم ما دام الحديث صحيح النسبة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن هؤلاء الإمام المازري الذي ذكر أن العلماء أجابوا على هذا الاعتراض بعدة أجوبة: أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى (عليه السلام) قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحاناً للملطوم، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء، ويمتحنهم بما أراد.

---

(١) انظر نص القصة رقم (٦) في هذه الرسالة.

(٢) صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس، وانظر زاد المسلم ١: ٣٤.

(٣) "تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي" ص ٧٧.

والثاني : إن هذا على المجاز ،والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة ،ويقـال فقـأ فلان عين فلان إذا غالبه بالحجة ،ويقال : عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصـاً ولكن هذا الاحتمال ضعيف لقول الرسول : فرد الله عينه ،فإن قيل : أراد رد حجتـه كان بعيـداً .

والثالث: أن موسى (عليه السلام) لم يعلم أنه ملك من عند الله ،وظن أنه رجل قصده يريد نفسه ،فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه ،لا أنه قصد بالفقء . ويؤيد هذا الاحتمال الرواية الأولى " فلما جاءه صكه ففقأ عينه (١)" وهذا التفسير هو الأقوى وهو المعتمد من قبل معظم العلماء المتقدمين أمثال الإمام أبي بكر بن خزيمة كمـا اختاره المازري والقاضي عياض ،وقالوا ليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينـه ، بدليل اعتراف موسى بملك الموت حين جاء في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملـك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى (٢)".

وما استبعده أيضا قصة الرجل الذي أوصى بنيه أن يحرقوه مخافة ملاقاة ربـه لشدة ذنبه ،لأنه يجدها كما يقول : " أشبه بأقوال القصاصين الذين يحدثون النـاس بأمور الدين (٣) .

والنص جاء عن أبي هريرة أن رسول الله(صلى الله عليه وسلم)قال : أَسْرَفَ رَجُلٌ عَـلَى نَفْسِه فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوتَ أَوْصَى بَنِيه فَقَالَ : إِذَا متُّ فَاحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ اذْرُونِي في الْبَحْرِ ،فَوالله لَأَنْ قَدر عَلَيَّ رَبِي لَيُعَذِبَنِي عَذَاباً مَاعَذَبَهُ أَحَداً . فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِـه . فَقَالَ اللّه للأَرْضِ أَدِى مَا أَخَذْتِ . فَإِذَا هُو قَائِمٌ . وَيُقَالُ مَا حَمَلَكَ عَلى مَا صَنَعـتَ ،

---

(١) بمعنى لطمـه .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٥ : ٢٢٤ .

(٣) " تطور الأساليب النثرية في الأدب العـربي " ص ٧٧

قَـالَ : خَشْـيَتُك يارب . فغَفَـرَ له بذلك (١) .
والجدير بالذكر أن هذه القصـة رويت في صحيح البخاري بعدة روايـات :
رواية عن أبي هريرة عن الرسول(صلى الله عليه وسلم)قال : " كَانَ رَجُل يُسْرِفُ عَلى نفسِـه "(٢). وأخرى لأبي سعيد (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) " إِنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُم رَغَسَهُ اللّه مَالاً . . . " (٣) .
وثالثة لحذيفة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " إِنَّ رجـلا حَضَرَهُ الموتُ لمَّا أَيِسَ من الحَيَاةِ أَوْصَى أَهلَـهُ "(٤) .
كما جاءت القصة في صحيح مسلم بروايتين : الأولى : لأبي هريرة أن رسول اللـه (صلى الله عليه وسلم) قال : " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطّ لأَهْلِهِ إِذَا مَاتَ فَحرِّقُـوه ثُمَّ أَذْرُوا نِصْفَـهُ "(٥) . والثانية برواية أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) " إِنَّ رَجُلاً فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَاشَهُ اللّهُ مَالاً وَوَلَدَاً "(٦).
وقد اتفق العلماء المحققون على توثيق كل من أبي هريرة وحذيفة وأبي سعيد الخدري .
ثم ما الغرابة في هذه القصة ؟ ما الغرابة في أن يصور الرسول (صلى الله عليه وسلم) نموذجاً من النماذج الإنسانية لإنسان شعر أنه لم يفعل من الخير شيئاً فخشي ربه ففكر في هذه الفكرة حياءً وخجـلاً من ملاقاة ربه ، وأي غرابة في أن يلحق اللـه

(١) زاد المسلم : ١ : ٢٩ .
(٢) " صحيح البخاري " ٤ : ٢٠٥ . وانظر فتح الباري ٦ : ٥١٤ .
(٣) " فتح الباري " ٦ : ٥١٤ .
(٤) " فتح الباري " ٦ : ٥١٤ .
(٥) " صحيح مسلم " ٥ : ٥٩٨ .
(٦) المرجع السابق ٥ : ٦٠٠ .

أمره إلى البحر والبر فيجمع كل منهما ما فيه من رماد هذا الجسد الذي حرق ....
وما الغرابة في أن يبعث الله سبحانه وتعالى هذا الإنسان سوياً مرة أخرى ؟ ألم يخلقه من قبل ؟ فما الغرابة في بعثه من جديد ؟! .

وما أنكره الأستاذ المقدسي من قصص قصة " الأبرص والأقرع والأعمى (١) " ولا ندري ما الذي ينكره في هذه القصة ، وما الذي يرفضه منها أنزول الملك وتنفيذه أمر ربه ؟ أو فكرة الابتلاء في حد ذاتها ؟ .

لقد استطاع الرسول (صلى الله عليه وسلم) من خلال هذه القصة تصوير ثلاثة نماذج إنسانية مختلفة كل منها يكشف عن نفسيات مختلفة قد توجد في كل زمان وفي كل مكان، فتصوير مسلك كل واحد منهم أدعى إلى أخذ العبرة والموعظة، وهذا هو الهدف الذى أراده الرسول عليه الصلاة والسلام كما أنه أراد أن ينبهنا إلى أن الإنسان معرض للابتلاء في كل زمان ومكان، وان الله سبحانه وتعالى أعلم بالخفايا الإنسانية وهو يبتلي الإنسان لمعرفة شكره أو جحوده .

وكل هذه الأهداف قد أرادها الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مثل هذا القصص النبوي ، لكن الأستاذ المقدسي يقول : " ولو دققنا النظر في سائر ما ورد في الصحيحين لرأينا كثيراً من الأحاديث التي مع صحة إسنادها يجمل بمؤرخ الآداب عدم اعتمادها في تقريره ما كان عليه النثر أيام النبي ، ومن ذلك كتاب فضائل الأنبياء والصحابة ومناقب قريش والمدن المقدسة وتفسير الآيات وأحاديث الجن واستماعهم للقرآن وما قالوا وما فعلوا ، وحديث القرآن وداود وما إلى ذلك مما قد يستسيغه النقد الدقيق (٢) " والمتأمل في هذا المقياس الأدبي الذي اصطنعه الأستاذ أنيس المقدسي يدرك مجانبته للصواب لأنه لا يمكن أن يجعل من المقياس الأدبي مقياساً لثبوت الأحاديث الصحيحة أو رفضها ، وإذا كان هذا رأيه ، فهل يمكن تطبيق هذه القاعدة

---

(١) انظر نص القصة رقم (٣١) في هذه الرسالة .
(٢) " تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي " ص ٨٠ .

على العمل الأدبي نفسه أي أن يقوم العلماء المحققون للأحاديث النبوية ويطبقوا الـ والأصول والمفاهيم المعروفة في نقد الحديث على العمل الأدبي مثلاً ....؟!

إن المناهج الدقيقة التي وضعها علماء الحديث لنقد الروايات والحكم عليها بلغت من الدقة حداً لا يسوغ بعده الشك فيما صححوه والإنكار لما أثبتوه فقد عنوا بدراسة رجال السند لكل حديث دراسة دقيقة بحيث ميّزوا الرواة الثقاة عن غيرهم من الضعفاء والمتروكين والوضاعين، وقد اطمأنت الأمة الإسلامية إلى علمهم هذا وتلقت ما جاء في الصحيحين البخاري ومسلم بالقبول لأنهما اشتملا على المنتقى من صحاح الأحاديث ومع ذلك فإن العلماء لم يهملوا النظر في متن الحديث بل أولوه عناية فائقة لا تقل عن العناية بالإسناد فلم يقبلوا إلا ما يتفق مع حقائق القرآن وما أجمعت عليه الأمة .

لكن الجديد الذي طالعنا به الأستاذ أنيس المقدسي في دراسته لتطور الأساليب النثرية أنه حاول إضافة مقياس لنقد متن الحديث هو المقياس الأدبي ، وليس هناك مقياس ثابت لما ينادي به الأستاذ المقدسي فالأمر يختلف باختلاف نظرة الناقد وسعة ثقافته وإلمامه بالنصوص النثرية كاملة في ذلك العصر .

فهذا المقياس يظهر مجانبته للصواب لأنه قائم على مزاعم واهية فلا يجوز لنا أن نحكم كما حكم على بعض الأحاديث بقوله : "والحديث دريف ولكن النقد الحديث يرى - خطأ أو صواباً - وضعه في باب الدعاية المذهبية "(1) ، أو قوله : " ويتراءى للناظر في هذا الحديث وأسلوبه أنه بعيد عن المعهود عن لغة النبي في رسائله حيث يتجلى الإيجاز والبساطة والمتانة ، والأشبه أن يكون من قول بعض الزهاد في عصر متأخر (2)، أو قوله : " ويلوح في هذا الحديث خيال القصة فهو شبيه بأقوال بعض القصاصين (3) " .

---

(1) " تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي " ص ٧٨ .

(2) المرجع السابق ، ص : ٧٦ .

(3) " " ص ٧٧ .

إن نظريته التي قررها بشكه في صحة كتاب " فضائل الأنبياء " والصحابة[1] "، في صحيح مسلم يعني إنكاره للقصص النبوي ،لأن هذا الكتاب يحتوي على مجموعة كبيرة من القصص النبوي التي ثبتت في الصحيحين أمثال قصة " عيسى والسارق " [2] التي رواها أبوهريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " رَأَى عِيسَى بن مَرْيَمَ رَجُلاً يسْرِق . . . الخ [3] " وقصة " سارة والجبار [4] " والتي رواها أبوهريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام قَطّ . . . الخ [5] "، وقصة براءة موسى[6] وقصة (" موسى وملك الموت [7] " التي ذكرناها وقصة " موسى والخضر [8] "،والمتأمل في هذه القصص يجد أنه لا ينكر القصص النبوي التي تتعلق بأخبار الأنبياء ،ولكنه ينكر أيضا بعض القصص النبوي المرتبط بالقصص القرآني ،وذلك دون نظر إلى سلامة الإسناد أو صحة الرواية اعتماداً على حاسته الأدبية وإمكاناته الفنيــة .

وقد بالغ الأستاذ المقدسي في جرأته حيث جعل التوراة والإنجيل مصدراً لهذه القصص لمجرد أنها موجودة في التوراة والإنجيل مع أن وجودها يعتبر من الحق الــذي بقي في كتب أهل الكتاب ،ونعجب أشد العجب إذ نراه يعتبر هذا الرفض والشك في بعض

---

(1) انظر صحيح مسلم ٥ : ٢١٤ - ٢٣٠ .
(2) انظر نص القصة رقم (١٠) في هذه الرسالة .
(3) " صحيح مسلم" ٥ : ٢١٦ .
(4) انظر نص القصة رقم (١٤) في هذه الرسالة .
(5) "صحيح مسلم" ٥ : ٢٢٠ .
(6) انظر نص القصة رقم (٣) في هذه الرسالة .
(7) انظر نص القصة رقم (٦) في هذه الرسالة .
(8) انظر نص القصة رقم (٢) في هذه الرسالة .

نصوص الحديث القصصية مع كونها صحيحة الإسناد نوعاً من التحرج والاحتياط ، وذلك حين يقول بعد إنكاره لكل تلك القصص : " في أمثالها ما يحمل المحقق على إخراجها من الحلقة الضيقة التي يجب أن يرسمها لنفسه — وإن يكن في ذلك الإخراج شيء من الخطأ أو التطرف — ونظيرها الأمثال والقصص المماثلة لما هو في التوراة والإنجيل كحديث " مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرضاً . . . الخ " فهو شبيه بمثل الزارع الذي روى في الإنجيل وعلى نمطه حديث " سارة والجبار " . وهذه الأحاديث قد تكون صحيحة ولكن لا بأس على طريقة التحرج العلمي من أن نضعها خارج الحلقة المنشودة (١) ".

هذا المنهج الذي اصطنعه الأستاذ أنيس المقدسي وحاول تطبيقه على القصص النبوي ودعا إلى الأخذ به على أنه لون من التحديد والتطوير في فهم النصوص النبوية ، يذكرنا بما حاوله الدكتور طه حسين من صنع منهج جديد في البحث العلمي وحاول تطبيقه على نصوص القرآن والسنّة ونصوص الشعر واللغة .

هذا المنهج هو منهج " ديكارت " القائم على التجريد من كل العلوم والمعتقدات والعواطف القومية والدينية السابقة حرصاً منه على تحرير الأدب العربي من القيود التي تربطه بالعلوم العربية والعواطف الدينية ، وحتى يدرس الأدب لنفسه دون أن يكون وسيلة لفهم القرآن والحديث (٢) ".

وهذا ما صرح به الدكتور طه حسين عند دراسته للشعر الجاهلي " أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه "ديكارت" للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث والناس جميعاً يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرّد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل ، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوّاً تاماً (٣) " واستطرد في قوله : نعم ! يجب حين نستقبل

---

(١) " تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي " ص ٨٠ .

(٢) " معارك طه حسين الأدبية والفكرية (تأليف سامح كريم) ص ٧٢ .

(٣) انظر "في الأدب الجاهلي " تأليف:(طه حسين)ص٦٧ ، وانظر (من تاريخ الأدب) تأليف طه حسين ص ٨٥ .

البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى عواطفنا القومية وكل مشخصاتها ، وأن ننسى عواطفنا الدينية وكل ما يتصل بها، وأن ننسى ما يضاد هذه العواطف القومية والدينية ، يجب ألاّ نتقيد بشيء إلاّ مناهج البحث العلمي الصحيح [1] ".

ومعنى هذا القول الذي رآه عند أهل النظر الصحيح أنه ينسلخ في بحثه عن جميع الاعتبارات وينطلق في النظر حرّاً طليقاً، ولا يلتفت لأي مؤشر من المؤثرات التي يمكن أن تؤثر في النتيجة التي سوف يصل إليها فإذا جاءت النتيجة حقيقة صريحة لا تصادم ديناً ولا تناقض قومية ، ولو أنه قصد بقوله ذلك لكان علينا أن نؤيده ونثني عليه ، ولكنه يكون في ذلك لم يأت بذلك الجديد ولا من أنصاره كما خُيّل إليه بل كان قديماً على سنة المتقدمين من أسلافنا، فهذا ما انتهجوه في بحوثهم العلمية والنظرية، ولكننا نجد الدكتور طه حسين يفارقنا في النهاية فهو يجعل النظرية التي أخذها من " ديكارت " هي المعيار الأول والأخير في بحوثه فإن جاءت النتيجة مطابقة للمقياس الذي اصطنعه قبلها من أجله، وإن عارضته رفضها واعتنق مقياسه دون اكتراث لعاطفته الدينية ، والعقل السليم يخالف الدكتور طه حسين فيما يراه في هذا المقام ، ويقضي برد كل ما يعارض الدين من نتائج واستدلالات لأن غاية كل بحث الوصول إلى الدين الصحيح الذي هو مبتغى الإنسانية من الخير والسعادة [2] .

وهذا ما تحقق لدينا بعد اطلاعنا على رأي الدكتور طه حسين في قصة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل التي ذكرها القرآن الكريم فقد خرج بتلك النتيجة التي جعلته يشك في خبر إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، ففيما قاله بشأن هذه القصة : " للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي فضلاً عن اثبات هذه القصة التي تحدثت بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ، ونشأة العرب المستعربين فيها، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه

---

(1) المرجع السابق . ص ٦٨ .

(٢) راجع (معارك طه حسين الأدبية) ٨٠ - ٨١ .

القصة نوعاً من الحيلة في اثبات تلك الصلات بين اليهودية والإسلام والنصرانية [1]، واستطرد في قوله معلقاً على القصة " إنها متكلفة مصطنعة في عصور متأخرة دعت إليها حاجة دينية أو اقتصادية أو سياسية (٢) ".

ثم أوضح هذا الرأي فيما بعد بقوله: " أمر هذه القصة إذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبل الإسلام واستغلها الإسلام لسبب ديني، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً ، إذن فيستطيع التاريخ الأدبي واللغوي ألاّ يحفل بها عندما يريد أن يتعرف أصل اللغة العربية الفصحى (٣) ". والذي نفهمه فيما كتبه بشأن هذه القصة أنه كانت بين العرب واليهود حرب انتهت بالهدنة فرغب كل من العرب واليهود التقرب إلى بعضهما فاخترعت القصة لايجاد هذه الصلة بينهما وراقت المسألة في نفوس القرشيين لأن فيها مصلحة لهم يثبتون لهم مجداً كمجد روما قديماً ، فإعلان أن الكعبة من بناء سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل سيجعل لمكة شأناً ومجداً قديماً تفاخر به وتنتفع به مادياً كما انتفعت روما بقول الأسطورة القائلة إنها من بناء إيناس بن بريام "صاحب طروادة ".

ولما جاء الإسلام اتخذ من هذه القصة التي عرفها العرب، واستغلها لاثبات الصلة بين الديانتين ، النصرانية واليهودية لأن في اثبات هذه الصلة تقوية له على الوثنية العربية التي جعلت تناهضه وتنازعه .

وهكذا انتهى مقياس الشك الذى استعمله الدكتور طه حسين إلى الشك في الأخبار الصادقة التي جاء بها الوحي ..... من الكتاب والسنّة .

فإذا حاول غيره أن ينتهج هذا الأسلوب فلابد أن يصل إلى النتيجة نفسها حين يصطنع مقياساً أدبياً ينظر من خلاله إلى النصوص الدينية الثابتة .

---

(١) (في الشعر الجاهلي) ص ٢٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣) راجع " في الشعر الجاهلي " ص ٢٤ - ٣٠ ، وانظر " معارك الدكتور طه حسين الأدبية والفكرية " ص ٨٢ - ٨٣ .

الخاتمة

الخاتمــــة

نستطيع أن نقف هنا بعد أن بلغ بنا البحث إلى هذا المـــدى لنستخلص أهم النتائج التي انتهيت إليها دراستنا :

١- كان تعين المراد بالقصة النبوية نقطة البداية في هذا البحث بعد المقدمات الأولى ، وقد انتهيت إلى تعريف القصة تعريفاً صحيحاً يتفق مع دلالة اللغة ، ومنهج القصة القرآنية التي هي الأصل الذي استمدت منه القصة النبوية منهجها ، وخالفت في هذا التعريف للقصة ما سار عليه بعض الباحثين المعاصرين ، وما وقعوا فيه من خلط أدى بهم إلى توسيع مجـال القصة النبوية لتشمل السمعيات من أحوال الحشر والحساب والجنة والنار والفتن،وأشراط الساعة وغيرها مما لا يصدق عليه اسم القصة لغوياً ولا أدبياً .

٢ - بينت مصادر القصص النبوي التي لا تخرج عن دائرة الوحي ، والتي تجعل لهذا القصص مكانته العلمية والتاريخية ، وناقشت الافتراضات التي تبلها بعض الباحثين عن حسن نية كادعاء بعضهم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أستمد بعض قصصه من معارف أهل الكتاب ، وقد نقضت هذا الظن نقضاً علمياً مؤسساً على أدلة قوية ، كما رددت ظن باحث آخر توهم أن أحداث بعض القصص النبويه افتراض وتخيل ، وليس واقعاً بالضرورة . وبينت ما في هذا الظن من أخطاء ومحاذير دينية وعلمية ، كما دفعـت توهم أن يكون القصص النبوي قد استفاد شيئا من معارف العرب وأساطيرهم

٣ - جمعت ستاً وأربعين قصة نبوية من مصادر صحيحة من كتب الصحاح والسنن والمسانيد ،وقسمتها حسب الشخصيات التي تتضمنها بادئة بقصص الأنبياء فالشخصيات الخيرة فالشخصيات الشريرة وبعدها الشخصيات التي خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً ثم القصص المتعلقة بالمرأة والعجائب .

٤ - بينت أن القصة النبوية تنفرد بأهداف وغايات خاصة منها تفسير ما أجمله القصص القرآني ،وأهداف تربوية تتصل بتثبيت العقيدة وتربية المسلم تربية قويمة

من خلال تصوير الأحداث والنتائج المترتبة عليها ،وتصوير النموذج المثالي للمؤمن الذي يبذل دمه في سبيل عقيدته ،ويصبر على كل بلاء يتعرض له بسبب إيمانه ،ويحاول أن يكسب لعقيدته أنصاراً وقد كان المسلمون في العهد المكي بحاجة إلى تصوير هذه النماذج ليكون لهم فيها أسوة حسنة،وتصوير نماذج السلوك البشري ،وبيان سماتها ومسالكها ،مما يوفر على الإنسان مشقة التجربة .

٥ - أوضحت أن القصة النبوية قد صورت المواقف والمشاعر والشخصيات لهذا ذخرت بألوان من الأساليب التصويرية كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز . وقمت بتحليل لقصة موسى والخضر ،وأصحاب الغار الثلاثة وبراءة موسى ،وقصة تحليل الغنائم لهذه الأمة ،وقصة الكفل لبيان ألوان الأساليب التصويرية فيها .

واتبعت هذا التحليل بفصل قصير استعرضت فيه بعض الألوان البلاغية في القصة النبوية .

٦ - أوضحت العلاقة الوثيقة بين القصة النبوية والقصة القرآنية ، وبينت أن القصة القرآنية والنبوية تشتركان في تكوين الهدف الأسمى من الحكاية حيث نجد أن العناية متجهة إلى العبرة من الأحداث دون النظر للشخصيات التي قامت بها ، أو التي حدثت منها المواقف ، كما بينت العلاقة بين القصة القرآنية والقصة النبوية في الموضوعات التي تناولتها فمنها القصص التاريخي الذي تضمن قصص الأنبياء ، ومنها ما صور نماذج إنسانية مختلفة خيرة أو شريرة أو شخصيات خلطت عملاً صالحاً بآخر غير صالح وأوضحت أثر الأسلوب القرآني في أسلوب الرسول (صلى الله عليه وسلم)

٧ - ومن القضايا الهامة التي أثرتها في هذا البحث الدعوة إلى التثبت من صحة الأحاديث حتى يمكن دراستها دراسة صحيحة تنتج نتائج صحيحة .

ومن هنا بينت زيف بعض الأحاديث التي نسبت للرسول (صلى الله عليه وسلم) كحديث خرافة، وقد تناولته بالدراسة لأكشف انتمائه إلى الأساطير التي كانت العرب تتحدث بها ، فليس فيه هدف خلقي ولا مدخل له في العبرة والموعظة ، وبهذا المنهج تناولت بعض الأحاديث الواهية الأخرى كقصة معانقة الرجلِ الرجلَ إذا لقيه ، وقصة افتتان داود عليه السلام بامرأة الجندي أوريا ، وقصة اقتراف آدم الخطيئة ، وقصة نزول آدم بالهند ، وقصة موسى والرجل الذى أجاع نفسه ، وقصة حمل حواء ، وقصة هاروت وماروت وقصة الرجل الذي أخرج رأسه من القبر ، وقصة بناء داود بيته قبل بيت ربه

٨ - وقد عنيت بالتنبيه على خطأ بعض الباحثين المعاصرين في موضوع القصة النبوية إذ حاولوا تطبيق المقاييس الأدبية الحديثة - التي لا يمكن تطبيقها - على القصة النبوية ، إذ لم يكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعالج القصة من هذا المنظور الأدبي المعاصر الذي يقوم على فلسفة أدبية معينة يراد منها التأثير الجمالي دون التفات إلى الصدق في الموضوع ، وأثره في النفس هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ترى أن من يحاول أن يحكم على التراث الادبي الماضي بهذه المقاييس المعاصرة فهو يخرج عن قواعد النقد الأدبي .

وقد نبهت إلى وقوع هذا الخطأ في دراسات ثلاث لموضوع القصة النبوية بأقلام المعاصرين .

٩ - ودافعت عن القصص النبوي الصحيح في وجه من حاول التشكيك فيه وبينت أن الأحاديث لا ترفض لمجرد الأهواء والاحتمالات العقلية .

وناقشت الأستاذ أنيس المقدسي فيما جاء في كتابه " تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي " في محاولته رفض الأحاديث النبوية الصحيحة لشبهات واهية ..

وأخيراً فإني أرجو أن يكون هذا البحث دعوة للعناية بدراسة الحديث الشريف من الوجهة البيانية دراسة علمية صحيحة بعيداً عن الأهواء والتقليد .

الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الآيات القرآنيّة .
٢ ـ فهرس القصص النبوي .
٣ ـ الفهرست التحليلي لموضوعات البحث وأفكاره الجزئية .
٤ ـ فهرس المراجع .

الآيــــــــة	رقمهـــا	الســورة	الصفحــة
وإذ قال ربك للملائكة إنـــي جاعل في الأرض خليفة .	٣٠	البقـــرة	٢٤٧-٢٥٠ ٢٩٨-٢٥٣
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم	٣٤	======	٢٢٢
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه	٣٧	======	٢٤٩
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة	٥٥	======	١٢٩
لن نصبر على طعام واحد .	٦١	======	١٢٩
وما كفر سليمـــان .	١٠٢	======	٨٠
أم تقولون أن إبراهيم وإسماعيل .	١٤٠	======	٨٠
حافظوا على الصلوات والصـــلاة الوسطـــى .	٢٣٨	======	١٦٥
إذ قالت امرأة فرعون رب .	٣٥ - ٣٧	آل عمـــران	٢٣٠
وإذ قالت الملائكة يا مريم .	٤٢ - ٤٣	======	٢٣٠
ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك .	٤٤	======	٦٢ - ٥٢
إن هـــذا لهو القصص الحق	٦٢	======	٨٦ - ٣٣
يا أهل الكتاب لم تحاجـون في إبراهيـم .	٦٥	======	٨٠
إن أول بيت وضع للنـــاس .	٩٦	======	٨٠

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الســـورة	الصفحـــة
مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيـــا .	١١٧	آل عمـران	٧٥
إذ همت طائفتان منكم إن تفشلا.	١٤٢-١١٢	======	٥٣
وأنزل الله عليك الكتـــاب .	١١٣	النســـاء	٧٨ - ٨٥
وآتينا داود زبـــورا .	١٦٣	======	٢٥٦
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً.	١٥	المائـــدة	٨٠
وقالت اليهود والنصارى نحـن أبناء اللـــه .	١٨	======	٨١
اذهب أنت وربك فقاتـلا .	٢٤	======	١٢٩
وقالت اليهود يد الله مغلولـة .	٦٤	======	٨١
لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة .	٧٣	======	٨١
إن الحكم إلا لله يقص الحق .	٥٧	الأنعـــام	٣٤
يا معشر الجن والإنس ألـم يأتكم رسل .	١٣٠	======	٣٤
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبيـــن .	٧	الأعـــراف	٣١

الآيـــــة	رقمهـــا	الســورة	الصفحـــة
يابني آدم إما يأتينكم رسـل منكـم .	٣٥	الأعـــراف	٣٤
وجاء السحرة فرعون قالوا .	١١٣-١٢٢	======	٢٢٨
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنـه أخلـــد .	١٧٦	=======	٣٥
وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا .	٣٦	الأنفـــال	٢٤١
قل للذين كفروا إن ينتهـوا .	٣٨	======	٢٥٤
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة .	٢٥ - ٢٦	التوبـــة	٥٣
وقالت اليهود عزير ابن اللـه .	٣٠	======	٨١
ومنهم من يقول أئذن لـي .	٤٩	======	٥٤
وقالوا لا تنفروا في الحـر .	٨١ - ٨٢	======	٥٤
قل ما يكون لي أن أبدله .	١٥	يونـــس	٨٤
إنما مثل الحياة الدنيا كمـاء أنـزلنـــاه .	٢٤	======	٧٦
قد اجيبت دعوتكما فاستقيما	٨٩	======	٢٤٩
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات	١٣	هـــود	٨٦
ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه .	٢٥	======	٢٣٨

الآيــــــة	رقمهـــا	الســورة	الصفحــة
أن لاتعبدوا إلا اللـــه .	٢٦	هـــــود	٢٣٨
ولا أقول لكم عندي خزائن الله	٣١	======	٢٣٨
ولا ينفعـكم نصحي إن أردت.	٣٤ - ٣٦	======	٢٣٨
ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابنـــى .	٤٢ - ٤٣	======	٢٢٧
وقيل ياأرض ابلعي ماءك .	٤٤	======	٢٣٣
ونادى نوح ربه فقال رب .	٤٥	======	٢٣٩
قيل يانوح اهبط بسلام منا .	٤٨	======	٢٣٩
تلك من أنباء الغيب نوحيها .	٤٩	======	٥٢
وما كنت تعلمها أنت ولا قومك .	٤٩	======	٣٧ - ٨٦
ذلك من أنباء القرى نقصهعليك	١٠٠	======	٣٧ - ٣١
وكلا نقص عليك من أنباء الرسل	١٢٠	======	٣٤ - ٦٢
آلر تلك آيات الكتاب المبين	١ - ٣	يوســـف	٣٠
نحن نقص أحسن القصص .	٣	======	٥-٦٢-٨٦-٣٠
ما كان حديثاً يفترى ولكـــن. تصديق الذي بين يديه .	١٢	======	٨٦
يابني اذهبوا فتحسسوا .	٨٧	=====	٢٢٩

الآيـــــــة	رقمهـــا	الســورة	الصفحــة
ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليــك .	١٠٢	يوســـف	٥٢
لقد كان في قصصهم عبـــرة لأولي الألبـــاب .	١١١	======	٢١٥
مثل الجنة التي وعد المتقــون	٣٥	الرعـــد	٧٢
ربنا إني أسكنت من ذريتــي بـــواد .	٣٦ - ٣٧	إبراهيـــم	١٢٧ - ٨٨
ومن يقنط من رحمة ربـــه إلا الضالـــون .	٥٦	الحجـــر	١٣٦
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة .	١٢٥	النحــــل	٧٨
انظر كيف ضربوا الأمثــال .	٤٨	الإسراء	٨
أم حسبت أن أصحاب الكهف .	٩ - ٢٦	الكهـف	٢١٧ - ٢١٦
نحن نقص عليك نبأهم بالحق .	١٣	=====	٢٧ - ٢٢٤
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم .	٢٢	=====	٢١٧
وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح .	٦٠ - ٨٢	=====	٨٨
فارتدا على آثارهما قصصاً .	٦٤	=====	٤
ويسألونك عن ذي القرنين .	٨٣	=====	٢٢٣ - ٢٩

الآيـــــــــة	رقمهـــا	الســـورة	الصفحـــة
قالت - إني أعوذ بالرحمن منك.	١٨	مريـــــم	٤٠
فحملته فانتبذت به مكانـا .	٢٢ - ٢٣	=====	٢٣٤
ياليتني مت قبل هـــذا .	٢٣	=====	٢٣٤ - ٤٠
فأتت به قومها تحمله .	٢٧ - ٢٨	=====	٢٣٤
قال إني عبد الله آتاني الكتاب.	٣٠ - ٣٣	=====	٢٣٤
ذلك عيسى بن مريم قول الحق	٣٤	=====	٢٣٤
واذكر في الكتاب إبراهـــم	٤١ - ٤٥	=====	٢٣٥
قال أراغب أنت عن آلـهتي .	٤٦	=====	٢٣٦
قال سلام عليك سأستغفر لك .	٤٧ - ٤٩	=====	٢٣٦
إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين	١٠٦	الأنبياء	٣٥
بل عباد مكرمون لا يسبقونـــــه .	٢٧	=====	٢٥٣
ثم إنكم بعد ذلك لميتـــــون.	١٥ - ١٦	المؤمنون	٢٥٤
ولقد آتينا داود منا فضــلاً .	٥١	======	٢٥٤
الله نور السموات والأرض .	٣٥	النـــــور	٧٦
أساطير الأولين اكتتبهـــا .	٥	الفرقـــــان	٧ - ٢٤١ - ٨٧
قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض .	٦	======	٨٧

الآيــــة	رقمها	السورة	الصفحة
وكان في المدينه تسعة رهط	٤٨	الشعراء	٤٦
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل .	٧٦	النمل	٢٥٣
وقالت لأخته قصيه .	١١	القصص	٤ - ٣٦
فلما جاءه وقص عليه القصص .	٢٥	=====	٣١
وما كنت ترجو أن يلقى إليك روحا من أمرنا .	٨٦	=====	٨٥
وأصبح الذين تمنوامكانه بالأمس	٨٢ - ٨٣	=====	٢٢٦
آلم ،أحسب الناس أن يتركوا .	١ - ٣	العنكبوت	١٢٨
مثل الذين اتخذوا من دون الله .	٤١	=====	٧٦
ولقد آتينا لقمان الحكمة .	١٢ - ١٩	لقمان	٢٢٥
وأصبح الذين تمنوا مكانه .	٨٢ - ٨٣	القصص	٢٢٦
ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا .	٦٩	الأحزاب	١٢٩
أعملوا آل داود شكراً .	١٣	سبأ	٢٥٦
واذكر عبدنا داود ذا الأيد .	٢٠	ص	٢٥٦
ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض .	٢٦	ص	٢٥٦ - ٢٤٥

الآيــــــة	رقمهــا	الســورة	الصفحــة
ولقد فتنا سليمــان .	٣٤	ص	١٢٩ - ٢٢٣
وإنه له عندنا لزلفى وحسن مآب.	٤٠	ص	٢٥٦
الله نزل أحسن الحديث كتابا	٢٣	الزمــر	٣٠
قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهـم .	٥٣	=====	٢٦٦
وكذلك أوصينا إليك روحاً من أمرنــا .	٥٢	الشــورى	٨٥
فاصبر كما صبر أولوا العـزم .	٣٥	الأحقــاف	٦٢
إن أكرمكم عند الله أتقاكـم .	١٣	الحجـرات	
وفي عاد إذ أرسلنا عليهـم الــريح .	٤١ - ٤٥	الذاريـات	٢٣٧
وإذ أسر النبي إلى بعــض أزواجـــه .	٣	النجــم	٢٤١
وما ينطق عن الهــوى .	٣ - ٥	النجـم	٨٤ - ٤٦ - ٧٧
ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع .	١٦	الحديـد	٣٠
مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوهــا .	٥	الجمعــة	٧٥
لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمــرون .	٦	التحريـم	٢٨٤ - ٢٥٣

الآيـــــــة	رقمهـــا	الســـورة	الصفحـــة
ضرب الله مثلاً للذين كفروا .	١٠	التحريـــم	٢٣١
وإذ قالت رب ابن لي عندك .	١١	======	٢٣٠
ولو تقول علينا بعض الأقاويل .	٤٤ - ٤٧	الحاقـــة	٨٤ - ٢٤١
وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم .	٧	نـــوح	٣٩
إنا ارسلنا إليكم رسولا شاهداً	١٥ - ١٦	المزمـــل	٢٣٧
هل أتاك حديث موســـى .	١٥ - ٢٦	النازعـات	١٦٨
قتل أصحاب الأخدود .	٤ - ٩	البـروج	١٢٨ - ٨٨
ونفس وما سواهـــا .	٧	الشمـس	١٧٠
يومئذ تحدث أخبارهـا .	٤	الـزلـزال	٣٨

(فهرس القصص النبوى مرتبة ترتيبا أبجديا)

الرقم المسلسل	القصـــة النبويـــة	رقم القصة	رقم الصفحة
١	"احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما"	٥	٩٦
٢	" أرسل على أيوب جراد من ذهب . . "	٩	٩٩
٣	" اشترى رجل من رجل عقارا . . "	١٧	١٠٤
٤	" ان الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا بخمس"	٧	٩٨
٥	" إن ثلاثة ى بنى اسرائيل أبرص وأقرع وأعمى"	٣١	١١٥
٦	إن عبداً من عباد الله بعثه الله عز وجل ."	١٦	١٠٣
٧	أن رجلا أذنب ذنباً فقال : رب إني أذنبت ذنباً . . "	٣٠	١١٥
٨	"أن رجلا كان يبيع الخمر "	٢٦	١١٣
٩	أنه ذكر رجلا من بنى اسرائيل . ."	١٨	١٠٥
١٠	" أنه كان رجل ممن كان قبلكم . . "	٤٠	١٢٢
١١	" أول من اتخذ النساء المنطق من قبل . ."	١	٩٠
١٢	" بينما رجل بفلاة من الأرض . ."	٢٠	١٠٧
١٣	بينما امرأتان معهما ابنان . . "	٨	٩٩
١٤	بينما ثلاثة نفر يتمشون . . "	١٩	١٠٦
١٥	" بينما رجل فيمن كان قبلكم . . "	٣٢	١١٧
١٦	"بينما رجل وامرأة له فى السلف الخالى"	٤٥	١٢٤
١٧	"بينما رجل يرعى غنما له " . .	٤٦	١٢٦
١٨	"بينما رجل يمشي بطريق . . . "	٣٣	١١٨

الرقم المسلسل	القصة النبوية	رقم القصة	رقم الصفحة
١٩	"بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته .."	٢٧	١١٣
٢٠	"بينما كلب يطيف بركية .."	٤١	١٢٢
٢١	"تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم"	٣٤	١١٨
٢٢	"جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام"	٦	٩٧
٢٣	"خرج رجل يزور أخا له .."	٢١	١٠٧
٢٤	"دخلت امرأة النار في هرة .."	٤٢	١٢٣
٢٥	"رأى عيسى بن مريم رجلاً .."	١٠	١٠٠
٢٦	"غزا نبي من الأنبياء ..."	١١	١٠٠
٢٧	"قال رجل لأتصدقن الليلة ..."	٢٢	١٠٨
٢٨	"قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله .."	٣٥	١١٧
٢٩	"قال سليمان بن داود نبي الله .."	٤	٩٥
٣٠	"قام موسى عليه السلام خطيباً .."	٢	٩٣
٣١	"قد كان الرجل ممن كان قبلكم ..."	٢٣	١٠٨
٣٢	"كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع .."	٣٦	١١٧
٣٣	"كان بعد ذلك أن الخضر كان من أشراف"	٤٣	١٢٣
٣٤	"كانت امرأة من بني إسرائيل ..."	٤٤	١٢٤
٣٥	"كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة .."	٣	٩٥
٣٦	"كان داود فيه غيرة شديدة .."	١٢	١٠١
٣٧	"كان في بني إسرائيل رجلان كان أحدهما مجتهدا .."	٢٨	١١٣

الرقم المسلسل	القصــــة النبويــــــة	رقم القصة	رقم الصفحة
٣٨	"كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح .."	٢٩	١١٤
٣٩	"كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعون	٣٧	١٢٠
٤٠	"كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر "	٢٥	١١١
٤١	"كسف رجل كان يعبد الله .. "	٣٨	١٢١
٤٢	"لما خلق الله آدم مسح ظهره ... "	١٣	١٠١
٤٣	"لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ... "	٢٤	١٠٩
٤٤	"لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام .. "	١٤	١٠٢
٤٥	مر رجل ممن كان قبلكم بجمجمة	٣٩	١٢١
٤٦	نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة .	١٥	١٠٣

(الفهرست التحليلي لموضوعات البحث وافكاره الجزئيــة)

المقدمـــــه : (١)

(الباب الاول)

الفصـــــل الأول :

مدلول القصــة في لغـــة العـــرب . (٤)

ـــ القصـــة عند العرب : (٦)

١ ـ الحكايـــه . (٦)

٢ ـ الأســـطورة : (٦)

٣ ـ الخرافـــه . (٩)

ألوان القصص في العصر الجاهلي (٩)

أ ـ القصص الأســـطورية (١٠)

١ ـ تأبـــط شـــراً يقتل الغـــول (١٠)

٢ ـ ســـطيـح الكاهن وارتجاس ايوان كســــرى (١٢)

ب ـ القصص التاريخيـــة البطولية : (١٥)

١ ـ قصـــة سيف بن ذى يزن الحميري وبشارته بالنبي الأمـــى . (١٥)

٢ ـ قصـــة مصـــرع الزبـــاء . (١٩)

جـ ـ القصص التربوية التى تحكى تجارب انسانيه (٢٤)

١ ـ قصـــة تأبـــط شـــراً مع زوج أمــــه . (٢٤)

٢ ـ قصـــة ثمـــود والناقـــــة . (٢٦)

الاســـتدلال على وجود القصة عند العرب في العصر الجاهلي بالقرآن الكريم . (٢٩)

الفصـــل الثانــــى :

ـ القصـــة في القـــرآن : (٣٣)

مميزات القصـــة القرآنيـــــه . (٣٥)

الفصل الثالث

- البيان النبوي وألوانه . (٤١)
القصة في البيان النبوي . (٤٦)
- تعريف المفهوم الفني للقصة النبوية . (٦٢)
هل تعتبر أخبار القيامة والفتن وأشراط الساعة من القصص النبوي ؟ (٥٠)
هل تعد الأمثال من قبيل القصة ؟ (٦٢)

الفصل الرابع

- مصادر القصص النبوي . (٧٨)
- القصص النبوي مع تخريجه . (٧٧)
١ - قصص الأنبياء . (٨٨)
٢ - الشخصيات الخيرة . (٩٠)
٣ - الشخصيات الشريرة . (١٠٤)
٤ - الشخصيات التي خلطت عملاً صالحًا وآخر سيئًا . (١١٥)
٥ - شخصية المرأة . (١٢٢)
٦ - من قصص العجائب . (١٢٦)

(الباب الثانـــي)

الفصـــل الأول

ــ أهداف القصـــة النبويـــة . (١٢٧)

١ ــ القصص النبوية التي جاءت تفصيلاً لما أجمله القصص القرآني. (١٢٧)

٢ ــ القصـص النبويـة التربويـــة . (١٣١)

الفصـــل الثانـــي :

ــ النماذج الانسانيـه في القصة النبويـه . (١٣٧)

١ ــ نماذج الأنبيـــاء . (١٣٧)

أ ــ آدم عليـــه الســـلام . (١٣٧)

ب ــ ابراهيم عليه الســلام . (١٣٨)

جـ ــ موســى عليه الســـلام . (١٤٠)

د ــ داود عليه الســـلام . (١٤٢)

هـ ــ سليمان عليه الســلام. (١٤٣)

ل ــ عيسى عليه الســـلام . (١٤٥)

٢ ــ النماذج الإنسانية الخــيرة . (١٤٥)

٣ ــ النماذج الانســانية الشـــريرة . (١٥٠)

٤ ــ النماذج الإنسانية التي خلطت عملاً صالحًا آخر سيئًا . (١٥١)

٥ ــ نماذج المرأة في القصص النبـــوي . (١٥٦)

الفصـل الثالــث

ــ أسلوب القصة النبويـة وخصائصها . (١٦١)

١ ــ الإيجـــاز . (١٦١)

٢ ــ أســـلوب الوضـــوح . (١٦٨)

٣ ــ إيثار التصوير (١٧١)
أ ــ تصوير الحالة النفسية . (١٧١)
ب ــ تصوير تدرج السلوك البشري من حال إلى حال .. (١٧٥)
جـ ــ تصوير الحركية . (١٧٨)
٤ ــ أسلوب التشويق . (١٨٠)
أ ــ ألوان التشويق فى البدايات . (١٨١)
ب ــ ألوان التشويق فى العرض . (١٨٢)
جـ ــ التشويق فى النهايات . (١٨٦)
٥ ــ الأسلوب المرسل . (١٨٧)
ــ خصائص أسلوب القصة النبوية (١٨٨)
١ ــ خلوها من الجوانب التاريخية ، ومن التحديد الزماني والمكاني . (١٨٨)
٢ ــ قلة الاقتباس من القرآن . (١٩١)
٢ ــ خلوها من الترادف والتأكيد . (١٩١)
٣ ــ إيثار التصوير (١٩٢)
٤ ــ مراعاة الايجاز . (١٩٢)
ــ أسلوب التصوير . (١٩٣)
١ ــ فى قصة موسى والخضر (١٩٣)
٢ ــ قصة أصحاب الغار الثلاثة . (١٩٥)
٣ ــ قصة براءة موسى . (٢٠٠)
٤ ــ قصة تحليل الغنائم لهذه الأمة . (٢٠١)
٥ ــ قصة الكفل . (٢٠٣)
ــ الألوان البلاغية فى القصص النبوى . ٢٠٥
١ ــ التشبيه . (٢٠٨)
٢ ــ أسلوب الاستعارة . (٢٠٩)
٣ ــ أسلوب الكناية . (٢٠٩)
٤ ــ المجاز المرسل والمجاز العقلى . (٢٠٩)
أساليب الاستفهام .

٤ ـ أسلوب المجاز . (٢٠٩)

الفصل الرابع :

ـ العلاقة بين القصة النبوية والقصة القرآنية . (٢١٤)
١ ـ التأثر بالهدف القرآني للقصة (٢١٥)
٢ ـ التأثر بالموضوعات (٢٢١)
٣ ـ قصص الانبياء في القرآن وأثرها في القصة النبوية . (٢٢٢)
٤ ـ المرأة في قصص القرآن وأثرها في القصة النبوية (٢٣٠)
٥ ـ أثر أسلوب القصة القرآنية في أسلوب القصة النبوية . (٢٣٢)
أ ـ التصوير القرآني وأثره في القصة النبوية (٢٣٢)
١ ـ تصوير الأحداث (٢٣٢)
٢ ـ تصوير العواطف الانسانية . (٢٣٣)
٣ ـ تصوير النموذج الإنساني . (٢٣٥)
ب ـ تأثير الإيجاز القرآني في القصة النبوية . (٢٣٧)
٦ ـ الأهداف في القصة القرآنية وأثرها في القصة النبوية . (٢٣٨)
١ ـ الهدف الإيماني (٢٣٩)
٢ ـ الهدف التربوي (٢٣٩)
٣ ـ العبرة والموعظة . (٢٣٩)

الفصل الخامس :

ـ خطر القصص الموضوع والضعيف على القصة النبوية . (٢٤٠)
١ ـ قصة خرافة . (٢٤٠)
٢ ـ قصة معانقة الرجل الرجل إذا لقيه (٢٤٢)
٣ ـ قصة افتتان داود عليه السلام بامرأة الجندي أوريا . (٢٤٤)

٤ ــ قصــة اقتراف آدم الخطيئـــة . (٢٤٥)
٥ ــ قصــة نزول آدم بالهنــد . (٢٤٧)
٦ ــ قصــة موسى والرجل الذى أجاع نفســـه . (٢٤٨)
٧ ــ قصــة حمــل حــــواء . (٢٤٩)
٨ ــ قصــة هاروت وماروت . (٢٥٠)
٩ ــ قصــة الرجل الذى أخرج رأســه من القــبر . (٢٥٤)
١٠ ــ قصــة بناء داود بيتــه قبل بيت ربـــه . (٢٥٥)

(الباب الثالث)

" القصة النبوية في دراسات المعاصرين "

الفصل الأول

ـ مناقشة لما جاء عن القصة النبوية في كتابي (الحديث النبوي من الوجهة البلاغية)

بالقصص في الحديث النبوي . (٢٥٩)

١ ـ خطأ تطبيق المقاييس الأدبية للقصة الحديثة على القصص النبوي . (٢٥٩)

أ ـ المقدمة والعرض : (٢٦١)

ب ـ العقدة والحل . (٢٦٥)

ـ الشخصيات وألوانها . (٢٧٦)

ـ الحبكة القصصية (٢٧٠)

هـ ـ حكاية الأبطال في القصة . (٢٩١)

٢ ـ القصة النبوية ليست طورا من أطوار القصة العربية . (٢٩٣)

الفصل الثاني

من شبهات المعاصرين حول القصص النبوى (٢٩٦)

أ ـ قصة احتجاج آدم وموسى . (٢٩٧)

ب ـ قصة موسى وملك الموت (٣٠٠)

جـ ـ قصة الرجل الذى طلب أن يحرق . (٣٠١)

فهـرس المراجـــــــع

١- القـرآن الكـريم .

٢- " أساس البلاغـــــة "

١- الزمخشري × جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشـري

دار بيروت للطباعة والنشر دار صادر للطباعة والنشر - بيروت

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

وطبعة أخرى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٣ - " أسد الغابة في معرفة الصحابـــة "

أبن الأثير × عز الدين بن الأثير أبو الحسن على بن محمد الجزري .

تحقيق : محمـد ابراهيم البنـا .

القاهرة : دار الشعب : ١٩٧٠ م .

٤ - "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية "

الرافعى × مصطفى صادق الرافعـي .

دار الكتاب العربي - بيروت .

الطبعة التاسعة / ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٥ - " الإصابة في تمييز الصحابة "

ابن حجر العسقلانـي

مطبعة السعادة بمصر ،الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ .

٦ - " الإكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء "

١ - ٢ .

تأليف x ابو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي .

تحقيق x د . مصطفى عبد الواحد - القاهرة .

مكتبة الخانجي ١٣٨٧، هـ - ١٩٦٨ م .

٧ - " البداية والنهايـــة "

ابن كثيـــــر

مكتبة المعارف - بيروت ص . ب ١٧٦١

الطبعة الاولى ١٩٦٧ م - الثانية ١٩٧٠ م .

الثالثة ١٩٨٠ م .

٨ - " البيان والتبيين " ١ - ٤

الجاحـــظ .

دار الفكـر للجميع ١٩٦٨ م .

٩ - التبيان في أقسام القرآن .

للعلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزيـة

تحقيق : محمد حامد الفقي .

دار المعرفة : بيروت .

١٠ - التصوير الفني في القرآن .

تأليف - سيد قطـــب .

دار الشروق .

١١ - " التفسير الكبيـــــر "

الـــرازى

دار الكتب العلميه . طهران - الطبعة الثانيه ١٣٠٧ هـ.

١٢ - " الجامع لأحكام القرآن " ٢٠ .

القرطبى - أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي .

مصوره عن طبعة دار الكتب / دار الكتاب العربي للطباعة والنشر

بالقاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

١٣ - الجرح والتعديـــــل . للإمام الحافظ شيخ الاسلام الرازى .

دار الكتب العلميه - بيروت - لبنـــان .

الطبعة الاولى - ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

١٤ - " الحديث النبوي من الوجهـة البلاغيـــــة "

د . عز الدين على السيد . مكتبـة وهبـة .

١٥ ـ الحيـــوان ٨ أجـزاء .

الجاحظ ـ أبو عثمان عمرو بـن بحـــر .

تحقيـق وشـرح ـ عبد السلام محمد هـارون .

الطبعة الثانية ١٩٦٥م .

١٦ ـ " الخصائص الكبرى " كفاية الطالب اللبيـب في خصائص الحبيب .

السيوطي ـ الحافظ جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي .

٨٤٩ ـ ٩١١ هـ .

دار الكتب الحديثة / مطبعة المدنـي .

تحقيق د . محمد جليل هـراس .

١٧ ـ الـدر المنثـور في التفسير المأثـور .

تأليف الإمام الحافظ ـ جـلال الديـن السيوطـي .

مطبعة محمد أمين دمج : بيـروت .

١٨- الروض الأنف (فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام .
السهيلى - ابى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن ابى الحسن الخشعمى .
تحقيق : طه عبد الروف .
مكتبة الكليات الازهرية : حسين محمد البابى .

١٩- السيرة النبوية
ابن كثير : للامام ابى الفداء اسماعيل بن كثير .
تحقيق : الدكتور : مصطفى عبد الواحد .

٢٠- السيرة النبوية
لابن هشام .
تحقيق : طه عبد الرءوف سعد .
دار الجيل : ١٩٧٥ م .

٢١- الشريعة
الآجرى : محمد بن الحسين الآجرى .
تحقيق : حامد محمد الفقى .
القاهرة : مطبعة السنة المحمدية .
١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

٢٢ - " الشعر والشعراء "

تأليف - أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

الطبعة الثانية : ١٩٦٦ م .

دار الثقافة : بيروت - لبنان .

٢٣ - " الطبقات الكبرى " المجلد الثاني في السناء ابن سعد .

دار صادر - للطباعة والنشر / بيروت .

دار بيروت للطباعة والنشر / ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨ م .

٢٤ - " العقد الفريد "

الأندلسي - أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .

تحقيق أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الأبياري .

٢٥ - " العلل المتناهية في الأحاديث الواهية "

ابن الجوزي - طبعة إدارة العلوم الأثرية . فيصل أباد باكستان

الطبعة الثانية ١٤٠١هـ تحقيق إرشاد الحق الأثري .

٢٦ - " الفائق في غريب الحديث "

الزمخشري - دار المعرفة للطباعة والنشر . بيـــروت .

الطبعة الثانية . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيـــــــم -

علي محمد اليماوى .

٢٧ - القاموس المحـــــــيط .

الفيروز أبادي - دار الفكر - بيروت ص . ب ٧٠٦١ .

٢٨ - " القصاص والمذكرون "

لابن الجوزي - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ٥١٠ - ٥٩٧ هـ.

الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦ هـ .

طبعة المكتبة العلمية لاهور .

٢٩ - " القصص القرآني في منطوقه ومفهومه "

الخطيب - عبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي - القاهرة

مطبعة المدني - القاهرة .

٣٠ - " القصص في الحديث النبوي دراسة فنيه وموضوعية "
تأليف - محمد بن حسن الزبر . الطبعة الأولى .
سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٣١ - " القصة العربية في العصر الجاهلي "
علي عبد الحليم محمود - دار المعارف مصر .

٣٢ - " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه الأقاويل "
الزمخشري - طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر
الطبعة الأخيرة - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦ م .

٣٣ - " المجازات النبوية "
الشريف الرضي
طبع مؤسسة الحلبي بمصر - تحقيق طه محمد الزيني .

٣٤ - " المستدرك على الصحيحين في الحديث "
للحافظ أبي عبد الله محمد المعروف بالحاكم النيسابوري .
وفي ذيله تلخيص المستدرك .
للإمام - شمس الدين بن أحمد الذهبي .
المجلد الثاني / دار الفكر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٣٥ - " المسند - ١ - ١٦ "

أ - ابن حنبل - دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

تحقيق احمد محمد شاكـــر .

ب - طبعه المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر - دار صادر ببروت

مصوره عن طبع المطبعة الميمنيه بمصر في ١٣١٣ هـ .

٣٦ - " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي "

د . أى . دنسنـــك .

طبعة بريل في مدينة ليدن ١٩٦٢ م .

٣٧ - " المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم "

محمد فواد عبد الباقي . دار الفكر - ببروت .

٣٨ - " المعجـم الوسيـــط "

قام بإخراج هذه الطبعة د . إبراهيم انيس - د . عبد الحليم منتصر -

عطيه الصوالحي - محمد خلف الله أحمـد .

دار الفكر - بيروت - لبنـــان .

٣٩ - " المفردات في غريب القرآن "

الأصفهاني - الراغب الأصفهانـــي .

٤٠- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي .

تحقيق د . نايف بن هاشم الدعيس .

الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٤١ - " الموطأ " مالك

طبعة الإستقامة بالقاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى .

سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .

٤٢ - " النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن "

د . محمد عبدالله دراز - دار القلم - الطبعة الثالثة

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

٤٣ - " النقد الادبي الحديث "

د . محمد غنيمي هلال - دار الثقافة - بيروت - لبنان .

دار العودة - بيروت - لبنان ١ /٧/١٩٧٣ م .

٤٤ - " الوفا بأحوال المصطفى "

١ - ابن الجوزي - أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

تحقيق : الدكتور : مصطفى عبد الواحد .

الطبعة الأولى : ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

وطبعة أخرى : دار المعرفة : بيروت - لبنان .

٤٥ - " بحوث في قصص القران "

عبد ربه - السيد عبد الحافظ عبد ربه - دار الكتاب اللبناني -

بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٢ م .

٤٦ - " تاج العروس "

الزبيدي - المطبعة الخيرية بمصر - الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ .

٤٧ - " تاريخ آداب العرب "

الرافعي - مصطفى صادق الرافعي .

دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٤٨ - " تاريخ بغداد "

للحافظ أبي بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي .

توفي عام ٤٦٣ هـ - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

٤٩ - "تطور الأساليب النثرية في الأدب الفني "

المقدسي - أنيس المقدسي - دار العلم للملايين - بيروت .

الطبعة السادسة .

٥٠ - تفسير الجلالين .

العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي والشيخ المتجر
جلال الدين .

عبد الرحمن أبي بكر السيوطي - المكتبة الشعبية - بيروت .

٥١ - تفسير الطبري " (جامع البيان في تفسير القرآن) "

القاهرة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م .

٣٠ جزء في ١٠ مجلدات .

تحقيق : محمود محمد شاكر .

٥٢ - " تفسير القرآن العظيم "

١ - للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي . .

٤ - أجزاء . المكتبة الشعبية

٢ - وطبعة أخرى دار المعرفة - بيروت - لبنان ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩م .

٥٣ - " تهذيب اللغة "

الأزهري - الدار المصرية للتأليف والترجمة .

سنة ١٩٦٦ م .

٥٤ - " تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول "
الزبيدى - ابن الربيع الشيباني الزبيدي - مطبعة مصطفى
الحلبي بمصر .

٥٥ - " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء "
للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني :
دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

٥٦ - " خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب "
على شواهد الكافية . تأليف - الشيخ عبد القاهر بن عمر
البغدادي ١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ .

٥٧ - " خواطر في الفن والقصة "
العقاد - عباس العقاد . دار الكتاب العربي ببروت - الطبعة
الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٥٨ - " ديوان الحماسة "
وهو ما اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أشعار العرب
شرح العلامة - التبريزي - الطبعة الأولى - دار القلم - ببروت .

٥٩ - " رياض الصالحيـن من كلام سيد المرسلين " .

الشافعي - محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووى الشافعي .

وكالة المطبوعات الكـويت - دار القلم - بيروت -

تحقيق عبد الله أحمد أبو زينـة .

٦٠ - " زاد المسلـم "

حبيب اللـه الجـكنـي

دار احياء الكتب المصرية . بدون تاريـخ .

٦١ - ((سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها))

الألباني " محمد ناصر الديـن الألبانـي .

المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م .

الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٦٢ - سلسلة الأحاديث الضعيفـة والموضوعة وأثرها السيء في الأمـة .

الألباني محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي - دمشق

الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .

٦٣ - " سنن ابـن ماجـة "

لابن ماجة - أ - دار الفكر - ١ - ٢ - تحقيق محمد فواد عبد الباقي

ب - عيسى الحلبي وشركاة - تحقيق محمد فواد عبد الباقـي

١٩٧٢ م .

٦٤ - " سنن ابي داود "

أبو داود - سليمان ابن الأشعث السجتاني الأزدي .

دار احياء السنن النبوية / دار احياء التراث العربي .

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٦٥ - " سنن ابي داود ".

ابي داود

مطبعة مصطفى الحلبي بمصر الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ -

١٩٥٢ م - تحقيق أحمد سعد علي .

٦٦ - " سنن الترمذي "

الترمذي - مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م

جـ ١-٢ تحقيق أحمد شاكر .

جـ ٣ تحقيق محمد فواد عبد الباقي .

جـ ١٣٨٨٢ هـ - ١٩٦٨ م و جـ ٤-٥ تحقيق إبراهيم عطوة عوض

جـ ١ ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .

٦٧ - " سنن الدارمي "

الدارمي - أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام

دار الكتب العلمية - دار إحياء السنة النبوية طبع بعناية محمد

أحمد دهمان .

٦٨ - " سنن النسائــــي "
أ - النسائي - دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠م. ب - مصطفى البابي - الحلبي - مصر الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤ م .

٦٩ - " سيدنا محمد في إبداعه الأدبــي "
تأليف - محمد أحمد البيومي . رساله دكتوراه مخطوطة ،جامعة الأزهـر . كلية اللغة العربية عام ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

٧٠ - " سيكيولوجية القصة في القرآن "
التهامي نقرة - الشركة التونسية للتوزيع - تونس ١٩٧٤ م .

٧١ - شرح ديوان أمية بن أبي الصلــت .
قدم له وعلق حواشيه سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتــب
منشـورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنـان .

٧٢ - " صحيح البخــاري " ١-٩
البخاري - دار احياء التراث العربي ،بيروت .

٧٣ - " صحيح مسلم "

أ - للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

أبو الحسين حافظ دار الشعب .

تحقيق واشراف - عبد الله احمد أبو زينة .

ب - دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ -

١٩٥٥ م .

تحقيق - محمد فواد عبد الباقي .

٧٤ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ابن سيد الناس.

دار الجيل / بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٤م .

٧٥ - " فتح البارى " - العسقلاني - المكتبة السلفية .

تحقيق - محمد فواد عبد الباقي / محب الدين الخطيب .

٧٦ - " فن القصة "

د . محمد يوسف نجم - دار الثقافة - بيروت - الفنون الأدبية .

الطبعة السابعة ١٩٧٩ م .

٧٧ - " فـي الأدب الجاهلـي "
طـه حسيـــن
دار المعارف بمصر / الطبعة العاشرة .

٧٨ - " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلـة "
تأليف شيخ الإسلام ابن تيميـة .
منشـورات المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م .

٧٩ - " قـصـص الأنبيـاء "
ابن كثير - مطبعة دار التأليف بمصر - الطبعة الأولى
تحقيق د . مصطفى عبد الواحـــد .

٨٠ - " قـصـص الأنبيـاء "
النجار، عبد الوهاب النجار - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثالثة .

٨١ - " قصـص العـرب "
محمد ابو الفضل ابراهيم / محمد احمد جاد الولى / على محمد
النجاوى .
دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان - دار احياء الكتـب
العربية - الطبعة الرابعة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .

٨٢ - " كتاب الأمثال "

ابن سلام - ابن عبيد القاسم ابن سلام .

الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. تحقيق عبد الحمد قطامش.

٨٣ - كتاب البدء والتاريخ ،

المنسوب إلى أبى زيد أحمد سهل البلخي وهو المطهر بن طاهر

المقدسي .

٦ أجزاء ١٨٩٩ م .

٨٤ - " كتاب الصناعتين الكتابة والشعر "

العسكرى - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري

تحقيق / على محمد النجاوى - محمد أبو الفضل إبراهيم .

عيسى البابي الحلبي وشركاة .

٨٥ - " كتاب دليل النبوة "

للحافظ الكبير والمحدث الشهير أبي نعيم أحمد بن عبد الله

الأصبهاني .

عالم الكتب - بيروت . توزيع مكتبة المتنبي - القاهرة
مكتبة سعد الدين - دمشق .

٨٦ - " لسان العــــرب "

ابن منظـــــور

دار صادر ببروت .

٨٧ - " مجمع الأمثـال "

١ - الميداني - أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري

دار المعرفــة - ببروت .

طبعة السنة المحمدية ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق على حواشية محمد محي الدين عبد الحميد

٢ - وطبعة أخرى - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ هـ .

حـ ٢ في مجلد واحـــد .

٨٨ - " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد "

للحافظ نور الدين على بن ابي بكر الهيثمي

بتحرير الحافظيين الجليلين العراقي وابن حجـر .

الناشر - دار الكتاب العربي - ببروت - لبنان .

٨٩ - " مختـــار الصحـــاح "

للشيخ الإمام - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي .

عنى بترتيبه - محمـود خاطـــر .

راجعته وحققته - لجنه من علماء العربية .

دار الفكر ، بيروت - ١٦٠٧ .

٩٠ - " مروج الذهب "

المسعودي - على بن الحسيني المسعودي .

القاهرة ١٩٥٨ م

٩١ - مسند أحمد بن حنبل .

١ - طبعة المكتب الإسلامي للطباعة والنشر

دار صادر ببيروت ،وهي مصورة عن طبع المطبعة

الميمنية بمصر في ١٣١٣ هـ .

٢ - تحقيق أحمد محمد شاكر ،من (١ - ١٦) .

دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

٩٢ - " معارك طه حسين الأدبية والفكرية .

سامح كريم - دار القلم - بيروت - لبنان .

٩٣ - " معجم البلدان "

للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي

الرومي البغدادي .

دار بيروت للطباعة والنشر - المجلد الثاني للطباعة والنشر .

٩٤ - " معجم مقاييس اللغة "
لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . توفي ٣٩٥
بتحقيق وضبط - عبد السلام محمد هارون .
الطبعة الثانية - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
شركة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر .

٩٥ - " من تاريخ الأدب العربي " " العصر الجاهلي - العصر الإسلامي"
طه حسين
دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٥م -
الثالثة ١٩٧٨م .

٩٦ - " ميزان الإعتدال في نقد الرجال "
الذهبي - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .

الطبعة الأولى - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .
تحقيق - على محمد البجاوى .
دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاة .

٩٧ - " نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن "
حسن ضياء الدين عتر .
دار النصر - سورية - الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .

٩٨ - " وحي القلم "

الرافعي - مصطفى صادق الرافعي

دار الكتاب العربي بيروت

ضبط وتصحيح محمد سعيد العريان . . .

٩٩- " الفن ومذاهبه في النثر العربي "

تأليف : الدكتور . شوقي ضيف .

الطبعة السابعة .

دار المعارف بمصر - القاهرة .